



كتاب الامام

بالإعلام فيما جرت به الاحكام و الامور المقضية في وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويرى الإسكندرانى

(المتوفى بعد سنة ١٧٧٥ هـ / ١٢٧٢ م)

الجزء الرابع

تحقيق

الدكتور عزيز سوريال عطية

من مخطوطة برلين و بانسكى پور

طبع

بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

محمد علي العباسى مدير دائرة المعارف العثمانية

مُطْبَعَةُ مَكْتَبَةِ دَرَّةِ الْمَعْرِفَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ بِمَكْتَبَةِ الْإِسْلَامِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ

جميع الحقوق محفوظة
لدارة المعارف العثمانية بحيدرآباد
All copyrights reserved.

محتويات الجزء الرابع

من

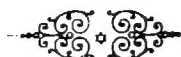
كتاب الإمام

صفحة	موضوع
١	بناء الإسكندرية
٤	شجرة نحاس بأرض رومة
٥	تاج أهل مصر
٩	الأقاليم السبعة ومدنها
	ذكر ملوك الإسلام بمصر بعد الثلاثمائة سنة للهجرة إلى سنة
١٦	خمس و سبعين و سبعمائة
٥	الدولة الإخشيدية
٣١	الدولة الفاطمية
٤٩	الدولة الأيوبية
٥٠	المؤلف و ظفر القبرسي بالإسكندرية
٥٣	ذكر الصوفية
٦٢	من أخبار صلاح الدين الأيوبي
٧٤	أبواب القاهرة
٧٥	أخبار الظاهر بيبرس

موضوع	صفحة
الإقطاع	٨٠
وقعة يبرس و محي الدين النوري	٨١
أخبار السلطان قلاون	٨٧
سلطنة الأشرف خليل	٩٣
سلطنة الناصر محمد الأولى	١٠٤
سلطنة العادل زين الدين كتبغا	١٠٥
سلطنة حسام الدين لاجين	١٠٨
سلطنة الناصر محمد الثانية	١١١
سلطنة يبرس ششكير	١١٢
سلطنة الناصر محمد الثالثة	١١٢
الزلازل و الطاعون و الأهوية و الفيضان و الغلاء	١٢٤
ذكر محاسن الناصر محمد	١٤٤
الكواكب و الأفلاك و الأبراج	١٥٩
استدارة الأرض و أبعادها	١٦٢
الجبال و البحار و الأنهار و العيون و المدن	١٦٣
خلفاء الناصر محمد	١٦٤
مرثاة الإسكندرية للنسراوى	١٧١
حكايات جرت بالإسكندرية حين الوقعة	١٧٩
فضل الشهادة و الشهداء	١٨٨

ج - ٤	(محتويات)	كتاب الإمام
صفحة	موضوع	
١٩٧	في تلقين الميت و غير ذلك مما يتصل بالموت و القبر	
٢٣٥	الجسم و النفس و الروح و العقل	
٢٤٩	ما قيل في القلب	
٢٥٠	في اعضاء الجسم البشرى	
٢٥٣	في وظائف الاعضاء	
٢٦٦	حمد الله على ثمانية	
٢٦٧	وظيفة العين و الاذن و اللسان	
٢٧٣	ما قيل في الازمنة و الطبائع	
٢٧٨	حكاية تشتمل على فرج بعد حرج	
٢٨٢	حكاية قاض من بنى اسرائيل	
٢٨٦	حكاية تشتمل على فراق الاحبة	
٢٨٩	حكاية العجوز النصرانية	
٢٩٠	حكاية تشتمل على غنى بعد فقر	
٢٩٣	حكاية حرجة مؤلمة مزعجة	
٢٩٥	حكاية تشتمل على فرج بعد أسر	
٢٩٨	حكاية المرأة المرتدة	
٣٠٢	حكاية المرأة المهتدية	
٣٠٦	حكاية مروءة مع تغرير بالنفس	
	حكاية تشتمل على قوة قلب و تعزيز بالنفس	

موضوع	صفحة
حكاية تشتمل على فزع و جزع و فرج بعد شدة	٣٠٧
حكاية عن الحجاج بن يوسف الثقفي	٣١١
حكاية مؤلمة لقلب امرأة مسلمة	٣٢٦
حكايات في الودائع	٣٣٠
حكاية في المخاصمة	٣٣٤
حكاية فقيه و أعرابي بطريق مكة	٣٣٦
حكاية في تأدية الشهادة	٣٣٨
حكاية رجل و امرأة و بعض المفتين	٣٤٠
النخعي عن العدة	٣٤٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[بناء الاسكندرية]

ولما أراد الإسكندر أن يبنى مدينة يسميها باسمه ، اختار مصر ، فلما عزم على بناء الإسكندرية دعا ثلاثة نفر من الصناع يولهم بناء المدينة ، فجعل أحدهم على أساس المدينة وإحكامها ، وولى الآخر طرق المدينة ونصب أسواقها ، وولى الثالث بناء القصور والدور . فبلغ ذلك هـ أرسطاطاليس معلم الإسكندر وما أمر به الإسكندر من بناء المدينة ، فأرسل إليه أرسطاطاليس أنه لا ينبغي أن تبنى مدينة على السعة والعظم ، فأنك لا تجد بدا من أن تسكنها أصنافاً من الأمم واختلاف اللغات ، ولست تأمن أن يتمايلوا عليك فيقتلونك أو يخرجونك من المدينة ، وأخوف ما يكرن ذلك في يوم عيد .^١ وإذا أردت جمع أهلها لأمر تحدته فيهم ١٠

(١) زيد في بن : بتقويم الآخر بتقويم .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في بن : أصناف .

(٤-٤) في الأصلين : فيقتلونك أو يخرجونك .

(٥) في بن : عيده .

لم يجتمعوا إليك أياما ، ولو جعلت شعير البلاد لهم سويقا لم يشبعهم ذلك . فشق ذلك على الإسكندر من رأى أرسطاطاليس و داخله من ذلك هم^١ و فكرة . فدعا إليه رؤساء المنجمين و أهل العلم و الأدب و النظر ، فأعلمهم بما أشار إليه أرسطاطاليس فقالوا له : أيها الملك الرشيد .

٥ لا يحزنك ذلك [٢١٤ : ب] و لا يهولك ذلك ، و كن واثقا بها ، و إنها ستكون مدينة عامرة سليمة واسعة العيش ، ذات خصب كثير ، يحمل إليها أهل البلدان تجارتهم . و ليس أحد من الصناع يعالج فيها صناعة إلا كان عزيزا . فسر ذلك الإسكندر ، و جدّ فيما أشاروا عليه و عزم على البناء ، و أمر عماله بالجد في ذلك حرصا على تخليد اسمه ،

١٠ و بقاء ذكره . حين علم أن لا سبيل إلى تخليد جسمه . و قد كان أناس من الأباطيل يخلفون صورهم أصناما عند أهلهم لكيلا تنسى منازل صورهم . و في رسالة استقراطس عن الإسكندر أن الإسكندرية أقامت حتى كملت بعد الإسكندر في ثلاثمائة سنة ، و أن أهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها إلا بخرق سود على وجوههم مخافة على أبصارهم من

١٥ شدة ياض حيطانها . و منارتها العجيبة على سرطان^٢ من زجاج^٣ مطل على البحر . و كان فيها سوى أهلها - أعنى الإسكندرية - مائة ألف من

(١) في بن : هموم .

(٢-٣) ساقطة من برو واردة في بن .

اليهود خول لأهلها . و قد تقدم ذكر وضع أساس الإسكندرية و هدم
الشياطين له حتى احتيل على دفعهم عنه فتمت عمارتها .
و قيل عجائب الدنيا أربعة : مرآة كانت معلقة بمنارة الإسكندرية ،
فكانت مجلس الحالس عليها فيرى من بالقسطنطينية و بينهما ^١ عرض
البحر ^٢ ؛ و صنم من نحاس بأرض الأندلس باسط يديه أى ليس ^٣ مثل ^٥
كذلك ^٣ فلا يطاق تلك الأرض أحد إلا ابتلعه ^٤ ؛ و منارة بأرض عاد
فاذا كانت الأشهر الحرم ^٥ هطل منها الماء فشرب الناس و سقوا و صبوا
في الحياض فاذا ذهب ^٦ الأشهر الحرم انقطع ذلك الماء .
و قد نهى الله تعالى عن الذنوب في الأشهر الحرم ، لأن العمل
الصالح فيها أجره يضاعف . و كذلك العمل الردئى يضاعف أيضا .
قال الله تعالى : ” إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتب الله
يوم خلق السموات و الأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا
فيهن أنفسكم ^٧ “ . و الأشهر الحرم منها شهر فرد و هو رجب و ثلاثة

(١) في بن : و بينها و بينهما .

(٢) في بن : البحار .

(٣-٣) بياض في بن .

(٤) في بن : ابتلعه - و جائز أن يكون هذا هو الصواب .

(٥) بقية العبارة من هنا شاقطة من بن إلى « انقطع ذلك الماء » .

(٦) في بر : ذهب .

(٧) قرآن كريم ٩ : ٣٦ .

سرد وهي ذو^١ القعدة والحجة والمحرم . وسأني فيما يرد من هذا الكتاب ما ورد في فضل شعبان ورمضان والأشهر الحرم إن شاء الله تعالى - انتهى ٢ .

[شجرة نحاس بأرض رومة]

٥ نعود^١ . وأرض رومية شجرة من نحاس عليها سودانية من نحاس ، فإذا كان [٢١٥ : الف] أوان^٢ الزيتون صفرت السودانية التي هي^٤ من نحاس^٢ فتجىء كل سودانية من الطير بثلاث زيتونات ، زيتونتين في رجلها وزيتونة في منقارها ، فتلقيها على تلك السودانية النحاس ، فيعصرون أهل مدينة رومية ما يكفيهم لسرحهم وأدمهم إلى قاتل - انتهى ٢ .

[نتاج أهل مصر]

١٠

فلنذكر الآن نتاج^٥ أهل مصر^٤ إن شاء الله تعالى^٤ ، ولأهل مصر النتاج العجيب من الخيل والبغال ، والخيل المدربة على الحروب ، والجوارح المعلمة على الصيد ، ترتفع أقدارها . وتعالى^٦ في أثمانها ، لامتيازها بالفضة

(١) في بر: ذى - و صوابه في بن كما أوردناه بالنص .

(٢) الكلمة واردة في بن و - نقطة من بر .

(٣) في بن [ص ١٥٨ : الف] : أول .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن نتائج .

(٦) في الأصين : و تغالا .

المكتبة . وسأذكر ' لماعن ' أخبار الخيل ' و الجوارح المعلقة و كلاب الصيد فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

و لأهل مصر معدن الزمرد ، و لهم زيت الفجل و البسر و النبق و البيران^٢ و النيدة و الجلبان و ذكر أهل العلم أنه ليس يكاد من رهبان الشام إلا أعمش من أكلهم العدس . و رهبان بصر سالمون من ذلك مع ه أكلهم الجلبان

و لأهل مصر البقر الخيسية المؤبلة لا تعمل و لا تثير الأرض بالحرث بل للحلاب فقط ، و هي أحسن القر صوراً ، و بقر مصر العاملة ليس في الدنيا بقر^٣ أعظم منهم خلقاً ، و إن^٤ العضو منهم يساوى أكثر من ثور من غيرها .

و لأهل مصر حطب الصنط و القرظ الذي تغلفه الدواب . و ذكر بعض أهل العلم أنه يوقد بالحطب الصنط عشرين سنة في الكانون ، فلا يوجر له رماد^٥ طول هذه المدة . و يقد أخضرا و يابساً و هو شجر الخبط و القرظ^٦ .

(١) في بن : و سياتي .

(٢-٢) واردة في بن و ساقطة من بر ، و أضفنا منها واو العطف على الجوارح .

(٣) في بن : البيراف . و بهامش بر : خصوصيات مصر .

(٤) في الأصلين : بقرا .

(٥) كذا في بن ، و هي في بر بدون واو العطف .

(٦) كذا في بن ، و هي في بر : رمادا .

(٧-٧) في بن : القرظ و الخبط .

و يوجد بمصر في كل وقت من الزمان من المأكول والإدام
و المشموم و سائر البقول و الخضر جميع ذلك في الصيف و الشتاء ،
الا ينقطع منه شيء واحد لبرد و لالحر . يوجد ذلك كله في الصيف ،
و يوجد بقيته في الشتاء غير مفقود منه شيء واحد ، و لا ينقطع و لا يتعذر
ه و لا يوجد ذلك في غيرها .

و من كلام المصريين في شهور القبط و ما في كل شهر منها : كُلُّ
رطب توت ، و رمان بابه ، و خروف هاتور ، و جدى كيهك ، و اشرب
ماء طوبه ، و اقعِد في شمس امشير ، و كُل لبن برمهات ، و غسل برموده ،
و تقاح بشنس ، و تين بؤنه و ايب ٢ ، و غنبر مسرى .

١٠ و مصر فرضة مكة و المدينة و ساحلها و فرضة صنعاء و عدن و عمان
و الشحر و الهند و جزيرة سرنديب [٢١٥ : ب] و غيرهم ، يجلب إليها
الجواهر ٣ و الطرائف و الآنية في البحر حتى توفي المراكب بالقلزم ،
و هي فرضة بحر الروم من العلایا و أنطاکیا و قسطنطينية و رومة و بلد
إفرنجة و طرابلس الغرب و تونس و القيروان و تاهرت و سجلماسة

(١ - ١) ساقطة من بن .

(٢) « و أيب » ساقط من بر و وارد في بن .

(٣) في بن [١٥٨ : الف] : الجوهر .

(٤) في بن : و الطرائف . و ربما كان أصوب .

(٥) في بر : توف . و في بن : توافي . و هو جائز .

(٦) في بن : و روميه .

والسوس^١ وطنجة و الأندلس و جزائر البحر مثل صقلية و اقريطش
 وقبرس و رودس و نابل^٢ وغيرها من الجزر . يحمل إلى مصر رقيق
 هذه البلدان كلها من الجوارى و الغلمان و التاج^٣ و الحديد و النحاس
 و الفضة البيضاء و الرصاص و القزدير^٤ و الزنجفر و العفص^٥ و خشب
 البقس و القرو و الصنوبر و الشوح و الصوارى و المجاذيف و المدارى^٥
 و خشب النشاب الغشيم^٦ و القطع^٦ و الطوافر^٧ و المرجان و العنبر
 و الزعفران و الكحل و الزئبق . و لا يحمل الزئبق إلا فى جلود الكلاب
 لا فى غيرها من الجلود لقوة جلود الكلاب على حمله ، و إذا حمل^٨ فى
 غيرها من الجلود خرقها و خرج منها ثقله عليها . و كذلك يحمل إلى مصر
 من جزر البحر الرومى البزاة و الصقور و الشواهين و الكواهي و العقبان^{١٠}

(١) فى بن : والسوسه .

(٢) كذا فى الأصلين ، و ربما كان المقصود إحدى الجزر القريبة منه نابولى Naples
 و التابعة لها .

(٣) فى بن : والساج .

(٤-٤) فى بن : و الجوخ .

(٥-٥) سائطة من بر و واردة فى بن .

(٦) فى بن : و القصع .

(٧) فى بن : و الطوافير . و زيد بعدها فى بن : و المبعه .

(٨) فى الأصلين : عمل . و الغالب أنه خطأ قلمى ، و ربما كان استعمالاً قديماً
 للفظه « حمل » .

وسائر أنواع^١ التجارات كالزيت والعسل والجوز والبندق واللوز^٢
لا يضيق بها تجارتها، ولا يقصدون بها^٣ بلدا سواها^٤. فلا أهل مصر
جباها^٥ كله وسائر الناس حالته^٦.

ولمصر من الكور ثمانون كورة ليس^٧ فيها كورة إلا وفيها
ظرائف^٨ وعجائب من أصناف البر والآنية والطعام والشراب والفاكهة
وجميع ما ينتفع به الناس، يعرف صنف كل كورة وجهازها، وينسب
كل لون منه إلى كورته، فصعيدها أرض حجازية حرها حر الحجاز،
تنبت النخل والقرظ والقصب والدم، وأسفل أرضها شامى بمطر
بمطر الشام، والنبت ثمار الشام من العنب والتين واللوز وسائر الفاكهة
١٠ والبقول والرياحين، وكورة الإسكندرية فيراى^٩ وجبال وغياض
وكروم. وهى برية بحرية جبلية، بلاد إبل وماشية وتاج وعسل
ولبن. وبكل كورة^{١٠} من كور مصر مدينة بها آثار كريمة من الأبنية
والصخور والبراني والعجائب، فمنها الإسكندرية فى أبنيتها وعجائبها.

(١) فى بن: أصناف.

(٢-٣) هذه الأصناف ساقطة من بر و واردة فى بن.

(٣) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن [١٥٨: ب].

(٤) فى بن: بدا السواقها.

(٥) فى بن: خيارها.

(٦) بهذه الجملة غموض فى التركيب والمعنى ولعلها: لا يضيق بها تجارتها...

فلا أهل مصر خيارها وسائر الناس حالته. والمقصود ما تبقى عن مصر وهى
كلمة غريبة. (٧) فى بن: وليس.

(٨) فى بن: والطرائف، وربما كان أصوب.

(٩) فى بن: فيوادی. (١٠-١٠) فى بن: ونخل كوره.

وأجمع الناس أنه ليس بالدنيا بناء بالوحي غير هذه الكورة . وحجر
اللاهون أحد عجائب الدنيا ، بناءه ' يوسف الصديق عليه السلام . وكانت
ملوك الفرس تأتي إليه لتشاهده ' [٢١٦ : الف] . وهو بصعيد مصر
الأدنى بالقرب من الفيوم بالخليج المعروف بالمتنهي الذي حفره يوسف
عليه السلام .

[الأقاليم السبعة ومدنها]

ذكر الأقاليم السبعة وما فيها من المدن المشهورة .
' الأقاليم السبعة على بروج السماء مدن كبار عظام ، مدينتان في
إقليم زحل و مدينتان في إقليم المشتري و مدينتان في إقليم المريخ
ومدينتان في إقليم الشمس و مدينتان في إقليم الزهرة و مدينتان في ١٠
إقليم عطارد و مدينتان في إقليم القمر . وقيل إن الأقاليم السبعة إقليم
في أرض المغرب و إقليم في أرض الروم و إقليم في أرض الحبشة و إقليم
في أرض الهند و إقليم في أرض الترك و إقليم في أرض الصين و إقليم
في أرض ياجوج و ماجوج ، لا يدخل هؤلاء ولا هؤلاء أرض هؤلاء ' .

(١) في بن : بناء .

(٢) في بن زيد ما يلي والجملة مكررة : وهو بصعيد مصر لتشاهده .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : وبالخليج .

(٥) زيد في بن : الصديق .

(٦ - ٦) هذا الجزء ساقط من بر و وارد في بن .

الإقليم الأول يبتدئ من المشرق ببلاد الصين فيمر على بلاد الصين مما يلي الجنوب ، وفيه مدينة الصين والشقيرا ، ثم يمر على سواحل البحر في جنوب بلاد الهند ثم بلاد السند . ثم يمر في البحر إلى جزيرة الكولة . ويقطع البحر إلى جزيرة العرب وأرض اليمن . فيكون فيه ٥ من المدن المعروفة ظفار وعمان وحضر موت وعدن وصنعاء والعنق وتانا وتبالة ومهرة وسبأ ، ثم يقطع الإقليم بحر القلزم ، فيمر على بلاد الحبشة ، ويقطع نيل مصر . وفيه هناك مدينة ملك الحبشة وتسمى جزمة ٢ وماقة إلى أن ينتهي إلى بحر المغرب .

وأما الإقليم الثاني ٣ فانه يبتدئ من المشرق فيمر على بلاد الصين ١٠ ثم على بلاد الهند ثم السند . وفيه مدينة المنصورة والتبرود والدليل ، ثم يلتقي البحر الأخضر في بحر البصرة ، ويقطع جزيرة العرب في أهل نجد وأهل تهامة ، وفيه من المدن هناك اليامة والبحرين وجر ومدينة يثرب والحجاز ومكة والطائف وجدة . ثم يقطع بحر القلزم . و يمر بصعيد مصر ، فيقطع النيل . وفيه من المدن قوص ٤ وأنجيم وأنصنا ١٥ وأسوان . ثم يمر في أرض المغرب على وسط بلاد إفريقية وبلد البربر ، ثم ينتهي إلى بحر المغرب .

(٩) في بن : فالإقليم - وبهامش بر : الأقليم الأول - وبهامشه أيضا بقلم يختلف نوعا عن قلم الناسخ : مطلب معرفة الأقاليم السبعة وحدودها .

(٢) في بن : حرمه - انظر ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ٢٩ : جرمي .

(٣) في هامش بر : الإقليم الثاني .

(٤) الكلمة ساقطة من بن .

و أما الإقليم الثالث^١ فإنه يبتدئ من المشرق فيمر على بلاد الصين
وعلى بلاد الهند^٢ ثم على شمال السند^٣ ثم على بلاد كابل^٤ و سيجستان^٥،
ثم يمر على بحر البصرة^٦ . فيه من المدن هناك مدينة اصطخر و جور
و سابور و شيراز و سيراف و حانا و سلس و مهر و بان^٧ ثم كور لأهواز
و العراق^٨ . وفيه البصرة و واسط^٩ ، بغداد و الكوفة و الأنبار و هيت^{١٠} . ثم يمر على
بلاد الشام^{١١} ، وفيه من المدن هناك سلمية و حص و دمشق و صور و عكا
و طبرية و بيت المقدس و الرملة و عسقلان و غزة و قلزم^{١٢} . ثم يقطع
أسفل^{١٣} أرض مصر و الفرما و الإسكندرية^{١٤} . ثم يمر على برقة^{١٥} و طرابلس
و بلاد إفريقية^{١٦} ، وفيه مدن^{١٧} القيروان^{١٨} . و ينتهي إلى الغرب^{١٩} لمدينة فاس
و أعمالها .

١٠

و أما الإقليم الرابع^{٢٠} فيبتدئ من المشرق، فيمر على بلاد التبت^{٢١}،
ثم يمر على [٢١٦ : ب] بلاد خراسان^{٢٢}، فيكون فيه من المدن خجندة
و فرغانة و سمرقند و بلخ و بخارى^{٢٣} و هراة و مرو و سرخس و طوس
و نيسابور و جرجان و قومس و طبرستان و الديلم و الري و أصبهان و قم

(١) في هامش بر: الإقليم الثالث .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) عن بن [١٥٩ : الف] ، وفي بر: برقا .

(٤) في بن: من المدن .

(٥) في بن: القرب .

(٦) في هامش بر: الإقليم الرابع .

(٧) في الأصلين: بخارا .

وهمدان ونهادند والدينور وسُرَّ من رأى والموصل ورأس العين
وسميساط وحران والركة وقرقسيا . ثم يمر على بلاد الشام ، وفيه
من المدن هناك بالس ومنبج وحلب وقنسرين وانطاكية وطرابلس
والمصيصة وصيدا وبيروت وأدنه وطرسوس وعمورية واللاذقية .
٥ ثم يمر في أرض المغرب على بلاد طنجة ، وينتهي إلى بحر المغرب .
وأما الإقليم الخامس^٦ فانه يبتدئ من ياجوج وماجوج ، ثم يمر
على شمال خراسان ، فيكون فيه من المدن هناك الطبرار وهي مدينة
التجار ، وخوارزم وسنجان واذريجان وكور ارمينية وخلاط وجربة^٧
ورومية الكبرى . ثم يمر على سواحل الشام . ثم يمر على بلاد الأندلس
١٠ طرطوشة وسرقطة وطليطلة وقرطبة وأشبيلية وماردة ومانقة حتى ينتهى
إلى بحر المغرب .

وأما الإقليم السادس^٨ فانه يبتدئ من المشرق من ياجوج وماجوج ،
ثم يمر على بلاد الخزر ، ويقطع وسط جرجان وبحره إلى بلاد الروم .
ثم يمر على جروان وماسيا والقسطنطينية وإفرنجة وبلاد نوحان إلى
١٥ بحر المغرب .

(١) كذا في بن ، وهي في بر : رأس العين .

(٢) في بن : وأطرابلس .

(٣) في بن : الغرب .

(٤) في هامش بر : الإقليم الخامس .

(٥) في بن : جربة - بسقوط واو العطف .

(٦) في هامش بر : الإقليم السادس

و أما الإقليم السابع^١ فانه يبتدئ من ياجوج و ماجوج ، ثم يمر على بلاد الترك على ساحل بحر جرجان ، الصقالبة ، و ينتهى إلى بحر المغرب .
فهذه الأقاليم السبعة فيها المدن المذكورة و غيرها من المدن الكثيرة ، تركت ذكرها لكثرتها و طلب الاختصار . و فى هذا القدر كفاية .

٥

و كل إقليم للموكة^٤ اسم ، فاليمين يقال لمن ملكه تَبَّع ، و الفرس كسرى ، و الروم قيصر ، و اليونانية^٥ بطليموس ، و الترك خاقان ، و الحبشة النجاشى^٦ ، و الحزر طرخان ، و مصر فرعون ، و الهند^٧ الأركن ، و الصين بغفور^٨

و اعلم أن خط الاستواء^٩ من المشرق إلى المغرب ، فالبلاد التى تكون أطوالها و أعرضها واحدة فى درج الفلك تعد^{١٠} إقليما مثل أن يكون بلد بالاندلس و بلد بفريقية و بلد بالصين تكون أعرضهم و أطوالهم

(١) فى هامش بر : الإقليم السابع .

(٢-٢) العبارة ساقطة من بن .

(٣) زيد فى بن : المذكور .

(٤) فى بن : للملكة . و زيد فى هامش بر : أسماء الملوك .

(٥) فى بن : و اليونان .

(٦) فى بن : بالنجاشى .

(٧-٧) ساقطة من بر و واردة فى بن . و جائز أن تكون « بغفور » يغفور .

(٨) فى هامش بر : خط الاستواء .

(٩) كذا فى بن ، و غنى فى بر : يعد .

سواء فيعدوا بذلك إقليما واحدا . قال الشاعر 'امن قصيدة مدح بها جعفر
ابن أبي القاسم' [٢١٧ : الف] :

مدى ' الدهر ما دامت نجوم بأفقها تلوح ودام الإستواء مع الخط
٣ : سأذكر هنا ما قاله ٣ أبو القاسم محمد بن هاني في نجوم السماء من
قصيدة له مدح بها جعفر بن أبي القاسم :

أليتنا إذ أرسلت واردا و حفا وبتنا نرى الجوزاء في أذننا شفا
و قد فكت الظلماء بعض قيودها و قد قام جيش الليل للصبح فاصطفا
و روت نجوم للثريا كأنها خوانم تبدو في بنان يد تخفا
فتى على آثارها دبرائها كصاحب رده كيت خيله خلفا
١٠ : وأقبلت الشعري العبور ملبدا بمرزمها العيوب يحنبه طرفا
و قد بادرتها أختها من ورائها لتخرق من ثي مجرتها بحفا
٨ تخاف زئير^٨ الليث قدّم نثرة و بربر في الظلماء ينسفها نفا
كأن السماكين الذين تظاهروا على لبدته ضامنان له حتفا

(١ - ١) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٢) في بن : مدا .

(٣ - ٣) في بن : وقال .

(٤ - ٤) مكورة خطأ في بن .

(٥) في بن : تبدوا .

(٦) في بن : كمنت .

(٧) في بن : مكيلة .

(٨ - ٨) في بر : خاف زيرا . وأغلب الظن صحته في بن كما أوردناه بالنص

و يستقيم بذلك ميزان البيت .

فذا راح يهوى إليه سنانه وذا أعزل قد عض أنمله لهفا
 كأن رقيب النجم أجدل مرقب يقلب تحت الليل في ريشه طرفا
 كأن بنى نعيش ونعشا مطافل بوجهة قد أضلن في مهمه^١ خسفا
 كأن سهيلا في مطالع أنفه مفارق ألف لم يجد بعده ألفا
 كأن^٢ سهاها عاشق بعد عودها^٣ فأونة يدوا وأونة يخفا^٤
 كأن معلا قطبها فارس له لوأان مركوزان تذكرة الزحفا
 كأن قداما النسر والنسر واقع قصص فلم تسم^٥ الخوافي به ضعفا
 كأن أخاه حين دؤم طائرا أتى^٦ دون نصف الليل^٧ فاختطف النصفا
 كأن الهزيع الابنوسى رهبة^٨ سرى بالنسيج الخسروانى ملتفا
 كأن ظلام الليل إذ مال ميله صريع مدام بات يشربها صرفا^٩
 كأن عمود الفجر خاقان معشر من الترك نادى بالنجاشى فاستخفا
 كأن لوأ الشمس غرة جعفر رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

(١) في بن [١٥٩: الف]: بوخزة .

(٢) في بر التاء المربوطة منقوطة و النقط خطأ لأن الكلمة « مهمه » بالهاء الغير منقوطة في بن ويستقيم المعنى بذلك .

(٣) « كأن » ساقطة من بن .

(٤) في بر: عود . وهى كما أوردناه بالنص في بن .

(٥) في بن: تسموا .

(٦) في بر: أنى - بالنون وهى في بن بالتاء .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

(٨) كذا في بن ، وهى في بر: وهبة .

١. دخل إلى المدح وهي طويلة^١. وكانوا يقولون: اطلبوا الرزق في
البعد فانكم إن لم تغنموا مالاً غنتم عقلاً. وقالوا: من تعذر عليه
الرزق فعليه بمدينة عمان. ومن مفاخرة^٢ أهل مصر أنهم لا يطلبون
الأموال والمتاجر^٣ في غير مصر، وجميع تجار البلدان يطلبون الرزق
هـ [٢١٧: ب] بها. واعلم أن الرزق لا يحرقه حرص حريص. ولا يردّه
كراهية كاره. قال الشاعر:

مالك ضامن رزقي* فلماذا أكلف الخلق رزقي

فكما لا يرد عجزى رزقي فكذا لا يحرق رزقي حذقي^٤

ذكر^٥ ملوك الإسلام بمصر بعد الثلاثمائة سنة للهجرة^٦

إلى سنة خمس^٧ وسبعين وسبعمائة

١٠

[الدولة الإخشيدية^٨]

كانت الدولة الإخشيدية من قواد الطولونية. وكان طولون مملوكا

(١-١) في بن: وخرج.

(٢) في الأصليين: مقافرة - وأغلب الظن أنه خطأ قلبي لكلمة «مفاخرة». كما
أوردنا بالنص.

(٣) في بن: من المتاجر.

(٤-٤) عذا القسم ساط من بر و وارد في بن (ه) كذا في بن.

(٦) في بن زيد: لمع من أخبار.

(٧-٧) في بن: من الهجرة النبوية و.

(٨) في بن: ثمان.

(٩) في هـ مش بر: طولون.

لأمير المؤمنين عبد الله المأمون بن الرشيد^١ ، فرزق طولون ولدا سماه^٢ أحمد ، فنجب فولى مصر نيابة لبنى العباس^٣ ، ثم ولى بعده مصر ولده أبو الحسن خمارويه بن أحمد بن طولون^٤ . فأراد خمارويه أن يزوج ابنته من علي ابن أمير المؤمنين المعتضد^٥ . فقال المعتضد^٥ إنه قصد أن يتشرف بنا فإنه^٥ أتزوجها ، فتزوجها المعتضد ، فأنت له معها بأموال جزيلة .

و أول الدولة الأخشيدية^٦ طغج الفرغاني ، كان متوليا لخمارويه ابن أحمد^٧ بن طولون دمشق و الشام . ثم ولى الأخشيد أبو بكر بن^٨ محمد بن^٩ طغج مصر . ثم وليها بعده أبو الجون محمد^٩ بن أخشيد . ثم وليها بعده أبو المسك كافور الأخشيدى^{١٠} . جلب من الحبشة و عمره^{١١} أربعة

(١) و تاريخ حكه ١٩٨ - ٢١٨ هـ = ٨١٣ - ٨٢٣ م .

(٢) فى بن : اسماء (٣-٢) الجملة ساقطة من بن .

(٤) زيد فى بن : لما بلغه ذاك - و حكم المعتضد ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ = ٨٩٢ - ٩٠٢ م .

(٥) فى بن : انا (٦) فى هامش بر : أول الدولة الأخشيدية .

(٧) استمر حكم الدولة الطولونية من ٢٥٤ هـ = ٨٦٨ م إلى ٢٩٢ هـ = ٩٠٥ م .

و حكم الدولة الأخشيدية ٣٢٣ - ٣٥٨ هـ = ٩٣٥ - ٩٦٩ م . و حكم أحمد بن

طولون ٢٥٤ - ٢٧٠ هـ = ٨٦٨ - ٨٨٢ م و خمارويه ٢٧٠ - ٢٨٢ هـ = ٨٨٣ -

٨٩٥ م أما طغج فحكه ٣٢٣ - ٣٢٤ هـ = ٩٣٥ - ٩٤٦ م .

(٨) لفظ « بن » ساقط من بن .

(٩-٩) يلاحظ هنا اختلاف فى تفصيل الأسماء عما هو معروف مثلاً فى جداول

زامباور ص ٩٣ و ستانلى لين بول ص ٦٩ مما يستحق المراجعة و البحث .

(١٠) حكه ٣٥٥ - ٣٤٧ هـ = ٩٦٦ - ٩٦٨ م .

(١١) فى بن [١٦٠ : الف] : و كان ابن .

عشر سنة، وذلك في سنة اثني عشر وثلاثمائة، فكان عادلا في حكمه محبوبا لرعيته لكرمه وسخائه وعدله، وكان في كل سنة في ليلة عيد الأضحى يوقر بغلا ذهبيا ويفرقه في أهل العلم والخير والصالح. قال صاحب كتاب الأشارات في الزيارات: إن مصر زلزلت في ٥ 'دولته ستة أشهر' ليلا ونهارا، فأشد محمد بن القاسم من قصيدة يقول فيها:

ما زلزلت مصر من سوء يراد بها لكنها رقصت من عدله فرحا ٣
وقيل إن كافور الأخشيدي لما ملك مصر وعزمت كتاب الدولة
على كتابة^٤ تقليده، فأمرهم أن لا يكذب أحد، ولا يخفي عنه
١٠ إذ هو عبد كان فتوقف^٥ الجميع عن ذلك، فهض أحدهم وقال: أنا

(١-١) في بن: دولة كافور مستقلا شهرا.

(٢) في بن: القسم.

(٣) ورد هذا البيت مع كلمة «خوف» بدلا من «سوء» منسوباً إلى محمد بن
عاصم في «سكردان السلطان» (طبعة مصر ١٢٨٨ هـ) ص ١٣٣ عند الكلام
عن كافور. وجاء نفس البيت في السيوطي (كتاب حسن المحاضرة في أخبار
مصر والقاهرة - مطبعة الموسوعات بمصر ١٣٢١ هـ) ج ٢ ص ١٦٧ ولفظة
«سوء» به و القصيدة من تأليف محمد بن القاسم بن عاصم.

(٤) في بن: دولته.

(٥) في بن: كتاب.

(٦) في بن: فتوقوا. وصحته في بن كما أوردنا بالنص.

أكتبه . فكتب : أما بعد فإن الفرس بكده ، و السيف بجده ، و المرء
بسعده ، لا بأبيه و جده ، إن هو إلا عبد أنعمنا عليه - ' قال بعضهم :
لو كان باللب يزداد اللب غنى لكان كل لب مثل كافور
لكنه الرزق بالقسطاس من حكم يقضى اللب و يعطى ذل ماخور
و قال الآخر :
٥

- قد يرزق المرء لا من حسن حيلته
و يصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهي
' ما منى من غنى يوما و لا عدم
إلا و قولى فيه الحمد لله ٣
- [بن : ١٦٠ : الف] لما سار أبو الطيب المتبى الشاعر من دمشق إلى كافور ١٠
بمصر فدحه بقصيدته التى قال فيها ما لم يمدح رائس أسود بأحسن
(١ - ١) هذا الجزء بما فيه البيتان ساقط من بن ، ثم أورده الناسخ بعد
البيتين التاليين .
(٢) تبدأ هنا فى بر بجملة كبيرة واردة فى بن من ١٦٠ : الف (سطر ٥) إلى
١٦٧ : ب (سطر ١١) و قد نسخناها عن بن فيما يلى ، و هى تكل عرض الدولة
الإسلامية إلى عهد صلاح الدين الأيوبي حيث يستأنف الكلام من « نعود
إلى اخبار الخ » .
(٣) هذا البيت مع سابقه ورد فى بن قبل البيتين السابقين ، و سقط البيت
الأخير من بر .

منه . فقال :

فجاءت به إنسان عين زمانه و خلت يابضا خطبها و مآقيا
فواضل كافور توارك غيره و من قصد البحر استقل السواقيا
و لم يعطه كافور ما يرضى به ، و أراد كافور الغض منه . فقال المتنبي :

ه ألا ليت شعري هل أقول قصيدة
فلا أشتكى فيها و لا أتعجب
أبا المسك ' هن و ' الكأس فضل لشارب '

فأنى أغنى منذ حين و تشرب
ثم جعل من يكلم له كافورا ليوليه ولاية . فقال كافور لذلك
١٠ الشفيع : أتكلمنى فى أن أولى رجلا أحق لسانه يزيد على عقله ؟
أما تعلم أنه ادعى النبوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو خير
ولد آدم و سيد النبيين و خاتم المرسلين ؟ أترأه إن صار واليا لا يدعى
الملك مع كافور الحبشى الخصى ؟ فضحك الشفيع و قال : مولانا الأستاذ
أعرف بما يقول و يفعل .

١٥ تم ملك بعد كافور الأخشيد أحمد بن علي بن الأخشيد ، و هو آخر
من تولى من الأخشيدية مصر و عدتهم خمس نفر ، و كان آخر ملكهم
فى سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة ، و مدة ملكهم أربعون ٣ سنة .

(١-١) مطموسة جزئيا فى بن ، و لكن قراءتها ممكنة كما أوردنا بالنص .

(٢) فى ديوانه : « أناله » مكان « لشارب » .

(٣) فى الأصل : أربعين .

[الدولة الفاطمية]

و كان كافور الأخشيدى خادما ' لأبي بكر محمد ' بن طنج ، فجهر
 أبو الحسن جوهر القائد غلام الإمام اسماعيل المنصور العبيدى ' من
 أرض القيروان بالمغرب جيشا إلى مصر حارب و ملك منه من الأشونين
 إلى الجيزة ؛ فوقع فناء بـسكر جوهر ، فرجع إلى أرض المغرب . ثم أتى ٥
 مصر ثانيا ، فوأتى * موت كافور فى سنة خمس و أربعين و ثلاثمائة ، و ولى
 مصر بعده أحمد بن على بن الأخشيد . فخاربه جوهر مدة فلم ينجع له
 طلب . ثم رجع و عاد و حارب إلى أن ملك مصر ، و انتقل إليها المعز
 لدين الله من المهديّة و عمرّ القاهرة المعزية فى سنة اثنتين و ستين و ثلاثمائة ،
 فسميت القاهرة لقهره بنى العباس و أخذ مصر منهم . ١٠

قال ابن الأريب فى تاريخه : و فى سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة انقطعت
 الدعوة العباسية من الديار المصرية بدخول جوهر الرومى غلام المعز
 العبيدى المخطوب له بالخلافة فى إفريقية إلى مصر و استيلائه على أعمالها ،

(١) فى الأصل : خادم .

(٢) كذا فى الأصل ، و قد ورد فيما سبق « أبو بكر بن محمد » (انظر ص ١٧ س ٧) .

(٣) فى الأصل : أباه . و المقصود طبعاً جوهر الصقلى فاتح مصر للدولة الفاطمية

فى سنة ٣٥٦ هـ = ٩٦٩ م .

(٤) ربما كانت المقصود هنا المنصور أبو طاهر اسماعيل خليفة المهديّ أبى محمد

عبيد الله بالمهديّة و كان خلفه المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١ - ٣٥٦ هـ = ٩٥٢ -

٩٧٦ م) الذى غزيت مصر فى عهده .

(٥) فى الأصل : فواقا .

وذلك أنه اختلت أمورها بعد وفاة كافور الأخشيدى ، و وقع بها الغلاء العظيم و الوباء اللذان قتلا الخلق حتى أحصى من مات فى أيام يسيرة فكانوا ستمائة ألف ، واشتغل صاحب الجيش و التدبير الحسن بن عبيد ابن طنج بقتال القرامطة فى الشام . و كان له معهم وقعات مشهودة . ه فلما استقرت هذه الأخبار عند المعز أخرج جوهر المذكور فى عسكر و معه العدد الهائلة و الجمال عليها مفرغا كالأرحال ليهول ذلك المنظر من رآه ، و فى جيش جوهر هذا يقول محمد بن الأندلسى فى جملة قصيدة :
 رأيت بعينى فوق ما كنت أسمع
 و قال فى أبياتها :

١٠ إذا حلّ فى أرض بناها مدينا وإن سار عنها أصبحت وهى بلاقع
 [بن ١٦٠ : ب] و كان فى مصر قواد تجمع فدافعوا جوهر ففرق جمعهم ، و قتل من ظفر به منهم ، و أرسل إلى سيده المعز برؤسهم ، و من طلب الأمان سيره مكرما إلى إفريقية ، و كان دخول جوهر مصر يوم الثلاثاء الثالث عشر ليلة بقيت من شعبان من سنة ثمان و خمسين ١٥ و ثلاثمائة . و خطب فيها للمعز ، و انقطعت منها الخطبة العباسية ، فلم تعد إلا فى سنة سبع و ستين و خمسمائة على يد السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب . قال أبو الحسن الشيرازى : و لما بلغ هذا الخبر بغداد لم ير أحد أن يطالع به الخليفة المطيع لله . و تلطففت به حتى أعلمته بأن جيش

(١) فى الأصل : دخل . و الأغلب أن الصحيح « حل » كما أوردنا بالنص . و يستقيم به وزن البيت .

الآخشيديّة على الهلاك لأن القرامطة أقبلوا إليهم من جهة شرقهم وجنوبهم ، و المغاربة أقبلت إليهم من جهة تغرب . قال : وقد بلغنا أن جيش ابن طعج على الرملة و وافي ' المغاربة إلى الرملة ، فقلت يا مولانا ما بقي بينهم وبين المغاربة ' إلا خمسة مراحل ، قال فاستوى قاعدا ، وقد كان متكنّا و قال : فدخلوا إذا الديار المصرية ! قلت : كذا . ٥
نخرج ^٢ من الحديث فأرسل حينئذ إلى عز الدولة بختيار بن نويه يسأله عن ذلك . فقال : أحسن الله عزاء ' أمير المؤمنين في الديار المصرية ، و ما أروّع سمع مولانا أمير المؤمنين بهذا لولا ما سأل عنه ، لكن المطلوب بقاء أمير المؤمنين و بحضرته من اللبس والعدد والرجال ما يقضى إن شاء الله تعالى بفتحها و بفتح غيرها إلى البحر الأخضر . قال فلما ١٠
رجعت له الرسالة قال : هذا يسمع الخاطر بتعليه عن الديار المصرية . وقد أمر الخليفة المقتدر * أن ^٦ يجهز لها المستجاس و الدنيا حينئذ يده و فاسى عليها حتى امتلأت منه التواريخ ونحن الآن و قد أخذت منا مصر و ليس في حكمنا إلا هذا القصر الذي نحن فيه و الشيعة قد كثرت في الأقطار من حين رجوع مصر ، ثم قال : اعلم أن بني نويه شيعة ، ١٥

(١) في الأصل : و وافي .

(٢) الكلمة مكررة بالأصل .

(٣) في الأصل : يخرج . و أغلب الظن أنها خطأ تلي .

(٤) في الأصل : عزى .

(٥) الخليفة العباسي و حكمه ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ = ٩٠٨ - ٩٣٢ م .

(٦) ناقصة بالأصل و لزومها واضح للسياق .

وهم أول من يشمت بذهاب مصر و الجزيرة و الشام في أيدي بني حمدان
وهم شيعة ، و قد ذهب منهم أهل الوفا و المنا كناصر الدولة و سيف
الدولة ، و بقي شبان أعمار لا يعرفون بدا ، و لا يحفظون عهدا ، و كأننا
بهم و قد صاروا مع ابن ديسان - يعنى المعز - فكان كما قدره . و سيأتى
٥ خبر العبيدين المدعين أنهم فاطميون ، و ليس كذلك بل نسبتهم
إلى ديسان .

نعود - و كان أحمد بن طولون في دولته عمر الجامع المعروف به في
مكان يعرف بيشكر بين مصر و القاهرة بسبب رجر صالح ، فكان في
المكان ، فحين وصل المعز إلى مصر أمر بأن يؤذن على جامع عمرو
١٠ ابن العاص و جامع ابن طولون بحى على خير العمل . فاستدام ذلك في
الأذان إلى حين انقضاء دولة العبيدين في سنة سبع و ستين و خمسمائة .
فانقرض حينئذ ذكر حى على خير العمل بانقراض دولتهم . أبطل ذلك
السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب . و أمر بالدعاء على
المنابر خلفاء بى العباس كما كانت أولا بالديار المصرية و الشامية .
١٥ و سبب تسمية القاهرة بالقاهرة لغلبة العبيدين الشيعة على بى العباس
بأخذهم مصر منهم و قهرهم لهم عليها ، فقالوا نسميها القاهرة لقهرنا لهم .
و تسمت العبيديون المذكورون بالفاطمين ، و ادعوا أنهم من ذرية فاطمة
[بنت ١] النبي صلى الله عليه وسلم . و لما ولى المعز ملك مصر قال

(١) الكلمة ساقطة من الأصل ، و لزومها واضح من السياق .

أبو القاسم محمد بن هاني الشيعي قصيدته^١ التي أولها .

تقول بنو^٢ العباس هل^٣ فتحت مصر فقل لبني العباس قضى الأمر
وقد جاوز الإسكندرية جوهر تطلعه البشري و يقدمه النصر
/ وقد أوفدت مصر إليه وفودها^٤ وزيد إلى المعقود من جسر ها جسر [بن ١٦١: ب]
فا جاء هذا اليوم إلا وقد غدت وأيديكم منها ومن غيرها صفر^٥
فلا تكثروا ذكر الزمان الذي خلا فذلك^٦ عصر قد تقضى و ذا عصر
أفى الجيش كنتم تمثرون^٧ رويدكم فهذا القنا^٨ العراض والجحفل المجر^٩

(١) وردت القصيدة في طبعات ديوان ابن هاني وأقدمها طبعة بيروت ١٣٢٦
= ١٩٠٨ م ، ثم طبعة زاهد على تحت عنوان تبين المعاني في شرح ديوان ابن هاني
في القاهرة ١٣٥٢ = ١٩٣٣ م ، وأحدثها نشرة كرم البستاني بعنوان ديوان
ابن هاني الأندلسي في بيروت (دار صادر) ١٩٥٢ م . وقد صححنا النص على
هذه الأخيرة كما أدخلنا بالحواشي بعض ما اسقطه الناسخ من الآيات نظرا
لأهمية هذه القصيدة التاريخية وهي طويلة .

(٢) في الأصل : بنوا .

(٣) في الأصل : قد . وصححه في الديوان (كرم البستاني) ص ١٣١ .

(٤ - ٤) كذا في ديوان ابن هاني ص ١٢١ وفي الأصل : وقد وفدت
إليه وفودها

(٥) في الأصل : فذاك . وصححتها بالديوان ص ١٢١ .

(٦) في الأصل : تمرون . وصححتها من الديوان ص ١٢١ .

(٧ - ٧) في الأصل : العراض . وبقية البيت معطوس ، فأكلناه من الديوان
ص ١٢١ . و يتلو هذا البيت بيت ساقط من الأصل وهو الآتي :

وقد أشرفت خيل الإله طوالها على الدين والدنيا كما طلع الفجر

وذا ابن نبي الله يطلب وتُره وكان حَرِّ ١ أن لا يضيع له وتر
ذروا الورد في ماء الفرات لخله فلا الضَّحْل ٢ منه تمنعون ولا الغمر
أفى الشمس شك أنها الشمس بعد ما تجلّت عيانا ليس من دونها ستر
وما هى إلا آية بعد آية ونذر لكم إن كان يغنيكم النذر ٣
أطيعوا إماما للأئمة فاضلا كما كانت الأعمال بفضلها الر
رِدُّوا ساقيا لا تنزفون ٤ حياضه بجموما ٥ كما لا تنزف الأبحر الذر
فان تتبعوه فهو مولاكم الذى له رسول الله دونكم الفخر
ولا إلفيدا للبعيد ٦ فيه وبينكم ما لا يقربه الدهر
أفى ابن أبي السبطين أم فى طليقكم ٧ تنزلت الآيات و السور الغر ؟

(١) فى الأصل : حرا .

(٢) فى الأصل : الضحك . وصحته من الديوان ص ١٣٢ .

(٣) المقصود بكلمة « النذر » الإنذار . وبلى هذا البيت فى القصيدة آخر ساقط من النص (انظر الديوان ص ١٣٢) :

فكونوا حصيدا خامدين أو ارعوا إلى ملك فى كفه الموت والنشر

(٤) فى الأصل : يعرفون . - وصحته من الديوان ص ١٣٢ .

(٥) فى الأصل : جموحا . - وصحته بالديوان ص ١٣٢ . والجموم الكثير الماء . والذر صغار النمل .

(٦-٧) الشطر مطموس أغلبه فى الأصل ، وقد أخذناه عن الديوان ص ١٣٢ .

(٧) فى الأصل : طليعتكم . وصحته من الديوان ص ١٣٢ . والمقصود بابن

أبى السبطين على بن أبى طالب و الطليق هو عباس بن عبد المطلب أصل العباسيين .

١ بنى نَتَلَّة ما أورث الله نَتَلَّة ١ وما نسلت ٢ هل يستوى العبد والحر؟
 وأنى بهذا وهي أُنْعِدَت بِرَقَّهَا أباكم فأياكم ودعوى هي الكفر
 ذروا الناس ردوهم إلى من يسوسهم فما لكم في الأمر عُرف ولا نُكْر
 أسرتم قروما بالعراق أعزّة فقد فُكّ من أعناقهم ٣ ذلك الأسر
 وقد بزّكم أيامكم عُصَب الهدى وإنصار دين الله والبيض والسمرة
 ١ ومقتبل أيامه متهلل ٤ إليه ٥ الشباب الغضّ والزمن النضر
 أدار كما شاء الورى وتحيزت على السبعة الأفلاك أنمله العشر
 أتدرون من أزكى البرية منصبا وأفضلها إن عُدد البدو والحضر؟
 تعالوا إلى حكام ٦ كل قبيلة ففى الأرض أقيال وأندية زهر
 ولا تعدلوا بالصيد من آل هاشم ولا تتركوا فِهرا ٧ وما جمعت فهر ١٠
 فجثوا بمن ضمت لُوى ٨ بن غالب وجثوا بمن أدت كنانة والنضر
 ولا تذروا عليا معدّ وغيرها ليُعرف منكم من له الحق والأمر

(١ - ١) فى الأصل : فى نسله ما أورد الله مثله ٠ - والتصحيح من الديوان

ص ١٣٢ ٠ والمقصود بنى نتلة أم عباس بنت جناب بن كليب ٠

(٢) الكلمة غير واضحة بالأصل فأخذناها عن الديوان ص ١٣٢ ٠

(٣) فى الأصل : أعناقهم ٠

(٤ - ٤) هذا الشطر نخبيل بالأصل فأخذناه عن الديوان ص ١٣٣ ٠

(٥) ساقطة من الأصل واردة بالديوان ٠

(٦) فى الأصل : أحاكم ٠ وصححه بالديوان ص ١٣٣ ٠

(٧) فهر قبيلة من أصول قريش ٠

او من عَجَب أن اللسان جرى لهم بذكر على حين انقضوا وانقضى الذكر
فبادروا وعنى^٢ الله آثار ملكهم فلا تخبر بلفاك عنهم ولا تخبر
ألا تلکم الارض العریضة أصبحت ولا لبني العباس من عرضها شبر^٣
فقد دانت^٤ الدنيا لآل محمد وقد جَرَرَت أذيالها الدولة البكر^٥
ورد حقوق الطالبين من زكـت صنائعه في آله وزكا الذخر
معز الهدى والدين والرحم التي به اتصلت أسبابها وله الشكر^٦
من انتاشهم في كل شرق ومغرب^٧ فبُدِّل أمانا ذلك الخوف والذعر^٨
فكل إمـى يحق كأنما على يده الشعرى وفي وجهه بدر

(١ - ١) البيت - اقط من الأصل و وارد بالقصيدة في الديوان ص ١٣٣ وإيراده بالنص لازم لأحكام السياق .

(٢) في الأصل : وعفا .

(٣-٣) بالديوان ص ١٣٣ : وما لبني العباس في عرضها فتر . وكلا الشطرين جائز .
(٤) بالديوان : دالت .

(٥) كذا بالديوان ، وفي الأصل : الغر .

(٦) ورد هذا البيت في غير موضعه بالأصل فنقلناه إلى هنا عن القصيدة بالديوان .

(٧-٧) بهذا الشطر خبل فأخذناه عن الديوان ص ١٣٤ .

(٨) كذا بالديوان ، والكلمة في الأصل : والدهر .

(٩) اختلطت الأبيات التالية في النص ، فأثرنا إعادة تنظيمها على أساس أصل القصيدة بالديوان ص ١٣٤ - ١٣٥ . مع إضافة بيتين في موضعها حتى يكتمل تسلسل المعنى .

ولما تولت دولة الثَّصِبِ عنهم تولى العمى والجهل واللوم والغدر
 حقوق أتت من دونها أعصر خلت فما ردها دهر عليهم ولا عصر
 فجرد ذو التاج المقادير دونها كما جردت يرض مضاربها حمر
 فأنقذها من برثن الدهر بعد ما 'تواكلها القرس المذيب والهضر'
 فأجرى على ما أنزل الله قسمها فلم 'يتخترم' منه قتل ولا كثر ه
 فدونكموها ٤ أهل بيت ٤ محمد صفت بمعز الدين جماتها الكدر
 فقد صارت الدنيا اليكم مصيرها و صار له الحمد المضاعف والشكر ٣
 إمام رأيت الدين مرتبطا به فطاعته فوز وعصيانه خسر
 'أرى مدحه كالمدح لله أنه' قنوت وتسيح يحط به الوزر'

[بن ٦١ : ب] وهى طويلة مذكورة بديوان أبى القاسم محمد بن هانى ١٠
 الأزدي. ولما مات أبو القاسم بن هانى المذكور حزن عليه المعز حزنا
 شديدا وقال: مات رجل كنا نفاخر به أهل المشرق ٨٠٠ بمصر قائد جيوشها
 عشرين سنة إلى أن قتله الحاكم العبيدى الآتى ذكره إن شاء الله تعالى .
 (١) فى بن : بجر .

(٢-٢) فى الأصل : توكلها العرش المبين والهضر . - والصواب ما أوردها
 عن الديوان ص ١٣٤ .

(٣) البيت ساقط من الأصل ، فأخذناه عن الديوان ص ١٣٤ .

(٤-٤) فى الأصل : جيت آل - والمقصود « بيت آل » .

(٥) فى بن : أمواها .

(٦-٦) فى الأصل : أرى مدحه من طاعة الله أنه - وقد أخذنا النص عن
 الديوان ص ١٣٥ .

(٧) وللقصيدة بقية طويلة فى نعمة وخمين بيتا . انظر الديوان ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٨) بياض بالأصل .

وكان العبيدون أولهم أبو محمد عبد الله المهدي^٢ الذي عمّر
 المهديّة بأرض المغرب على ساحل البحر، وهي مدينة حصينة ليس للفرنج
 عليها سبيل لحصاتها. ومولده ببغداد سنة ستين ومائتين. ووصل إلى
 مصر في ذى الحجة سنة تسع وثمانين ومائتين، وغدا إلى المغرب تسلطن
 به، ثم تسلطن بعده أبو القاسم محمد القائم بأمر الله^٣، ثم أبو معد إسماعيل
 المنصور بالله^٤، ثم أوتيمم معد المعز لدين الله^٥ إسماعيل المنصور، وهو
 الذي أتى من المغرب إلى مصر وعمّر له القاهرة جوهر نقائد، وقيل
 بينما المعز مارا في موكبها ظاهر القاهرة وإذا بأمر (أ)ة^٦ استقبلته بيدها
 طار تطبل به وتقول: يا بني العباس ردوا ملك الدنيا معد. إنها الدنيا
 ١٠ عوادي والعوادي ترد^٧. فأعجب المعز قولها بحنين صوتها وتك...^٨
 هذين البيتين اللذين لا قابحاطره، فقال: تعطى هذه الطبالة هذه الأرض
 إلى حيث انقطاع حس طلبها. فأعطيتها فسميت أرض الطبالة إلى الآن.
 وهذه لغة المغاربة يقولون للرجل الضارب للطل طبال وللراة^٩ الضاربة
 بالطار طبالة.

(١) في الأصل: كانت.

(٢) وسلطته في المهديّة ٢٩٧ - ٣٢٢ = ٩٠٩ - ٩٣٤ م.

(٣) حكمه ٣٢٢ - ٣٣٤ = ٩٣٤ - ٩٤٥ م.

(٤) حكمه ٣٣٤ - ٣٤١ = ٩٤٥ - ٩٥٢ م.

(٥) حكمه ٣٤١ - ٣٥٠ = ٩٥٢ - ٩٧٦ م.

(٦) في الأصل: بامرة.

(٧-٧) آثرنا استرسال هذين البيتين في النص لعدم استقامة ميزان الشعر فيها.

(٨) الكلمة مطموسة جزئيا ولم نستطع حلها في السياق.

وكان المعز المذكور خرج بأهله وحاشيته وجنوده من مدينة المنصور من أرض المغرب قاصدا الديار المصرية بعد ما مهد له غلامه جوهر القائد أمرها ، وبنى له القصرين . فاستخلف المعز على بلاد المغرب ونواحيها وصقلية . وأعمالها نوابا من حزبه وأنصاره من أهل تلك البلاد . ودخل المعز إلى الديار المصرية وصحبته توايت آباءه . فوصل إلى الإسكندرية وقد تلقاه أعيان مصر إليها ، فخطب الناس خطبة بليغة ذكر فيها فضلهم وشرفهم وأن الله تعالى أفاض الرعايا بهم وبدولتهم . وكان إلى جنبه قاضى مصر فقال له : هل رأيت خليفة أفضل منى ؟ فقال : لم أر من الخلفاء سوى أمير المؤمنين . فقال له : أحججت ؟ قال : نعم ! قال : زرت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ! قال : ١٠ وقبر أنى بكر وعمر ؟ قال القاضى : فتجبرت ما أقول لأن المعز شيعى المذهب يبغيضهما ، ثم نظرت فإذا ابنه قائم مع كبار الأمراء فقلت : أشغلتى عنهما زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أشغلتى أمير المؤمنين عن السلام على ولده وولى العهد من بعده ونهضت إلى ولده فسلمت عليه ورجعت ، فانفسخ المجلس إلى غيره . وذلك أن ١٥ لعبيدين الزاعمين أنهم فاطميون كانوا شيعة تقولون فى أذانهم بعد الحيعتين ٢ حى على خير العمل . يقولونها مرتين كما تقولها الزيدية فى أذانهم مكة والمدينة فى غير أيام الحج وكذلك بصعدة أيضا وغيرها

(١) فى الأصل : ونوابا .

(٢) المراد بـ«حى على الصلاة» و«حى على الفلاح» من كلمات الأذان .

من أرض اليمن، ولهم مذهب خامس غير المذاهب الأربعة، وهم يغضون أبابكر وعمر رضي الله تعالى عنهما - انتهى .

نعود إلى ذكر بعض أخبار المعز، وذلك أنه لما وصل إلى الإسكندرية تلقته أكابرها، ثم دخل بها الحمار، و سار من الإسكندرية إلى مصر فزل بالقصرين، فيقال إن أول دخوله موضع ملكه خراً ٥ [بن ١٦٢ : الف] ساجداً لله تعالى . ثم كان أول حكومة حكم فيها أنه تقدمت إليه امرأة محمد الإخشيد فذكرت له أنها كانت أودعت رجلاً من اليهود قبا من لؤلؤ منسوج بالذهب مكلل بأصناف الجواهر في جرة نحاس حين زال ملكهم وأنه جدد ذلك . فاستحضره وقرره، فجدد اليهودي ذلك و أنكره . فأمر عند ذلك المعز بأن تحفر داره و يستخرج ما فيها، فوجدوا القبا في الجرة مدفونا . فسلمه المعز إليها . فقدمته المرأة إليه و قالت : ما بقي هذا يصلح لمثلي وإنما يصلح لحظاياك . فأبى أن يقبله منها، و قالت : أنت أحق به فاستحسن ذلك منها، و أخذته المرأة و انصرفت . فكانت خلافته سنتين و ستة أشهر .

١٥ وولى ملك مصر بعد المعز ولده العزيز لدين الله نزار، وكان يحب اللعب بالحمام، وكان وزيره يعقوب بن كلس، و إليه تنسب الحارة

(١) كذا في الأصل . فاذا أدخلنا النقط على الحاء أصبحت الكلمة « الحمار » وهو جائز .

(٢) في الأصل : فأبا .

(٣) في الأصل : منه .

(٤) كذا في الأصل ، و التاريخ هنا لا يتفق و التواريخ المعروفة المعتمدة حتى إذا اعتبرنا أن ما ذكره التويري قاصر على خلافة المعز بمصر لحسب .

المعروفة بالوزيرية وبساتين الوزير . فكان العزيز له مقاصير حمامات ولوزيرته كذلك ، فقال العزيز لوزيرته المذكور : أريد المسابقة بحمامي وحمامك . فتسابقا فغلب حمام الوزير حمام العزيز ، فغضب العزيز وشق عليه ذلك ، تخاف الوزير على نفسه منه ، فأشدد يقول :

قل لأمر المؤمنين الذي له العلا والنسب الشاقب
طائر ك السابق لكنه لم يأت إلا وله حاجب

حينئذ سر بمقالته ورضى .

وولى ملك مصر بعد العزيز بن المعز منصور الملقب بالحاكم . وهو الذى بنى جامع الحاكم بالقاهرة ، فحول إليه الجمعة ، وترك الجامع الأزهر ، فلم تكن تقام فيه الجمعة من حين بنى الحاكم جامعته الذى هو ١٠ بين بابي الفتوح والنصر إلى زمن دولة الملك الظاهر بيبرس كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى . وكان الحاكم المذكور منع النساء فى دولته من الخروج من المنازل ، وأن لا يتطلعن من الأسطحة والطاقت ، ومنع الحفافين من عمل الاخفاف لهن ، ومن الخروج إلى الحمامات ، وقتل خلقا من النساء على مخالفته فى ذلك . وهدم بعض الحمامات عليهن ، ١٥ وجهن عجائز كثيرة تطفن فى البيوت يستعلن أحوال النساء ممن تعشق أو يعشق بأسمائهن وأسماء من يتعرضن له ، وأكثر من الدوران فى الليل بالبلد ، وأحرق بيوت من يطلع على فسقه من الرجال والنساء ، فطاق النطاق على الفساق ، ولم يتمكن أحد منهم أن يصل إلى أحد

إلا نادرا، حتى أن امرأة نادت قاضي قضاة مصر و هو مالك بن سعيد الفارق، و حلفت بحق أمير المؤمنين الحاكم الأمان، و وقف لها و استمع كلامها، فوقف لها فبكت بكاء شديدا و قالت: إن لي أcha ليس لي غيره و هو في سياق الموت، و أنا أسألك الأمان و صلتني إلى منزله لأنظر إليه قبل أن يفارق الدنيا. فرق لها القاضي رقة شديدة، و أمر رجلين معه أن يكونا معها حتى يبلغاها إلى المنزل الذي تريده، فأغلقت بابها و أعطت المفتاح جاريتها و ذهبت حتى وصلت مع الرجلين إلى منزل رجل تهواه و يهواها، فأخبرته بما احتالت به من الحيلة على القاضي و أعجبه، و جاء زوجها من آخر النهار فوجد باب داره مغلقا، فسأل عن زوجته، فذكر له ما صنعت، فاستغاث على القاضي و ذهب إليه و قال: ما أريد زوجتي إلا منك، فانها ليس لها أخ بالكلية، و إنها ذهبت إلى عشيقها. فخاف القاضي من معرفة هذا الأمر، فركب إلى الحاكم و بكى لديه، فسأله عن شأنه، فأخبره بما اتفق له من الأمر، فأرسل الحاكم مع الرجلين اللذين وصلها من يحضر الرجل و المرأة جميعا على أى حال ١٥ كانا عليه، فكسروا الباب، [ن ١٦٢: ب] فدخلوا فوجدوهما متعانقين سكارى، فحملوهما إلى الحاكم، فسألها الحاكم فأخذا يعتذران بما لا يحصى

(١) في الأصل: الاما... و التركيب في الجملة إذا تركنا الأصل على ما هو عليه غريب، و اعتقادنا أن بعض الحروف ساقطة من الكلمة و هي «الأمان» فأبرزناها كما في النص.

(٢) في الأصل: وصاتني. و أغلب الظن أن المرأة طلبت من القاضي الأمان و توصيلها لأخيها. (٣) في الأصل: و بكاء. (٤) في الأصل: فوجدها.

شيئا، فأمر بتحريق المرأة بالنار فخرقت ، وضرب الرجل بالسياط ضربا مبرحا ، وازداد احتياط الحاكم العبيدي على النساء إلى أن مات .
وكان أمير المؤمنين الحاكم قد عدم ، فاستبشر المسلمون بذلك لأنه كان جبارا عنيدا و شيطانا مريدا . وكان كثير التلون في أفعاله وأقواله . وكان يروم أن يدعى الإلهية كما ادعاها فرعون ، لأنه كان أمر الرعية إذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوموا على أقدامهم صفوفًا إعظاما لذكّره ، واحتراما لاسمه . فكان يفعل هذا في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين . وكان أهل مصر على الخصوص إذا قاموا خروا سجدا حتى أنه يسجد بسجودهم كل من في الأسواق . وفعل أشياء قبيحة تركت ذكرها لشاعتها . قال ١٠٠
في تاريخه أن الحاكم العبيدي كفر كفرا لم يكفره فرعون . ومات مقتولا ، ١٠
وصفة قتله أنه اتهم أخته بنت الملك بالفاحشة وأسمعها غليظ الكلام ، فبرمت منه . عملت على قتله ، وأرسلت إلى أكبر الأمراء الذي يقال له ابن دواس ، وتوافقت هي وإياه على قتله . فجهز من عنده عبيدين أسودين وقال لهما : إذا كان الليلة القلانية فكونا بالجليل المقطم . ففي تلك الليلة يكون الحاكم هناك في الليل لينظر في النجوم ، وليس معه إلا ركابي وصبي ١٥

(١) في الأصل : بتحقيق . والكلمة مصححة بنفس القلم إلى تحريق .

(٢) قراءة الاسم هنا أشكلت فالكلمة غير منقوطة وجائز قراءتها « احيان » أو « احسان » أو « اختن » وكل هذه القراءات لا تدل على من يمكن متابعتها بين مؤرخي الدولة الفاطمية فتركنا المكان بياضا .

(٣-٣) في الأصل : سب الملوك . وهو تحريف لاسم أخت الحاكم بأمر الله ، وقصتها معروفة وكذلك اسمها .

فاقتلاه ، واقتلاهما معه ، واتفق الحال على ذلك . فلما كانت تلك الليلة قال الحاكم لأمه : إن في هذه الليلة علىّ قطعاً ، وإن نجوت منه عمرت أكثر من ثمانين سنة ، ومع هذا فانقلبي إليك حواصلي . فإني أخاف ما أخاف من أختي . فنقل حواصله إلى أمه ، وكان له في صناديقه قريب من ثلاثمائة ألف دينار و جواهر آخر . فقالت له أمه : إذا كان الأمر كما تقول . فارحمي ، لا تركب في ليلتك هذه إلى موضع . فكانت من كاشفه ٢ أن يدور حول القصر كل ليلة . فدار ثم عاد فنام إلى قريب من ثلث الليل الأخير ، وقال : إن لم أركب الليلة فأمنت نفسي ، فركب فرسا فصحبه صبي والركابي ، وصعد إلى الجبل المقطم فاستقبله ذلك العبدان ، فأنزلاه عن مركوبه وقطعا يديه ٣ ورجليه وبقرا بطنه و أتيابه مولاهما الأمير ابن دواس ، فحمله إلى أخته ، فدفتته في مجلس دارها . و بايع بعده أبا الحسن على ولقبه بالظاهر . ولما بنى الحاكم الجامع المنسوب إليه بالقاهرة ، بنى فيه دار العلم . وأجلس فيها الفقهاء ، ثم بعد ثلاث سنين من بنائها أهدمها ، وقتل خلقا كثيرا ممن كان بها من الفقهاء والمحدثين ١٥ و أهل الديانة ، وكان يأمر بأن يكتب على حيطان المساجد السب للصحابة . ثم يأمر بعد مدة بمحوها . وكان يأمر بجمع الأعتاب توضع (١) في الأصل : نطع .

(٢) كذا في الأصل كما أمكننا قراءتها مصححة ومطموسة جزئيا ، وتركيب الجملة كما هو في الأصل غير محكم ولكن المدلول واضح على كل حال .

(٣) في الأصل : يده .

(٤) في الأصل : بنا .

على شاطئ النيل و تداس بالبقر فيسيل ماؤها فيه . و كان يمنع الناس من أكل الملوخية ا و لحوم البقر ١ . و كانت أحكامه متنافضة ، يأمر بالشيء ثم يمنع منه . و كان يأمر بهدم الكنائس التي لليهود والنصارى فهدم، ثم يأمر بعد مدة ببنائها فبنى ٢ . وله سير غير مرضية لو استقصيتها لرأيت "عجائب، منها أنه قال لكتّابه : كم ادّعى لنا الإلهية في دفترك من رجل؟ ٥ قال ستة عشر ألف نفر . [بن ١٦٣ : الف] و سلط على أهل مصر عبيده، فصاروا ٣ يؤذونهم و يهجمون ٣ (على ٤) دورهم حتى اجتمعوا و قالوا له : إن كان أمير المؤمنين (يأمر ٤) بالرحيل من مصر ارنحلنا، و وطئ عبد من عبيده امرأة رجل من أكابر أهل مصر غصبا ، فقتلت نفسها من فضيحتها من زوجها وأهلها . و كان جماعة من أهل مصر عملوا صورة امرأة من ١٠ أقفاص ، و يزروها بازار ، و نقبوها بنقاب ، بيدها قصة كأنها متظلمة . و أوقفوها على طريق ممرة ، فلما اجتاز بها قال : آتوني بقصة هذه المرأة . فلما فتحها رأى ما فيها مما سود وجهه من ظلمه و شتمه و لعنه . فقخص عن المرأة ، فإذا هي أقفاص صورت ، فلم أن أهل مصر عملوها . فلذلك سلط عبيده عليهم . و كل ما شكاه أهل مصر له يقول : ما أمرتهم ١٥

(١-١) مكررة بالأصل .

(٢) في الأصل : فبنا .

(٣-٣) في الأصل : يؤذونهم و يهجموا .

(٤) -اقطة من الأصل و تكتمل الجملة بذكرها .

(٥) في الأصل : شكى .

بشيء مما ذكرتموه . فلما بلغهم قتله كما تقدم ذكره ، فرح الفرح الكامل بذلك . وكانت خلافته خمسة وعشرين سنة .

ولما ولى ولده الظاهر لإعزاز دين الله ، أقام مدة ومات ، فولى بعده المستنصر^١ لدين الله سنة سبع وستين ، فأقام في الملك ستين سنة .
 ٥ . وعمر وزيره الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش جامعا بالإسكندرية بالقرب من سوق العطارين . وكان بدر الجمالي مملوكا أرمنيا رباه جمال الدولة ابن عمار . وكان سفاكا للدماء غير مراقب للعواقب . ثم إنه مات على فراشه غير قتيل . وكان ولد^٢ الأفضل بن بدر الجمالي وزيرا للاستعالي على الديار المصرية وهو الملقب تاج الملك . فحصل له من الأموال ١٠ والذخائر ما لم يسمع بمثله . قيل إنه كان له بقصره عشرة^٣ مجالس . في كل مجلس عشرة^٤ مسامير من ذهب ، زنة كل مسمار مائة مثقال ، يرسم تعليق عمامته وبقبعه . وكان عنده^٥ صندوقان ملائنان^٦ أبر ذهب يرسم عصابات حريمه وجواريه . وكان^٧ من جملة غلاله من يبيع ابن ماشيته في كل يوم بعشرة آلاف درهم . وكان له من الأموال ما لا تحصى .
 ١٥ الأفلام . وكان حسن الرأي ، فحل التدبير ، ولم يكن له قصد في سملك الدم . فقتلته طائفة من الإسماعيلية الملحدة . قال ابن الهيثم في كتابه المعروف

(١) خلافته ٤١١ - ٤٢٧ = ١٠٢٠ - ١٠٣٥ م .

(٢) خلافته ٤٢٧ - ٤٨٧ = ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م .

(٣) في الأصل : ولده . وهو خطأ قلبي واضح .

(٤) في الأصل : عشر .

(٥-٥) في الأصل : صندوقين ملائنين . (٦) في الأصل : كانت .

بالصاحح و الباغم و الحازم و العازم و الناسك و الفاتك في بدر الجمالى
و الأفضل ولده : كان بمصر بدر له عليها الأمر بقتل كل ساعة من أهلها
جماعة و يشرب الدماء حتى يخال ما أصلحها بسيفه و جوره و حيفه جزاء
كل فعل لديه سوء القتل لما عصاه ولده ، و بان منه نكده خنقه بيده
ثم رمى بحمده . ثم غزا . . . ١٠ حماه ، فحين قيد الأسرى قال : اقتلوه ه
صبرا عشرون ألفا كانوا حتى جرى الميدان في الليل من دمائهم ، و لج
في إفنائهم وهو على ظهر الفرس كضيقم إذا أفرس . و مات خنف
أنفه لم يعتسف بعسفه . و التاج تاج الملك كان قليل الفتك حرا قليل
النفس كملك في القدس مهذب الشمايل ، مقدس لخصائل ، موطن الأكتاف ،
ليس بذى اعتساف ، ما سل قط سيفاً ، لا استجاز حتما ، مهذب السيرة ١٠
أعدل و آل سيرة ، لا يعرف القساوة ، ليس له تفرق في المنام من شرطة
الحجام ، يرحم من يقصد لشيء ، لا يقصد برفقه ٣٠٠٠٠ و قتل المسكين
و أيما قتل قتل فصل منه ما وصل ، يعلم اللبيب أن القضاء عجيب ، و أن
للقصاص يوما [بن ١٦٣ : ب] يسوء العاصي ، و أمر هذى الدار للاعتبار
جارية ، ليس له جزاء لكنه ابتلاء .

١٥

- (١) مكان هذا البياض بالأصل كلمتان أو ثلاثة يصعب استيضاحها في سياق
العبارة ، و من الجائز قراءتها : ليرائه إذ ظن . - و بالكلام في هذا القسم ركاة
في التركيب و غموض في المعنى .
(٢) في الأصل : ليست .
(٣) غنا أيضا كلمة لا تقرأ تركنا مكانها بياضا و السياق مفهوم .
(٤) في الأصل : جارى .

و الأفضل هذا هو الذى بنى الجامع بالإسكندرية ، فصار بها جامعان ١
جامع غربى و جامع شرقى ، و الغربى هو العتيق ، و كان موضعه دير
للروم ، فزاد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الآتى ذكره فيه
زيادة كبيرة . و أهل الإسكندرية يحبون السعى إليه و الصلاة فيه .
هـ و الجامع الشرقى هو الجديد ، و هو القريب من سوق العطارين ، و كان
الفراغ من عمارة بدر الجمالى له فى سنة ست و سبعين و أربعمائة ،
و هو المعروف بالإسكندرية بالجامع الجيوشى ، و كان بانيه المذكور من
الشيعة الذين يقولون فى أذانهم حى على خير العمل . فدام ذلك فى
الأذان بالجامع المذكور إلى أن انقرضت دولة العبيدين الشيعة .
١٠ و أقبلت دولة السنين ، فأبطلوا منه ما كانت الشيعة تقوله فى أذانهم ،
ثم بطلت الخطبة و الجمعة منه و استمرت بالجامع الغربى مدة سنين .
فلم تزل كذلك إلى أن ولى قضاء الإسكندرية نجر الدين أحمد بن مسكين
الشافعى عوضا عن المالكية لأمور يطول شرحها ، و ذلك فى دولة
السلطان الناصر محمد بن المنصور قلاوون . فأقام به الخطبة و الجمعة
١٥ فاستمرت به إلى الآن .

و فى معنى ما كانت الشيعة تقول فى أذانهم من قولهم حى على
خير العمل نظم الشيخ الفاضل بهاء الدين عبد الله بن تاج الدين محمد
الدماينى فى شاب جميل رافضى أياتنا و هى :

ما سَلَّ سيف لحظة إلا قتل و طرفه أنفذ من وقع الأسل

(١) فى الأصل : جامعين .

فارس حسن لا يبالى أن سطا بلحظه في دهره بمن حمل
قلت وقد فرق حاجباه لي ما أضعف القوس وأقوى البطل
مذهب الرض فما أحبه ينفر من حى على خير العمل
وفي ربيع الأول من سنة اثنتين وسبعين وسبعائة ولى معين الدين
محمد ابن الشيخ بهاء الدين عبدالله المذكور نظر الإسكندرية، فشرع
في ترميم الجامع الغربى بها فرمه وجدد ياضه، فشكر على ذلك وصار له
به تذكار على عمر الدهر بما نقش على الرخامة التى فيها تاريخ ذلك
واسمه أيضا بأعلى بابه الشرقى والقبلى من أبواب الجامع، وكانت
الرخامة مزخرفة بالذهب واللازورد. ثم فى سنة ست وسبعين
وسبعائة، وسيأتى سبب قلعها وياض مكانها إن شاء الله تعالى. ١٠
ولما كان فى وقت العصر من يوم الثلاثاء الحادى عشر من ذى
القعدة سنة اثنتين وسبعين وسبعائة سقط عمود من الجامع الشرقى
فتكسر قطعاً، ولم يحصل بوقوعه لأحد ضرر. وكان ناظره إذ ذاك
قاضى القضاة كمال الدين ابن قاضى القضاة جمال الدين ابن قاضى القضاة
شمس الدين سبط النبى، فقال الشيخ بهاء الدين عبدالله والد الناظر ١٥
المذكور فى تجديد والده معين الدين محمد فى ياض الجامع الغربى وسقوط
العمود من الجامع الشرقى:

بين ٣٠٠٠٠ هما الجامع الشرقى صنع محمد

بجامعنا الغربى لما تضععضنا

- (١) فى الأصل قراءة الكلمة أقرب إلى «ثم» ولكن السياق يقتضى «ثم» .
(٢) كذا ظهرت بالأصل ولو أنها مشكوكة فى قراءتها .
(٣) كلمة أو بعض كلمة مطموسة .

تميز غيظا واستشاط تنمراً

وخر 'عمود غيره' فتقطعا

فقلع قاضى القضاة كمال الدين عمودا من الجانب البحرى من الجامع

المذكور ووضعه مكان العمود الساقط ، وأخذ عمودا من فندق الموز'

ه الذى بشارع المرجانيين المنهدم [بن ١٦٤ : ألف] بعمل الفرنج حين

الوقعة ووضعه مكان العمود بسرعة . ثم أن الشيخ الفاضل شهاب الدين

أحمد سليل الشيخ الصالح أبى العباس أحمد الشهير بالشاطر الدمهورى

لما بلغه ٣ البيتان المذكوران ٣ نظم ثلاثة أبيات ردا على قائلها فقال :

أنزّه بيت الله عن قول من هجا الجامعنا الشرقى تدعدا

١٠ أيزعم جملا أنه اغتاظ إذ رأى أخاه بأبواب البياض تلعا

وحاشا من غيظ به غير أنه من الذكر أضحي خاشعا متصدعا

فلما وقف الشيخ بهاء الدين عبد الله عليها أجابه بأبيات وهى :

أضحك أم يبكى من الحزن جامع به الدين و الذكر المبين تجمعا

و لم لا نبكيه و نبكى تأسفا و صوت فيه البوم جهرا و رجعا

(١ - ١) فى الأصل تصحيح جائز أن يكون بنفس النقل دون شطب : عموده

غيظا - و الغالب أن الكلمة الثانية « غيظا » لكن الوزن يقتضى استعمال الأصل

الغير المصحح

(٢) وربما كانت الكلمة « الموزة » .

(٣ - ٣) فى الأصل : البيتين المذكورين - بدون نقط .

و عمه جيش البلاد و اميره^١ مداء الدهر حزنا بالسواد تبرقا
تهدم منه بعضه فجميه على الكل ييكي حسرة و تفجعا
فرن بك^٢ هذا وصفه و صفاته أيفرح أم يبدى أسي و توجعا
و لم أتخذ عجزا سوى أن مقصدي أذكر جهدي أو أصادف موقعا
و قصدي به و الله يعلم أنني أريد به خيرا و صاحبه معا ه
فكيف و إنى باعتذارك خاطئا يخفف جهلا حاله الله يرفعا
و كيف به و الأفضلية فرقت مكانيهما شخصا ذاتا و موضعا
فأنت بنا تبدى و عيشك عالم و ذلك يا منقذى بعلم تشيما
و أنى لك الذكرى و لو شاء مقولى لشرط أوصال العريض و قطعاه
و لكن تقوى الله عن ذا تصدنى و شية إيماني و راعيت مارعا ١٠
و حسبك أن تشي عنانك مقلعا و إلاقاني عنك عنقاء و أجذا
و حسبك تركى أو أصادف مقتلا و إن ليس للانسان إلا ما سعا
قال المؤلف رحمه الله تعالى : و لما وقفت على الآيات الأولى و الثانية نظمت

(١) اقرأ الكلمة « و ميره » يستقيم بها ميزان الشعر .

(٢) في الأصل : مد .

(٣) في الأصل : يكن .

(٤) في الأصل : و بضعا . - و لا بد أن تكون الكلمة « و قطعا » لانسجامها
مع كلمة « لشرط » في نفس البيت و هي لفظة من العربى المصرى الدارج
و تحمل نفس المعنى الذى تؤديه لفظة « و قطعا » و الآيات في مجموعها من نوع
المنظرة و الأدب الشعبى السكندرى في القرن الرابع عشر الميلادى .

أيانا في الجامعين المذكورين ساويت بينهما في الأفضلية والعمارة
وهي :

رأى الجامع الشرقي ترميم جامع بغربي ثغر باليباض تلفعا
فسر له الشرقي عند سماعه لذاك فأضحى خاشعا متصدعا
ه فأكرم به من خشية ومرة لحسن صنيع من معين به سعا
بجوده حتى لقد صار روضة لكل رفيع القدر زال تورعا
وُسِّرَ به الغربي عند إقامة به لعمود بالعمارة أسرعا
فُسِّرَ جميعا بالعمارة فيها فطوبى لمن بالجامعين تركعا
فيرجا له الغفران من فضل ربه ليبلغ بالغفران بالخلد موضعا
١٠ لسان النويرى بالمديح مقصر بما قاله في الجامعين وأودعا
وفي المحرم سنة ثلاث وسبعين وسبعائة رَمَّم الجامع الشرقي وكسى
باليباض فقلت فيه :

غدا الجامع الشرقي بالحسن مبدعا له بهجة يصبوا له كل من سعا
يباض له كالياسمين تخاله كدُرَّ على حيطانه مترصعا
١٥ حوى روضة خضراء في وسط صحنه فأصبح ذاك الروض ربان مترعا
تمایل في يبض الثياب وحسنها وخير الثياب اليبض لونا منصعا
رأى الجامع الغربي حسن يياضه فصار الناس حسنها معا
سور' على الغربي (عا) د' ضياؤه ونور على الشرق ضاء مشعشعا

(١) في الأصل: صور .

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا .

لسان التويرى^١ بالمدائح فيهما كشد وكافور ومسك تضرعا

[بن ١٦٤ : ب] - انتهى .

ثم ان معين الدين الناظر المتقدم ذكره أقام ناظرا بالإسكندرية نحو سنة
وعزل منها ، فأقام مدة بطلا ، فسعى بالقاهرة أن يكون الجامع الغربى
تحت نظره ، فحسب تجديده لعبارة عوضا عن عزله عن نظارته وعوضا
عن ناظره موفق الدين العوفى الذى هو من ذرية عبد الرحمن بن عوف
رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان موفق الدين
المذكور هو الذى جدوده لهم انظر خلفا عن سلف على الجامع المذكور .
فلما بلغ موفق الدين السعى عليه فى نظر الجامع توجه إلى القاهرة وقدم
للسطان الملك الأشرف شعبان تواقيع الملوك السالفة بتواتر النظر له ١٠
ولأجداده ، فرسم السلطان الملك الأشرف شعبان باستمراره على جارى
عادته من غير معارض له ولا منازع . فلما قدم إلى الإسكندرية قلع
الرخامة التى نقش عليها معين الدين الدماينى الناظر كان اسمه بها ، فقلعها
من أعلا الباب ويّض مكان الرخامة المذكورة بعد البناء حتى لم يصر لها
أثر ، وكانت هذه الرخامة مزخرفة بورق الذهب واللازورد أيضا ، ١٥
ففسخ حكمها وذهب رسمها ، واستمر موفق الدين العوفى على جارى عادته
فى النظر على الجامع المذكور .

وقد تغفل بناء الكلام وتشعب إلى أن خرجنا عما كنا فيه من أخبار

(١) من الأمثلة المعدودة التى يذكر المؤلف اسمه فيها بصلب الكتاب . وهذا
طبعاً مثل من شعره ولا يعتبر من الأدب الرفيع ، ولكنه من أمثلة الأدب
السكندرى بهذا العصر .

العبيدين وهم أربعة عشر خليفة، فانقرضت دولتهم ب وفاة العاضد،
وذلك في سنة ست وستين وخمسمائة، أول دولتهم بمصر سنة ثمان وخمسين
وثلاثمائة، فكان ملكهم بمصر مائتين وسبعين سنة، فصاروا كما قال
الشاعر:

٥ وأناس تعد الدهر بهم زالت الأيام عنهم واليالي
وكان الناس في قلق شديد في زمن دولتهم . و قتل المعز في دولته الشيخ
الصالح أبا بكر النابلسي ، وكان بلغه عنه أنه قال : لو كان معي عشرة أسهم
قاتلت الروم بتسعة و قاتلت العبيدين بواحد . فأحضره و قال له : أنت
القائل كذا وكذا . فقال : لم أقل ذلك . ولكني قلت : لو كان معي
١٠ عشرة أسهم قاتلت الروم بواحد و قاتلت العبيدين بتسعة . قال : ولم ؟
قال : لأنكم عثرتم الرعية وقتلتم الصالحين . فأمر به ف ضرب بالسياط ضرباً
شديداً . ثم أمر به فسلخ وهو حي . و ذلك أنه جيء يهودي ، فجعل
اليهودي يسلمه وأبو بكر يقرأ القرآن . قال اليهودي فأخذتني رافة .
فلما بلغت تلقاه قلبه طعنت بالسكين فمات تخفيفاً له من عذاب السليخ .
١٥ فقيل أبو بكر الشهيد . واشتهر بالشهيد وإليه ينسب بنو الشهيد من أهل
نابلس إلى الآن . فيبغى الإنسان أن لا يتعرض لذي سلطان بالكلام

(١) في الأصل : فانقرت . وهو خطأ قلمي واضح .

(٢) التاريخ المضبوط لحكم الفاطميين في مصر يوم دخول المعز بها سنة ٥٢٢ هـ =

٩٧٣ م و سبقه دخول جوهر سنة ٥٢٥ هـ = ٩٦٩ م . أما نهاية الدولة فكان في

سنة ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م .

الحاد و خاصة المغاربة فانهم يتكون^١ من الكلام الفاضح ، فيكون قد ألقى نفسه إلى الهلاك. قال الله تعالى : ” ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة “ . وفي المثل السائر : اللسان سيف الإنسان . إن حسن الضرب به نجا ، وإلا مات موت الفجأ - انتهى .

قال المؤلف رحمه الله تعالى وقفت على بعض التواريخ فرأيت فيه ه نسخة محضر كتب في جملة محاضر يتضمن الطعن والقدح في نسب الخلفاء العبيديين الذين يزعمون أنهم فاطميون . ليسوا كذلك بل نسبتهم إلى ديسان بن سعيد الخزيمى في الدين ، وكتب في ذلك [ين ١٦٥ : الف] جماعة من العلماء و الفضلة و الفقهاء و الأشراف و الأماثل و المعدلين و الصالحين . و سأذكر نص المحضر و هو : شهدوا شهوده الواضعون ١٠ خطوطهم آخره ، شهدوا جميعا أن الناجم بمصر و هو المنصور بن بزار الملقب بالحاكم ، حكم الله عليه بالبوار والدمار والحزى والشكال والاستئصال ، ابن العزيز بن المعز معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا أسعده الله ، فإنه لما صار إلى المغرب تسمى بعبيد الله و تلقب بالمهدى . و من تقدم من سلفه من ذراجنس و الأنجاس عليه و عليهم لعنة الله و لعنة اللاعنين ١٥ إذ هم خورج لا نسب لهم في ولد على بن أبي طالب ، و لا يتعلقون منه بسبب ، و أنه مزود عن باطلهم و زورهم ، و أنه لا يعلمون أن أحدا من أهل بيوتات الطالبيين توقف عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج أنهم أدعياء . و قد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعا في الحرمين و في ٣٠٠٠ وله (١) في الأصل : يفتكوا . (٢) قرآن كريم ٢ : ١٩٥ .

(٣) هنا سقوط واضح من بن رغم استمرار الكلام فتركنا بيضا للدلالة عليه .

أمرهم بالمغرب ينتشر انتشار المنع من أن يدلس على أحد كذبتهم أو يذهب
وهم إلى تصديقهم ، و أن هذا الناجم بمصر هو و سلفه دار فساق فجار
و ملحدون و زنادقة معطلون و للإسلام جاحدون و لمذهب الشيعة
و المجوسية معتقدون ، قد عطلوا الحدود و أباحوا الفروج و أحلوا الخمر
٥ و سفكوا الدماء و سبوا الأنبياء و ادعوا الربوبية . و ذلك أن الحاكم
العبيدي قال لكاتبه : كم ادعى لنا الآن الربوبية من رجل في حسابك ؟ فقال :
سنة عشر ألف رجل - انتهى .

نعود إلى ذكر المعز جد الحاكم . قيل إن المعز معد لما دخل مصر ،
و جلس على سرير الملك قال له الشريف طباطبا : يعرض علينا الملك
١٠ نسيه . فلما قال له ذلك كشف عن دنائير في منديل و جرد عن بعض
سيفه - و كان أحدهما لذلك لأنه علم أنهم لا يد أن يسألوه عن نسيه .
فقال المعز^١ في جوابه : هذا حسي - و أشار إلى الذهب ، و قال :
هذا نسي - و أشار إلى السيف . فمن رضى فله هذا و أشار إلى الذهب ،
و من سخط فله هذا و أشار إلى السيف . فلما قال المعز ذلك قال جميع
١٥ الحاضرين بمجلسه : سمعنا و أطعنا رغبة و رهبة . قال بعضهم في المعز علموا
صارما ، و قالوا صدقنا . فأجبتنا معا سمعنا و أطعنا . فهذا يدل على كذبتهم
في أنسابهم الذين ادعوا ، إذ ليس لدعواهم صحة في قولهم نحن^٢ عبيدون
فاطميون .

(١) في الأصل : الشريف . و هو خطأ واضح صححه في النص .

(٢-٢) في الأصل : عبيدين الفاطميين .

[الدولة الأيوبية]

ولما انقرضت دولتهم بموت العاضد، تسلط الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب، فأمر بالدعاء في الخطبة لبني العباس كما كانت أولا، وخطب الخليفة المستضيء^١ بنور الله أحد خلفاء بني العباس، وقطع من الأذان حتى على خير العمل من الديار المصرية كلها. وصنف الشيخ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي كتاباً سماه السراج المضيء في خلافة المستضيء. وصار السلطان صلاح الدين يوسف^٢ نائباً له بمصر على ما كانت عليه خلفاء بني العباس الأول. وهرب نزار العاضد والامير كنز الدولة إلى ناحية أسوان خوفاً من السلطان، فجهز إليهما جيشاً مقدمه أبو بكر القائم بعده فقتل ١٠ نزار بن العاضد والامير كنز الدولة. وصارت ذرية كنز الدولة إلى الآن بأسوان يعرفون بأولاد كنز الدولة. ثم أن السلطان صلاح الدين يوسف أقطع الفيوم لأخيه تقي الدين بن أيوب، فسكن به وعمر على خليج لمنهى دوره. وهو الخليج المنسوب حفره انبي الله يوسف الصديق عليه السلام. فأقام بالفيوم سنين ثم نقله السلطان من الفيوم إلى مدينة حماة، فوقف داره الكبيرة مدرسة على طائفة الفقهاء المالكية. وبنائها على رتبة ديار الإسكندرية بمجلس مطوى الأبواب [بن ١٦٥: ب] يادهنج

(١) خلافته ببغداد ٥٦٦ - ٥٧٥ = ١١٧٠ - ١١٨٠ م.

(٢) سلطنته بمصر ٥٦٤ - ٥٨٩ = ١١٦٩ - ١١٩٣ م.

في صدره يلقى الهواء فيه ، أحكام بجانب المجلس ، وقاعة و صفتين متقابلتين
و بيت عرضي في صدره شبابيك مشرفة على خليج المنهى ، و جعل حرمة
الدار المذكورة (و) قفا ' على طائفة فقهاء الشافعية ، و وقف دارا أخرى
بجاورة لها على طائفة فقهاء الصوفية ، و أقام بها ' محاريب و تركها ٣ على
هـ ذلك على بنائها ' الأول ، و عراب الدار الكبيرة بصدر مجلسها . و وقف
على المدرستين و الخانقاه و قوفا كثيرة من أملاك ' تجار أراضى ' تزرع ،
و مقاسم مياه تقسم على تلك الأراضى الموقوفة تسقيها . و هى مستمرة
جارية عليها إلى الآن ، جزاه الله تعالى عن فعله خيرا .

[المؤلف و ظفر القبرسى بالاسكندرية]

١٠ قال المؤلف رحمه الله تعالى : و لما ظفر القبرسى بالإسكندرية في
آخر المحرم سنة سبع و ستين و سبعمائة ، و شرد غالب أهلها منها ،
خرجت بعيالى معهم . فقصدت بلدة النورية ' بالصعيد الأدنى من مصر ،
إذ ذاك مدرس المدرسة المالكية بمدينة الفيوم الشيخ الإمام العالم

(١) في الأصل : قفا - و واضح خطأها القلمى للفظه « وقفا » .

(٢) في الأصل : بهم .

(٣) في الأصل : و تركهم .

(٤) في الأصل : بنائهم .

(٥-هـ) يجوز قراءة الكلمتين : تجاو أراضى - و لا تفيد معنى ، و القراءة
الأخرى تفيد معنى أخذنا به رغم غرابته .

(٦) من القرى البوصيرية بالصعيد الأوسط - ذكرها ابن عماتى (كتاب قوانين
الدواوين) ص ١٠٣ و قد نسب إليها المؤلف .

شرف الدين أبو حفص عمر ابن الشيخ الإمام العالم تاج المدرس بها قبله
ابن الشيخ الإمام العالم شرف الدين الشهير بابن سعيد الناس، فصار متشوقا
لرؤيتي، وذلك للصحة التي بيني وبينه ببلد النوبة من المكتب وبالاشتغال
بالقاهرة بالمدرسة المنصورية لأخبره بما اتفق بالإسكندرية، فحدثه
بآيات ذكرت فيها ما اتفق بها، وسرت بها إليه فسلمت عليه، فسر بقدمي هـ
وورودي عليه، فقرأتها بين يديه بمجلسه العام، فتعجب من ذلك وتألم
لما جرى للسليين. وسأذكر هنا بعض تلك الآيات وهي:

يا سيد العلماء لا يخفك ما	قد شاع في وعلا وفي الديماس
بمصية نزلت بأهل مدينة	محروسة بالجيش والاحراس
نهبت بأيدي كل عالج كافر	متعطّل متجهم خناس ١٠
من قبرس جاء بسفن خلقتها	بقلوعها تزهو على القرطاس
أعنى بها إسكندرية أنها	بلد العلوم وقاعة الإيناس
أتت الفرنج إلى محل ديارها	بالمرهفات تجلبوا بلباس
من أعين الزرد النفيد تسربلوا	وتنكبوا بوقارة الأقواس
والبيض فوق رؤسهم مصقولة	موضوعة كالوزن بالقسطاس ١٥
لاقتهم جمع المغاربة التي	من تونس أو ضيغم مكناسي
رمت الفرنج عليهم فتراجعوا	عنهم قفروا مع رعاك الناس
فسعى العدو وراءهم بسلاحه	ضربوا الحسوم وسفقوا للراس
فروا لعلة جمعهم ولو انهم	جمعا كبيرا من مدينة فاس

(١) وجاز أن تكون: تجلبوا.

كانوا يحرقون كل الفرنج بأسرهم بحصيدهم جميعهم و الرأس
 قصدوا المدينة أحرقوا بابا لها يدعا ياب النورد بين الناس
 بابا صغير القد منه بضايعا تباع في الديوان بالأكياس
 هجموا من الباب المعين ذكره دخلوا وكروا كربة في الناس
 ه فسمعوا ورا من فر عند دخولهم سفكوا الدماء بكل قلب قاس
 أسروا الأسارى قبل نهب ديارها جالوا كجولة لعبة البرجاس
 شردت أناس مسلمون تشتتوا من بعد عز في بلاد الناس
 حيرى تراهم في البلاد بذلة من كثرة الإعدام والإفلاس
 فشردت معهم بالعيال مشتتا ولهان من ذعر جري الناس
 ١٠ وتركت كتبي والأثاث جميعه حيران أضرب أخسى أسداسى
 بلد أنويرة (قد) قصدت بعلى قدما بها وطى و كناسى
 وتشوقت نفسى لرؤيته سيد يدعا جيارا بين سيد الناس
 ومنها في مدح:

يامن غدا بمدينة الفيوم في عز جليل شائع في الناس

- (١) في الأصل جميع . ولفظة « كل » تساويها و يتزن البيت بها فأبدلناها .
- (٢) في الأصل: تنباع . وهى اللفظة المعروفة بين الشعب فى اللهجة المصرية الدارجة .
- (٣) في الأصل: جرى - بدون واو العطف وهى لازمة لسياق ووزن البيت .
- (٤) غير موجودة بالأصل ، وزيادتها يتزن الشطر الأول من هذا البيت .
- (٥) لشرط الثانى من البيت مكسور ، وهو كذلك بالأصل ، وحازر أن تكون كلمة « كناسى » بالشين بدل السين لاستقامة المعنى وليس القافية .

يا من لدرس المالكية شاده بفضائل مأسوسة بأساس
 ياسيدا ياماجدا بمدينة قد أسست فيما مضى بأساس
 من حين وضع حجارة اللاهون بالمنهى^١ كالجيل الشديد الراسي
 ان ابن قاسم مخلصالك بالدعا يرجو الإجابة من إله الناس
 لازلت محروس الجناح بغبطة في نعمة مشوتة الأغراس^٥ [بن: ١٦٦: الف]
 ما رجعت في الأيك شجع حمامة^٢ وتجذلت^٣ من ريشها بلباس
 والله يمتع من فوايدك الورى حتى يصيروا من حلاك كؤاسي^٤

[ذكر الصوفية]

نعود - ولما حبس تقي الدين بن أيوب مدرسته و خانقته على العلماء
 و الصوفية؛ ابتغا. مرضاة^٥ الله، حصل له بذلك الأجر الكبير عند الله، لأن ١٠
 المدارس بنيت للاشتغال بالعلوم الشرعية، لأنها أركان من المعادن
 الجوهر. قال بعضهم: العلم صحبته مهابة و جلاله. و العلم من كنوز
 الجوهر. و قال: العلم بحر و الفهم جواهره، و الفكر غواصه، و عن
 الأنبياء مأخذه، و العقل مدركه، و اللسان ترجمانه، و أهله تجاره، و الله

(١) لابد من تشديد ياء « بالمنهى » لضبط ميزان البيت .

(٢) في الأصل: تجذلت .

(٣) في الأصل « كؤاس » و يقتضى وزن الشعر جعلها « كؤاسي » .

(٤) في الأصل : و الصوفة .

(٥) في الأصل : مرضات .

(٦) في الأصل : و أهل . به نسخناها « أهله » أى أهل العلم .

المكافئ عليه في الدنيا والآخرة . وكذلك الخونق بنيت للمتجرد عما سوى الله ، المشتغل بتزكية نفسه بالأخلاق الجميلة ، العاكف على عبادة الله المشتغل بالآخرة عن الدنيا ، المجرد عن الأسباب ، المتزني بأبزى الصوفية ، الذي قد ترك الدنيا ، و لبس المرقع و تزيا بزى لباس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٠٠٠ آدم عليه السلام لما تطايرت عنه في الجنة أثوابه ، وحلته و تاجه و جلبابه ، و طال منه مدة و انتحابه ، عدل هو و حواء بالمسكنة و الذلة ، و هما تحت هون المعصية و الزلة ، إلى ورق الشجر فقد رآه علي ما تناسب القدر . و ألقيا طولاً لعرض و عرضاً لطول ، و خصفا كلاهما ذلك الورق بعضه إلى بعض تلبساً و ترفيعاً ، و سترابه عورتيهما . و إن نوحا عليه السلام كان له قميص مطرف الذيل ، و كان الكفار يقصدون كعبه بالأحجار فيتمزق فزيله و يعمل عوضه . و إن شعياً عليه السلام كان يلبس قميصاً من جلود ، و كان اسمه في زمانه الرهط . فقال في قصته " لو لا رهطك

(١) في الأصل : المتربا .

(٢) كلمة مطموسة بالأصل و المقروء : وفي .

(٣) الكلمة مطموسة جزئياً .

(٤) حائر قراءة الكلمة « عنه » .

(٥) كذا في الأصل و لن الكلمة « عديمه » من السياق .

(٦) في الأصل : و حوى .

لرجلك وما انت علينا بعزير^١ . وإن إبراهيم عليه السلام اتخذ له جبة وطوقها جيبا من أديم . وإن يحيى بن زكريا عليهما^٢ السلام كان لباسه مدة حياته مرقعة . و كان أبوه زكريا يأتيه بأثواب غيرها فلا يلبسها . فلما علم قصده تركه . وإن المسيح عليه السلام كان يلبس الصوف . ويركب الحمار ، ويجعل كلتا رجله إلى جانب واحد ركوب لتذللين .^٣ و كان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا مع لقدرة على تحصيلها ، ولكن نظر إليها بعين البصيرة ، فعلم أنها حقيرة . والإجماع على أن أبا بكر رضى الله عنه نحلل بالعبا . وإن عمر رضى الله تعالى عنه كانت عليه مرقعة فيها أربع عشرة رقعة . و سأذكر هنا حكاية اتفقت له في أيام الجاهلية . روى أنه رضى الله عنه سمضى في أيام الجاهلية ١٠ إلى دمشق في تجار قريش . فلما خرجوا من دمشق تخلف عمر لبعض حاجته ، فبينما هو بالبلد إذ يضطرق أخذ بعنقه ، فذهب عمر ينازعه فلم يقدر ، فأخذه البطريق و أدخله دارا فيها تراب . بحرقه أو فأس و زنبيل فقال له : حوّل هذا من هنا إلى هنا . و أغلق عليه الباب و انصرف . فلم يحيى إلى نصف النهار . قال عمر و جلست مفكرا و لم أفعل مما قال لى شيئا .^٤ فلما جاء قال : ما لك لم تفعل ؟ و ضربني في رأسي يده . قال : فأخذت الفأس و ضربته به فقتلته و خرجت على وجهي ، فحُث دبر الراهب فجلست عنده

(١) قرآن كريم ١١ : ٩١ .

(٢) في الأصل : عليهم .

(٣) في الأصل ريد عنا في الجملة لفظة « فيما » و حذفها ضرورى لصحة الجملة و انتظام معناها .

فأشرف^١ على فزل وأدخلني الدبر وأطعمني وسقاني وجعل يحقق النظر في
وسألتني عن أمرى . فقلت : إني أضلت أصحابي ، فقال : إنك لتنظر بعين
خائف . وجعل يتوسمى ثم قال : لقد علم أهل النصرانية أني أعلمهم بكتابهم ،
وإني لأراك الذي تخرجنا من بلادنا هذه ، فهل لك أن تكتب لي
٥ كتاب أمان على دبري هذا ؟ فقلت له : يا هذا لقد ذهبت غير مذهب .
فلم يزل [بن ١٦٦ : ب] بي حتى كتبت له في صحيفة ما طلب مني . فلما
كان وقت الإنصراف أعطاني دابة ، فقال : اركبها ، فإذا وصلت إلى أصحابك
فابعث إلي بها وحدها ، فإنها لا تمر بدير في طريقها إلا أكرموها .
فعلت ما أمرني به . فلما جاء وولى عمر الخلافة قدم بيت المقدس
١٠ بسبب فتحه . أتاه ذلك الراهب بتلك الصحيفة فأمضاها له واشترط
عليه ضيافة من يمر به من المسلمين وأن يرشده إلى الطريق - انتهى .
نعوذ - وإن عثمان^٢ رضى الله عنه كان إذا قام لصلاة الليل لبس
مرقعة ويحتم القرآن في ركعة . وإن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى
عنه مشى في بعض طرقاته . عليه قيص جديد . فعدل إلى بحار فقطع
١٥ كميته وقال ينسل مع الدهر . وكتب^٣ [بر ٢١٨ : الف] إلى سهل
ابن حنيف فقال : رقت قيصى حتى استحيت من راقعه . وإن عائشة
رضى الله عنها كانت ذات يوم ترقع قيصا لها وتشد :

البس جديدك إني لابس خلقي ولا جديد لمن لا يرقع الخلقا

(١) الكلمة مطموسة في الأصل . (٢) في الأصل : عثمان .

(٣) هنا ينتهى الجزء الساقط من بر وما أخذناه عن بن .

(٤) من هذه الكلمة يستأنف الكلام في بر وابن على السواء .

وإن أهل الصفة وهم أربعمائة نفس منهم عبد الله بن مسعود وأبو هريرة
وسلمان الفارسي وبلال بن حمزة وابن أم مكتوم وغيرهم، كانوا بأدوية
إلى صفة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان لهم مرقعات
لجلهم، فمن عن^٣ له حاجة إلى ظاهر الصفة لبسها وقضى حاجته وإذا
عاد نزعتها. وقد أجمع الناس في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم على
أن لا لبسها ما رآه أحد في مقام الفاسقين، بل هو من الطالبين المحبتين.
قال الله تعالى: "وبشر المحبتين"، والآيات من أمثال مقام الطائفة.
[بن ١٦٦: ب] "و ينبغي للريد أن يلبس ما يليق به كالأزرق
والبرانس الخشن. ففي الأزرق إشارة إلى القلب سماوي. وفي الخشن حث
على القناعة. واختلف لما سميت الصوفية بهذا الاسم، فذهب قوم إلى
أنهم سموها صوفية نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة لأنهم اختاروا لبس الصوف
لكونه لبس الأنبياء عليهم السلام. وروى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال: مر بالصخرة من الروحا سبعون نيا عليهم العبا يؤمون^٧

(١) في هامش بر. عدة أهل الصفة.

(٢-٢) العبارة ساقطة من بن [١٦٦: ب].

(٣) في بن: عم.

(٤) قرآن كريم ٢٢: ٣٣.

(٥) في بن: أول.

(٦) ابتداء من هنا قسم ساقط من بر ووارد في بن [١٦٦: ب إلى ١٦٧: ب]

و يستأنف الكلام في كل من بر وبن من «نعود إلى أخبار السلطان صلاح الدين».

(٧) في الأصل: يامون.

البيت الحرام . وقيل إن عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف والشعر
و يأكل من ويبيت حيث أمسى . وقال النبي صلى الله عليه وسلم :
ثلاث خصال يحبها الله عز وجل في عباده . من تواضع لله وخشع
قلبه ورضى بالفقر ولبس الدون من الثياب . قيل : يا رسول الله وما الدون
من الثياب ؟ قال : الصوف . وقال : الحسن البصري : لقد أدركت سبعين
بدريا كان لباسهم الصوف ، وكان اختيارهم لبس الصوف . وقيل سموا
صوفية لأنهم أهل الصف الأول في عالم الأرواح . فقد روى أن الأرواح
كانت في أربع صفوف ، الصف الأول هم الأنبياء وخواص الأولياء ،
والصف الثاني هم المؤمنون ، والصف الثالث هم المسلمون ، والصف الرابع
هم الكفار والمنافقون . وورد في الخبر أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام
من ثمانية أشياء ، من طين و من ماء و من شمس و من سحاب و من نور
و من حجر و من بحر و من روح القدس ؛ فجعل من الطين لحمه ،
و من الحجر عظمه ، و من البحر دمه ، و من السحاب همومه ، و من
النور قلبه . و من روح القدس إيمانه ، ثم جعل الله تعالى لكل واحدة
١٥ من هذه الخصال الثمانية دولة عند وقع الماء الدافق في الأرحام . فمعنى
ذلك أنه إذا وافق الإفضاء دولة الطين جاء الولد أحرق لا عقل له .
و إذا وافق دولة الحجر جاء الولد جهم الوجه فاسق القلب . و إذا وافق
الإفضاء دولة الشمس جاء الولد صبيح الوجه ، و إذا وافق الإفضاء
[بن ١٦٧ : الف] دولة السحاب جاء الولد طائشا كثير اللوم يسافر من
موضع إلى موضع لا يستقر في مكان أبدا ، و إذا وافق الإفضاء دولة الريح جاء
(١) هـا سقوط واضح من بن رغم استمرار الكلام تركنا فيه بعض بياض .

الولد قويا لا يستطيع عليه شدته ، و إذا وافق الإفضاء دولة النور جاء
الولد علما بعيد الغضب ، و إذا وافق الإفضاء دولة القدس جاء الولد
جيدا تقيا ذا دين و أمانة .

و قال ابن عباس إن الله عز و جل ١٠٠٠ في يوم ثلاثة عاكر ،
عسكر من أصلاب الرجال إلى بطون النساء ، و عسكر من بطون النساء ه
إلى دار الدنيا ، و عسكر من دار الدنيا إلى طباق الأرض . قال الشاعر :
رأيت بني الدنيا كوفدين كل ما ترحل وفد حل في إثره وفد
فكل ترجى السير فيها و دونها يروح بذى نعش و يغدو بذى مهد - انتهى
نعود ، و قيل سميت الصوفية بهذا الاسم إلى الصفة التي كانت الفقراء
المهاجرين على رسول الله صلى الله عليه و سلم . قال الله تعالى في حقهم للفقراء ١٠
الذين أحصرنا في سبي الله هذا ، و إن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق
اللغوي ، و لكن صحيح من حيث المعنى لأن الصوفية ٣ تشاكل حالهم
حال أولئك لكونهم مجتمعين متآلهين مصاحبين لله في الله كأصحاب الصفة
و كانوا نحواً من أربعائة رجل و لم يكن لهم مساكن بالدنيا ولا عشائر ،
جعلوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديما و حديثا في الزوايا ١٥
و الربط ، و كانوا لا يرجعون إلى زرع و لا ضرع ، و لا إلى تجارة ، و كانوا
يخضون لخطب و يرضخون النوى بالنهار و بالليل يشتغلون بالعبادة و تعلم
العلم و قراءة القرآن . و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يواسيهم
و يحض الناس على مواساتهم ، و يجلس معهم ، و يأكل معهم ، و فيهم
(١) هنا سقط واضح في النص رغم استمرار العبارة في الأصل فتركنا بياضا
للدلالة عليه . (٢) في الأصل : بذأ .

(٣) الكلمة مطموسة بالأصل و لكن قراءتها واضحة من النص و السياق .

نزل قوله تعالى: "ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي يريدون" وجهه "و نزل في أم مكتوم الأعمى: "عبس وتولى" إن جاءه الأعمى ٥٣" وكان من أهل الصفة. عن ابن عباس قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أهل الصفة، فرأى فقرهم وجهادهم وطيب قلوبهم فقال: ٥ أأبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقى منكم على النعت الذي أنتم عليه راضيا بما هو فيه فانه من رفقائي يوم القيامة ٥. ولم يكن هذا الاسم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أعنى الصوفى - وكان في زمن التابعين. ونقل عن الحسن البصرى أنه قال: رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال: معى أربع دنانير يكفينى ما معى، - الدانق درهم ١٠ وثلثا* درهم، فيكون ما معه ستة دراهم وثلثا* درهم، وهو يعد نفسه غنيا. وقيل إن الصوفية لما آثروا الذبول والخوار والتواضع والانكسار والتخنى والتوارى، كانوا كالخزقة المرماة، والصوفية لمرمية التى لا يرغب فيها ولا يلتفت إليها، فيقال صوفى بالنسبة إلى الصوفة، كما يقال كوفى بالنسبة إلى الكوفة. وقيل الصوفية كانوا يخدمون الكعبة، وقيل سموا ١٥ بذلك لأنهم تشبكوا تشبك الصوف بما ثبت عليه، فالصوفى منسوب إلى الصوفية لاشتغالهم بعضهم ببعض. أتى الحسن البصرى يوما فرقد

(١) قرآن كريم ٦: ٥٢.

(٢) فى الأصل: يردون، وهو خطأ.

(٣) قرآن كريم ٨٠: ١-٢.

(٤) فى الأصل: القيمة.

(٥) فى الأصل: وثلثى.

للتصوف و عليه جبة صوف مرقعة ، فأخذ^١ بأطرافه وقال : يا ابن أم
فريقد ليس التقوى بأكل القيط ولا بلبس العبا ، إنما التقوى بما وقر
في الصدر و صدقة العمل . و قيل في المعنى :

ليس التصوف لبس الصوف تلبسه ولا بكأوك ان غنى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرف و (لا) تغاش^٢ كان قد صار مجنونا ه
بل التصوف أن تصفو بلا كدر و تتبع الحق و القرآن و الدينا
و أن تُرى خاشعا مكتئبا على ذنوبك طول الدهر محزونا
[بن ١٦٧ : ب] قال أحمد بن مقابل : كنت مع الشعبي في مسجده في
شهور رمضان و هو يصلي خلف إمام و أنا بجانبه قال : فقرأ الإمام
” و اتن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا إليك ٣ “ . قال فزق الشبلى زعقة ، ١٠
قلت طارت روحه معها و هو يرتعد و يقول : بمثل هذا يخاطب الأحباب .
و قيل السماع فيه نصيب لكل عضو . فواقف إلى العين تبكى ، و ما وقع إلى
اللسان يصيح ، و ما يقع على اليد يمزق الثياب و يلطم الوجه . و ما يقع
على الرجل يرقص . و قيل أوحى إلى موسى عليه السلام انى قد جعلت
فيك عشرة آلاف سمع حتى أحببتى . و فى معناه : ١٥
لا تنسائى ، فاذا الفانى ما يلقانى ، حتى يفنى

(١) الكلمة مطموسة جزئيا .

(٢) فى الأصل : و تغاش . - و الظاهر من سياق البيت الأول و وزن الشطر
الثانى وجوب كونها « ولا تغاش » .

(٣) قرآن كريم ١٧ : ٨٦ .

فك المعجم ، فاعزم تغنم و افهم و افهم ، سر المعنا
 و اسمع مني ، و افهم عني سرا تنظر ، اذنا اذنا
 سافر وحدك ، و ابذل جهدك و اجعل قصدك ، ذاك المعنا
 و احصر عقلك ، و اجمع شملك عليك عليك ، يوما تدنا
 ه عدى عدى ، احفظ عهدى و افهم قصدى ، فيما يعنا
 فارق دارك ، و اهجرج جارك و ارقب نارك ، تبدوا وهنا
 فارغب و اطمع ، و اقلب اجمع عليك تسمع ، يوما منا
 لا لا تهرب ، ما لك يهرب ، هذا المشرب ، أحلا و اهنا
 روح علقت ، لما عتقت ، إذ قد سبقت ، منا الحسنى - انتهى¹.

١٠ [من أخبار صلاح الدين الأيوبي]

نعود² إلى أخبار السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين
 أيوب و خبر بيت المقدس حين أخذ الفرنج له و فتح السلطان صلاح الدين
 يوسف المذكور له و نزعه هو و غيره من الحصون التي كانت بأيدي
 الإفرنج³ إن شاء الله تعالى ٣ .

١٥ قال بعض المؤرخين : وفي بضع و تسعين و أربعائة من الهجرة
 النبوية أخذت الإفرنج بيت المقدس من أيدي المسلمين ؛ و قتلوا⁴ أزيد
 (١) إلى هنا ينتهي هذا القسم الساقط من بر و قد أخذناه عن بن .
 (٢) من هنا يبدأ الكلام في بر و بن على السواء . وفي هامش بر : مطلب ، أخبار
 صلاح الدين و بيت المقدس .
 (٣-٢) ساقطة من بن .
 (٤) في بن [١٠٧ : ب] : بعد أن قتلوا . وفي هامش بر : مطلب ، ولاية
 الإفرنج على بيت المقدس سنة ٤٩٠ .

من سبعين ألف قتيل من^١ المسلمين . و أخذوا من حول الصخرة^٢ اثنين وأربعين^٣ قنديلا من فضة زنة كل قنديل منها ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، و تنّور من فضة زنته أربعون^٤ رطلا بالدمشق . و ذلك مائة وستون^٥ رطلا بالمصرى . و ثلاثة وعشرين^٦ قنديلا^٧ من ذهب . و هربت الناس إلى العراق قاصدين الخليفة المستظهر بالله^٨ . فلما سمع أهل بغداد ذلك تباكوا . و كان أبو سعيد الهروى نظم قصيدة فقرئت على المنابر ببغداد فعظم بكاء الناس و أمر الخليفة الفقهاء إلى الخروج ليجرضوا الملوك على الجهاد^٩ ، فساروا فلم يقد ذلك شيئا . و بيت المقدس هو بيت الأنبياء و مهبط الوحى قديما .

حكى^{١٠} أن رجلا من الصوفية بينما هو نائم فى الحرم بالمدينة إذ رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه فقال له : اذهب إلى صلاح الدين يوسف

(١) زيد بن ابدى .

(٢-٣) فى بر : اثنان و أربعون . و صحتها فى بن كما أوردناه بالنص .

(٣) فى بن : أربعين .

(٤) فى بر : وستين . و صحتها فى بن كما أوردناه بالنص .

(٥) فى بن : وعشرين . و فى بر : و ثلاثة وعشرون .

(٦) كذا فى بن . و فى بر : قنديل .

(٧) الخليفة العباسى و خلافته ٤٨٧ - ٥١٢ هـ = ١٠٩٤ - ١١١٨ م .

(٨) و يلاحظ فى هذه المناسبة ان بيت المقدس كانت فى حكم الدولة الفاطمية وقتئذ .

(٩) فى بن : و حكى .

ملك مصر فقل له إن رسول الله صلى [٢١٨ : ب] الله عليه وسلم يقول لك : قم من وقتك هذا فانزل على بيت المقدس فانك تفتحه إن شاء الله تعالى ٣ ، واعلمه بذلك سرا ، وقل له بأمانة صلاتك على في كل ليلة ألف مرة . قال فذهب الرجل حتى وصل إلى صلاح الدين وقال : يا مولاي عندي بشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وما هي ؟ قال : إنه يقول لك قم من وقتك هذا فانزل على بيت المقدس فانك تفتحه ٤ إن شاء الله تعالى . قال : الحمد لله أعطوه خمسمائة درهم . فقال بعض الحاضرين كالمستهزئ : وأنا والله أحب أن أرى مثلها . فقال الرجل أما أنا فلا آخذ شيئا ، لكن عندي حديث أقوله . قيل له : ما هو ؟ ١٠ قال : ما أقوله إلا للسلطان سرا . فأدناه السلطان إليه فقال ٦ : يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمانة صلاتك عليه في كل ليلة ألف مرة . ففرح السلطان بذلك وعرض عليه الذهب ٧ فلم يأخذه . وبعد مدة دخل السلطان صلاح الدين إلى دمشق فرأى الفقير في الجامع ،

(١-١) العبارة ساقطة من بن وهو الأصح لأن الكلام صادر عن الرسول .

(٢) الكلمة مكررة في بن .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤) في بن : ستفتحه .

(٥) في بن : وما .

(٦) زيد في بن : له .

(٧) في بن : ذهباً .

فعره فصاح به فأناه، فقال له : أسألك^١ أن تأخذ الخمس مائة دينار عوضا عن الخمس مائة درهم^٢ التي تركتها ولم تأخذها . فقال : نعم ، عليّ أن نعطيهما هؤلاء^٣ الفقراء . فقال : اصنع ما شئت . فدفعتها له ففرقها فيهم ، وحصل له دينار واحد . فتحقق السلطان صدق منامه^٤ بتعففه وأمارته^٥ .
و كان رجل من أهل المغرب بالمدينة فيكي^٦ عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله بلدي^٧ بعيد وأنا فقير وضعيف ، وأنا أحب أن أرجع إلى بلادي . قال فنام^٨ فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : امض إلى صلاح الدين يوسف فانه يعطيك مائة دينار^٩ . سافر بها إلى بلادك . قال : فمضى الرجل إلى أن وصل إلى الشام . وقدم على صلاح الدين ، فلما رآه قال : أنت صاحب المائة دينار^٩ ؟ قال : نعم . ١٠ . قال : اعطوها له . فأخذها وانصرف .

و يقال إن رجلا أتى إلى صلاح الدين يوسف قبل أن يلى

(١) كذا في بن ، والكلمة في بر : أسئلك .

(٢) ساقطة من بر و واردة في بن [١٦٨ : الف] .

(٣-٣) في بن : بفضل أمارته .

(٤) في بن : فيكا .

(٥) في بن : يرسل .

(٦) في بن : بلد .

(٧) في بن : و نام .

(٨-٨) العبارة بكاملها ساقطة من بن .

الملك^١ قال: رأيت^٢ فيما يرى النائم كان قائلاً يقول لى فى المنام
و أشار إليك :

ملك الصياصى و النواصى ناصراً^٣ للدين بعد إياسه أن ينصرا
و يستفتح^٤ البيت المقدس بعد ما يطوى الطراز له و يهلك قيصره
هـ [٢١٩: الف] الصياصى الحصون . قال الله تعالى : ” و انزل الذين ظاهروهم
من اهل الكتب من صياصيهم^٥ “ .

فبعد قليل أخذ صلاح الدين يوسف الملك . و فتح قلعة طبرية .
و فتح عكا صلحا^٦ ، و خلّص منها أربعة آلاف أسير من المسلمين ، و فتح
صيدا و بيروت و غزة و عسقلان و نابلس و ييسان ، و فتح بيت المقدس
١٠ و كان فيها ستون^٦ ألف مقاتل أو يزيدون من الإفرنج^٧ . و قاتل^٨
المسلمون معه قتالا شديدا ، و لم يزالوا كذلك حتى فتحوه . و هو أن
ملك الروم أرسل إلى السلطان صلاح الدين على أن يبدل كل رجل

(١) فى بن : المملكة .

(٢) فى بن : فرأيت .

(٣) فى بن : نارا .

(٤) فى بن : و سيفتح .

(٥) قرآن كريم ٣٥: ٢٦ . و فى هامش بر : مطلب ، فتوحات صلاح الدين .

(٦) فى الأصلين : ستين .

(٧) فى بن : الفرنج .

(٨) فى الأصلين : قاتلت .

منهم عن نفسه عشرة دنانير و على المرأة خمسة دنانير و على كل صغير و صغيرة دينارين ، و أن تكون الغلات و الأسلحة يؤدونها للمسلمين ، و يتحولوا من القدس إلى مدينة صور . فأجاب الملك صلاح الدين إلى ذلك . و دخلوا بيت المقدس يوم الجمعة ، و كان يوما مشهودا خنس فيه الناقوس ، و حضر المؤذنون و غاب القسوس ، و تلى التنزيل ، عوضا ه عما كانوا يقرأون^١ من التحريف في الإنجيل ، و لله الحمد و المنة على ذلك . ثم أنه فتح ٢ الكرك^٢ و صفد و حصن كوكب و غيرها من الحصون . و كان سبب أخذ الإفرنج^٣ للقدس من أيدي المسلمين لأنهم كسروا الأفضل^٤ ابن أمير الجيوش على الرملة و استولوا على القدس سنة تسعين و أربعمائة . و قتل الأفضل سنة ست عشرة . خمسمائة من غير أن ١٠ يقتل أحدا . و أما أبوه بدر الجمالي^٥ فكان سفاكا للدماء ، و مع ذلك مات على فراشه . و كان الأفضل فخل التدبير حسن الرأي ، و لم يكن للخليفة المستعلي^٦ أحد خلفاء العبيدين معه كلام^٧ .

(١) في الأصلين : يؤدوا .

(٢) في الأصلين : بقرون .

(٣) في بن : انتح .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : الفرنج .

(٦) انظر ما سبق في موضوع الفاطميين .

(٧) في بن : الجمال .

(٨) خليفة الفاطمي و حكمه ٤٨٧ - ٤٩٥ هـ = ١٠٩٤ - ١١٠١ م .

(٩) في الأصلين : كلاما .

ثم أن الإفرنج^١ أقاموا بالقدس تسعين سنة، ففتحها السلطان صلاح الدين يوسف سنة ثمانين^٢ وخمسمائة^٣. وتوفي السلطان صلاح الدين يوسف المذكور وعمره سبعة^٤ وخمسون سنة. فعز على المسلمين فقده. وكان من خيار الملوك وأحسنهم سيرة، وتشبه بالملك العادل نور الدين العادل عمه، ودفن بترته عند مدرسة أنشأها بالموصل^٥ رحمه الله تعالى.

^٦ وكان قبل ملكه السلطان صلاح الدين يوسف سار أسد الدين شيركوه بعد أن كسر الفرنج والمصريين إلى الإسكندرية فملكها، ورجى بأموال، واستتاب عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف، وعاد إلى الصعيد فملكه وجمع منه أموالا كثيرة جزيلة، ثم أن الفرنج والمصريين اجتمعوا على حصار الإسكندرية ثلاثة أشهر، انتزعوها من يد صلاح [الدين] يوسف في غيبة عمه شيركوه في الصعيد. وامتنع بها صلاح الدين ومن معه أشد امتناع، ولكن ضاقت عليهم الأقوات وضاق الحال جدا. فسار إليهم شيركوه أیده الله تعالى، فصالحه شاور الوزير عن الإسكندرية بخمسين ألف دينار، فأنبه على^٨ ذلك. وخرج صلاح الدين منها وسلمها

(١) في بن: الفرنج (٢) في بن: ثمان.

(٣) في هامش بر: مطاب، مدة استيلاء الإفرنج على بيت المقدس تسعون سنة.

(٤) لفظة «الدين» ساقطة من بن.

(٥) في بن: تسعة. وفي هامش بر: توفي صلاح الدين وعمره ٥٧ سنة.

(٦) كذا في بروين، وهو خطأ لأن صلاح الدين مدفون في دمشق.

(٧) من هنا إلى قوله «و لله الحمد» ساقط من بر، وأخذناه عن بن [١٦٨: الف، ب].

(٨) في الأصل: إلى. وأغلب الظن أنه خطأ قلبى.

للمصريين و عاد إلى الشام . و قرر على شاور الفرنج ' كل سنة مائة ألف دينار ، و أن يكون لهم شحنة بالقاهرة . و عادوا إلى بلادهم بعد أن كان الملك نور الدين قد عقبهم في البلاد ، و فتح كثيرا من بلادهم ، و قتل خلقا من رجالهم ، و أسر أما من نساءهم و أطفالهم ، و غنم شيئا كثيرا من أمتعتهم و أموالهم ، و لله الحمد^٥ .

٣ و كان السلطان صلاح الدين يوسف المذكور^٤ في دولته ' يجلس جلوسا عاما لإزالة المظالم . فجلس يوما جلوسا عاما ، و قضى حوائج الناس ، و نظر في المظالم ، و نادى [٢١٩ : ب] مناديه^٥ : من كانت له حاجة و مظلة فليأت ! فتقدم شيخ له هيئة حسنة فقال : إن الفقير يقدمني و الحياء يؤخرني . فقال : قل . قال : أنا رجل كنت من أمراء^{١٠} الدولة المصرية بمن كان لله على أسلافه نعمة و سلبها و أحتاج إلى الناس و أنعمت عليّ بخمسة دنانير في كل شهر و عاملك يطلني فيها مدة ستة أشهر . فغضب صلاح الدين و قال : عليّ بالعامل . و قال : تعطى له ما منعه إياه أو لأفعلن بك و لأصنعن . قال : فلما رأى العامل الجد^٢ ،

(١) زيد هنا لفظة « علي » و لكن الناسخ صحح مكانها كما أوردناه في النص ، و لكنه لم يشطب الزيادة .

(٢) انتهى الساقط من بر .

(٣) من هنا يتألف الكلام في كل من بن و بر معا .

(٤-٤) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥) في هامش بر : مطلب ، واقعة .

(٦) في بن [١٦٨ : ب] : منذ .

(٧) ساقطة من بن .

و كان صلاح الدين رجلا حليما قليل الغضب ، فقال العامل : لو لا غضب مولانا السلطان لأخبرته بالعذر الذى معنى ^١ ' الاطلاق والعذر الذى معنى ^٢ ' الكلام . قال ٣ : قل فانى لا أغضب . قال : العلامة التى على توقيعه مزورة ، فامتنعت من الدفع ، وأردت الستر وما أردت أن أفضحه ، هـ والأمر لمولانا السلطان . فقال صلاح الدين : أرفى التوقيع . فظفر إليه وقال : صدقت والله ما هو خطى ولا كتبه ٤ . ثم التفت إلى الرجل وسبه وانتهره وقال : النفاق باق ^٥ فيكم ، وإلا أنا فما أمتع رزق ^٦ الله أحدا على ، وعلى ^٧ لا قطعن يدك . و كان بالمجلس رجل وله عقل وأدب ، والجلساء متشابهون للملك - المرة ^٨ على دين خليله - فقال ذلك ١٠ الرجل الحاضر : إن مولانا السلطان لا يمنع خطه من أحد ، ويكتب فى كل وقت قائما وجالسا وراكبا ، يكتب مولانا السلطان علامة بجانبها ، ونظر إلى الخطين . فان اختلفا فالسلطان يفعل ^٩ ما يريد وإن

(١) فى بن : بمعنى .

(٢-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى الأصلين : باق .

(٥) فى بن : الرزق .

(٦) فى بن : وصلى .

(٧) فى بن : والمرة .

(٨) فى بن : يحكم .

اتفقاً فلا كلام . فقال : نِعِمَّ ما قلت . فكتب السلطان علامة أخرى ، فقال الرجل : غلبنا والحمد لله . قال : وكيف ؟ قال : إن كانت الأولى ما هي خطك ييقين فهذه العلامة الثانية خطك ييقين . فضحك السلطان وعنى عن الرجل وأمر برزقه ' .

و كان أول دولة بنى أيوب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ٥
أيوب بن شادى ، ولى ' سنة أربع وستين وخمسمائة ٢ ، واستقل بالملك سنة ست وستين وخمسمائة ، وبنى ' قلعة الجبل بالقاهرة فى سنة خمس وسبعين وخمسمائة . ولما توفى السلطان صلاح الدين يوسف المذكور قام ' بملك مصر ' بعده ولده الملك العزيز عثمان ' . ثم بعده الملك الأفضل قطب الدين ' عثمان ' بن صلاح الدين المذكور ' . ثم بعده الملك ١٠

(١) زيد فى بن : قال الأصبهى قيل لشيخ من الأعراب قتت مقاما خفنا عليك منه . فقال الموت خفتم على وكيف يخاف الموت شيخ كبير ورب غفور ولا كين ولا بنات ولا صبية أطفال .

(٢) فى بن : فى .

(٣) فى هامش بر : «مدة توليته سنة ٥٦٦ . بناء قلعة الجبل سنة ٥٧٥» . وسلطنته

٥٦٤ - ٥٨٩ = ١١٦٩ - ١١٩٢ م .

(٤) فى بر : بنا ، وهى فى بن : بنى .

(٥-٥) فى بن : بالملك من .

(٦) و هو العزيز عماد الدين عثمان وسلطنته ٥٨٩ - ٥٩٥ = ١١٩٣ - ١١٩٨ م .

(٧) هذا خطأ صحته أن الذى خلف العزيز عثمان هو المنصور ناصر الدين محمد

وسلطنته ٥٩٥ - ٥٩٦ = ١١٩٨ - ١١٩٩ م .

(٨) ساقطة من بن .

(٩) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

العادل^١ أبو بكر بن أيوب . ثم بعده الملك [٢٢٠ : الف] الكامل محمد^٢ بن أبي بكر العادل ، وهو الذي بنى^٣ المدرسة الكاملية^٤ بين انقصرين المسماة بدار الحديث . وانكسرت الإفرنج في اليوم الذي ولى الملك الكامل فيه بكسر الجسور عليهم في وقعة الفرنسيس بدمياط ، هـ و كانت كسرتهم بالمنصورة بالقرب من أشمون الرمان ، وقد تقدم ذكر ذلك فأغنى عن إعادته . وقيل كان الملك العادل ظالما وولده الكامل عادلا ، فقال بعضهم قصيدة منها :

يا ظالما سميت بالعادل لا عدل إلا للملك الكامل

وقيل أقام الكامل ملكا نحو ثلاثين سنة ، والله أعلم .

١٠ وولى ملك مصر بعد الكامل ولده نجم الدين الملك الصالح أيوب

(١) وهو الملك العادل سيف الدين أبو بكر المشهور عند الفرنج باسم

(Saphadin) وحكمه ٥٩٦ - ٦١٥ هـ = ١١٩٩ - ١٢١٨ م .

(٢) سلطنته ٦١٥ - ٦٣٥ هـ = ١٢١٨ - ١٢٣٨ م .

(٣) في بر : بنا . وهي في بن : بنى .

(٤) في هامش بر : المدرسة الكاملية . وفي بن لفظة « الكاملية » ساقطة .

(٥) سلطنته ٦٣٧ - ٦٤٧ هـ = ١٢٤٠ - ١٢٤٩ م ويلاحظ هنا أن المؤلف

أخطأ بتولية الصالح نجم الدين بعد الكامل محمدا ، وبذلك يكون قد تجاوز عن حكم العادل سيف الدين أبي بكر وهو ابن الكامل محمدا وقد جاء حكمه بينهما .

ابن الملك الكامل ، وهو الذى بنى ١ المدرسة الصالحية ٢ بين القصرين بالقاهرة ، وهو أستاذ الترك ، وقلاوون الصالحى أحد مائيكه . ثم ولى ملك مصر بعده الملك المعظم طرنشاه ٣ بن أيوب . ثم بعده الملك الأشرف موسى بن أقيس ٤ . ثم بعده الملك المعز أيك ٥ التركمانى مملوك الصالح نجم الدين ، وهو الذى عمر المدرسة المعزية ٦ برجة الخروب ٧ بمصر . ثم ولى ٥ الملك ٨ بعده الملك المنصور ٩ على بن أيك . ثم ملك مصر بعده الملك المظفر قطز ١٠

(١) فى بر : بنا ، وهى كذلك فى بن .

(٢) فى هامش بر : باني الصالحية ، أستاذ الترك .

(٣) كذا فى الأصولين وصحته : المعظم توران شاه - وسلطنته ٦٤٧ - ٦٤٨ هـ =

١٢٤٩ - ١٢٥٠ م .

(٤) فى الأصولين : اسس (بدون نقط) وصحته فى القرىزى (كتاب

السلوك لمعرفة دول الملوك . نشره محمد مصطفى زياده . القاهرة ١٩٥٧ ج ١

قسم ١ ص ٣٦٩) وشاركه فى الحكم بعض الوقت المعز أيك مؤسس دولة

الماليك البحرية .

(٥) أول الماليك البحرية المعز عماد الدين أيك وحكمه ٦٤٨ - ٦٥٠ هـ =

١٢٥٠ - ١٢٥٧ م .

(٦-٦) ساقطة من برو واردة فى بن .

(٧) فى بن : ملك مصر .

(٨) المنصور نور الدين على أيك ٦٥٠ - ٦٥٧ هـ = ١٢٥٧ - ١٢٥٩ م .

(٩) حكمه ٦٥٧ - ٦٥٨ هـ = ١٢٥٩ - ١٢٦٠ م .

مملوك المعز^١ فقتلته زوجته شجر الدر وأخفته أربعة أشهر وأظهرت للناس أنه ضعيف ، فلما تحقق أمره ولى الملك بعده ولده على الصالح ، فرمى زوجته أیه شجر الدر من أعلى القلعة إلى أسفل فهلكت ، ومضى إلى الشام ورجع منه طالبا القاهرة ، فقتله^٢ الأمراء في الطريق .

٥ وولى الملك بعده الملك الظاهر بيبرس^٣ مملوك بندقدار الصالحى ، وهو الذى عمر المدرسة الظاهرية بين القصرين بالقاهرة ، وصلى بالجامع الأزهر الجمعة ، ولم تكن الجمعة تقام فيه من زمن نقل الحاكم منصور العبيدى الجامع منه إلى جامعته المعروف به بالقاهرة بين باب النصر و باب الفتوح فصار الجامع الأزهر بغير خطبة فى المدة المذكورة ، فثبثت حاله و تغيرت رسومه ، فأمر الملك الظاهر بممارته و يياضه وإقامة الخطبة فيه^٤ فاستمرت إلى الآن^٥ .

[أبواب القاهرة]

و للقاهرة^٥ أبواب عدة ، منها باب زويلة و باب القنطرة و باب

(١) فى هامش بر بغير قلم الناسخ : هذا خبط زائد فان الذى قتله زوجته أيبك التركمانى وأما قطز فعند عودته من قتال التتر قتله الظاهر بيبرس باتفاق الأمراء .

(٢) فى الأصلين : فقتله .

(٣) حكه ٦٥٨ - ٦٧٦ هـ = ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م .

(٤-٤) ساقطة من بر و واردة فى بن [١٦٩ : الف] .

(٥) فى هامش بر : عدة أبواب القاهرة .

النصر و باب سعادة و باب الفتوح و باب الفرج ١ ، فقال [٢٢٠ : ب]
بعضهم في باب الفتوح و باب الفرج يتين تورية ٢ و هما :

لا بد أن يرضى الزمان و ينصلح بعد الحرج
رب فتح باب الفتوح يفتح لنا باب الفرج

٥ [أخبار الظاهر يبرس] ٣

ثم أن الملك الظاهر يبرس فتح فتوحات كثيرة ، منها أرسوف
و الطبور ٤ و صفد و مرج بن عامر و الشقيف و بانياس و الصبية و حصن
عكا ٥ و حصن ابن الأحمر و حصن الأكراد ، و نزل على طرابلس بعساكره
و حاصرها ، فأرسلت الإفرنج التي بها يقولون ٦ لملك الإفرنج بأنطاكية :
انجدنا ٧ سعة فان الملك الظاهر قد حاصرنا ، فأنت جواسيس الملك ١٠
الظاهر أخبروه بذلك فأمر النقباء أن تعلم الجيش بالرحيل بعد فراغ
الخليل من عليها و أن يتركوا الخيام على حالها و النيران تقد ، و أخذوا

(١) زيد في بن : و غيرها . و الأبواب فيها وردت على غير هذا الترتيب في بر .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في هامش بر : فتوحات الملك الظاهر يبرس .

(٤) في الأصلين : و الطور .

(٥) في الأصل : حصن عكار .

(٦) في بن : تقول .

(٧) في بن : أدركنا .

ما يحتاجونه وتركوا الفاضل . وأمر الأدلاء في الليل أن يقصدوا به أنطاكية ، فساروا^١ حتى أتى قريبا من أنطاكية قبل الفجر من غير حس ولا خبر . فلما أصبح الصباح وفتحت أهل أنطاكية أبوابها رحل من منزله التي نزل بها ، وحرك و هجم بعسكره دخلها^٢ فلعلها بكل ما فيها من مال ورجال و حريم و ذراري - هذا ما كان منه .

و أما ما كان من أهل طرابلس النصارى^٣ فانهم عند صباح رحيل الملك الظاهر ، نظروا من أعلا السور فلم يروا بوطاقه أحدا ، فقرحوا و عططوا وقالوا: رحل^٤ المسلمون عنا خوفا منا^٥ وتركوا خيامهم و أنقأهم من شدة الخوف الذي جعل لهم^٦ . ففتحوا أبواب البلد و نهبوا الوطاق بما ترك فيه من الأثقال . و وافاهم صاحب أنطاكية الكافر من البحر^٧ فدخل طرابلس بمن معه من الجيش ، فمدوا له الأطعمة^٨ فأكل و أحضروا الخمر فشرب^٩ ، و صاروا يغنون و يرقصون

(١) في بن : فسار .

(٢) في بن : و دخلها .

(٣) في بن : الإفرنج .

(٤) في الأصلين : رحلت .

(٥ - ٥) الجملة ساقطة من برو واردة في بن [١٦٩ : الف ، ب] .

(٦) في بن [١٦٩ : ب] : في مراكبه في البحر .

(٧) في بن : اطعمة .

(٨) في بن : فشربوا .

على حس آلات الطرب^١ ويقولون: الظاهر من مخافتنا هرب . فينما هم
 في زهوهم و لهوهم وإذا الخبر^٢ قد ورد عليهم بالعطب، فلحقتهم الكرب^٣،
 'فانقلب فرح أهل طرابلس ترحا'، وصار صاحب أنطاكية من القهر^٤
 شبحا، وقال^٥ لأهل طرابلس: لا كانت ساعتكم، قطع المسيح جادرتكم،
 أتم تفرحون وترقصون، وبلدى ملكها^٦ المسلمون، ونهبوا أموالى^٥
 وبلادى، وأسروا حريمى وأولادى . فصارت النصارى بما^٨ سمعوا منه
 يائسين، ومن^٩ سوء أحوالهم^٩ آتسين . واستعظموا أمر الملك الظاهر،
 إذ صار على النصارى مظفرا^{١٠} ظاهرا^{١١}، [٢٢١ : الف] تخاف منه
 كل علعج كافر . وقالوا: ما بقى لنا معه حليف ولا ناصر، وإذا هو^{١٢}

(١) فى بن : الملامى .

(٢) فى بن : بالخبر .

(٣) فى بن : المرض والكرب .

(٤ - ٤) فى بن : وانقلب فرحهم ترحا .

(٥) فى بن : الهم .

(٦) فى بن : فقال .

(٧) فى الأصلين : ملكتها .

(٨) فى بن : بما .

(٩ - ٩) فى بن : سواحلهم .

(١٠) ساقطة من بن .

(١١) صوابها « ظاهرا » ولكن تركناها بحكم السجع .

(١٢) فى بن : إذ .

قد فتح أنطاكية فلم يبق^١ لنا معه باقيه ، وستصير طرابلس مناخاويه^٢ ،
لا شكوى إلا للسبح^٣ ولألمه ماريه^٤ . قيل إن دور سور مدينة أنطاكية
اثنا عشر ميلا ، وعدد بروجها مائة وستة وثلاثون برجاً ، وعدد
شرفات^٥ سورها أربعة وعشرون ألف شرفة .

٥ وقيل : كان الملك الظاهر^٦ في بدايته ملوكا للامير بندقدار
الصالحى ، وأن بندقدار عدى يوما من مصر إلى الجزيرة يسرح بأرضها ،
فوجد في طريقه جبهة^٧ ، وكان الحر^٨ فقصد أن يقبل تحتها ويستظل
بظلها ، وكان يبرس المذكور بشمقدار يحمل شرموزة^٩ أستاذ الامير
المذكور ، فادعى به يلبسه^{١٠} مشايته^{١١} لينزل عن فرسه فأتى إليه ومعه^{١٢}

(١) في بر : يبقى . وصحتها في بن .

(٢) في بن : خاليه .

(٣-٢) في بن : وماريه .

(٤) في الأصول : اثني .

(٥) في بن : شرفات .

(٦) في هامش بر : مطلب ، واقعة لطيفة .

(٧) في بن : وقت القابلة .

(٨) في بن : زرموزة .

(٩) في بن : يلبسه .

(١٠) كذا في بن ، ومكانها بياض في بر .

(١١) الكلمة مقطوعة في بر بالتجديد ، ولكنها واردة في بن .

واحدة^١ وقد وقعت منه الثانية^٢ من غير علمه بوقوعها ، فغضب الأمير عليه
وأخذ منه تلك الفردة ضربه بها على رأسه حتى تقطعت ، ثم ضرب
الدهر ضرباته ، فأعتقه أستاذه المذكور ، وكان من أمره في التقدم
ما كان إلى أن ولي ملك مصر ، فعدى يوما إلى الجيزة في عساكره^٣ ،
و مر بتلك الجيزة نفسها ، فوقف^٤ و ادعى 'بالأمير بندقدار معتقه^٥ ،
'فأتى إليه^٦ ، فقال له : تعرف هذه الجيزة ؟ قال : نعم أيها الملك بصبرك
على ذلك القهر صرت ملك مصر . فأعجب الملك الظاهر كلامه و خلع
عليه و زاده في اقطاعه و قال : صدق فيما قال ، لو لا فعل اخوة يوسف
يوسف^٧ ما فعلوا ما صار^٨ ملك مصر^٩ ، فمن صبر ظفر و البلايا مفاتيح
الآرزاق^٩ - انتهى .

١٠

- (١) في بن : فرده .
- (٢) في بن : الأخرى .
- (٣) زيد في بن : المبرحة .
- (٤) زيد في بن : بازائها .
- (٥-٥) في بن : بمعتقه الأمير بندقدار .
- (٦-٦) ساقطة من بن .
- (٧) في بن : به .
- (٨-٨) في بن : ملكا بمصر .
- (٩-٩) ساقطة من بن و واردة في بن .

[الإقطاع]

قال المؤلف اغفر الله له وللسلمين أجمعين^١، وإذ قد ذكر الإقطاع^٢
فسأذكر ما قيل في إجارته إذا خرج عن مؤجره^٣ عقيب إجارته^٤.
سئل بعض العلماء في مؤجر^٥ أجر إقطاعه مدة معلومة، فخرج الإقطاع
منه إلى غيره قبل انقضاء المدة. فقصد المقطع الثاني تسليم الناحية إليه
فامتنع المستأجر عن تسليم ذلك، فهل للمقطع الثاني نزع الناحية من يد
المستأجر أو يطالبه بالأجرة أو يطالب المقطع الأول بالأجرة إذا كان
قد التمسها من المستأجر أو شيئاً منها؟ فأجاب: إذا أجر الإقطاع مدة
ثم انقطع حق المؤجر في أثناء المدة بموت أو إخراج السلطان له فإن المقطع
الثاني مخير بين إمضاء الإجارة وبين فسخها، فإن فسخها كان للمستأجر من
المنفعة ما للمقطع الأول [٢٢١ : ب] وعليه من الأجرة بقدر ذلك،
فاذا كان خروج الإقطاع في أثناء السنة مثلاً ونصف المنفعة للمقطع
الأول ونصفها للثاني، كان للمستأجر نصف المنفعة وعليه للمؤجر الأول
نصف الأجرة والنصف الثاني يرجع به عليه إن كان سلفه إياه، ثم إن
أمضى المقطع الثاني الإيجار كان له نصف الأجرة يطالب بها المستأجر،
وإن أحاله على المقطع الأول فأسلفه إياه فله أن يقبل الحوالة وله أن
لا يقبل، والله أعلم.

(١-١) في بن: رحمه الله تعالى. (٢) في هامش بر: إجارة الأقطاع.

(٣-٣) ساقطة من بن. (٤) في بن: مؤاجر.

(٥) زيد في بن [١٧٠ : الف] : انتهى نعود.

[وقعة يبرس ومحبي الدين النوى]

وقيل إن ١ الملك الظاهر يبرس لما توجه بمساكره إلى الشام بسبب
 الترحين تحركت عليه أخذ فتاوى الفقهاء ٢ بأن يجوزوا ٣ له أن يأخذ
 من الرعية مالا يستعين به على قتال العدو ، فكتب له فقهاء الشام بذلك .
 فقال هل بقي عندكم أحد من الفقهاء ؟ قالوا : نعم ، بقي الشيخ الصالح ٤ .
 محبي الدين النوى . فطلبه فحضر ٥ فأوقفه على الفتاوى ٦ . قال ٥ : اكتب
 خطك مع خطوط الفقهاء . فامتنع من ذلك ، فقال له : ما سبب امتناعك ؟
 قال : أعفى من ذلك . قال : ما السبب في ذلك اذكره لي . قال :
 أعرف أنك كنت مملوكا ٧ للآمير بندقدار وليس لك مال . ثم يسر الله
 لك أمرا على المسلمين ٨ فوليت الملك ٩ ، وسمعت أن عندك كذا ١٠ ألف
 مملوك ١٠ كل مملوك منهم حياصته بألف ١١ دينار . وعندك مائتي جارية

(١) زيد في بن : السلطان .

(٢-٣) في بن : أنه يجوز .

(٣) زيد في بن : الورع - وبهامش بر : واقعة النوى مع الظاهر يبرس .

(٤-٥) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥) كذا في بن . وهي في بر : فقال .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧) في بن : في الرق .

(٨-٩) الكلمتان ساقطتان من بن .

(٩) الكلمة ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(١٠) في بن : بماية .

كل ١ جارية ٢ عندها حق ٢ حلى يزيد على عشرة آلاف دينار ، فاذا
أنفقت ذلك كله و بقيت بمالكك بنود الصوف بدلا من تلك الخواص
و بقيت جواريك بثيابهن دون الحلى حينئذ أبقى لك بجواز أخذك المال
من الرعية . فنضب الملك الظاهر من كلامه و قال : اخرج من بلدى ،
٥ يعنى دمشق . قال : سمعا و طاعة ٣ . و انتقل ٤ منها إلى بلده ٥ نوى ، و هى
ضبعة بأرض حوران . فقالت الفقهاء للملك الظاهر بعد ذلك : إن هذا
٦ الذى أمرت بخروجه من دمشق ٦ الفقيه من كبار ٧ العلماء و الصلحاء
و ممن ٧ يقتدى به فأعده إلى دمشق ، فرسم برجوعه إليها ، فساروا إليه
و رغبوه فى الرجوع إلى دمشق . ٦ و قالوا قد رسم السلطان برجوعك
١٠ إليها ٦ فامتنع و قال : لا أدخلنها و الملك الظاهر بالحياة أبدا . فلما كان
بعد شهر كان الملك الظاهر فى نفسه شىء من بعض أمرائه . فصنع له شربة
مسمومة و دسها بين شربات غير مسمومة ، فلما قصد ٨ أن يسقى الأمير

(١) فى بن : لكل .

(٢-٣) الكلمتان ساقطتان من بن .

(٣) فى بن : و طاعة .

(٤) فى بن : فانتقل .

(٥) فى بن : بلد .

(٦-٧) ساقطة من برو واردة فى بن .

(٧-٧) فى بن : علمائنا و صلحائنا و ممن .

(٨) فى بن : اراد .

تلك الشربة المسمومة غلط فيها ١ فشرب هو المسمومة ١ . [٢٢٣ : الف]
 فمات و شرب الأمير غير المسمومة فسلم ٢ . فلما سمع ٣ الشيخ محي الدين
 بموت ٤ الملك الظاهر دخل دمشق . و هو محي الدين يحيى ٥ بن شرف
 ابن موسى بن حسن بن حسين بن جمعة الجذامي أبو زكريا العالم العلامة
 الشافعي شيخ المذهب و كبير الفقهاء في زمانه . ولد سنة إحدى و ثلاثين ٥
 و ستائة بنوى ، و قدم دمشق سنة تسع و أربعين ، فقرأ التتية في
 أربعة أشهر و نصف . ثم لزم المشايخ تصحيحا و شرحا ، ثم عني^٦
 بالتصنيف^٧ فشرح كتاب مسلم في الحديث ، و صنف الرضة و المنهاج
 و الرياض و الأذكار و تحرير التتية و تصحيحه و تهذيب الأسماء و اللغات
 و طبقات الفقهاء و كتاب الإيضاح في مناسك الحج و كتاب الإنجاز في المناسك ١٠
 و غير ذلك . و كان رحمه الله^٨ من الزهاد و العباد^٩ و التجرد و الورع^٩

(١-١) في بن : فشر بها هو .

(٢) زيد في بن : هكذا قيل و الله تعالى أعلم .

(٣) في بن : بالغ .

(٤) في بن : وفاة .

(٥) بهامش بر : محي الدين النووي .

(٦) في بن : اعتنى .

(٧) بهامش بر : مؤلفاته .

(٨) زيد في بن : تعالى .

(٩) الكلمة ساقطة من بن .

والانجماع عن الناس والتخلي لطلب العلم^١، و كان يصوم الدهر^٢ ولا يجمع بين إدامين . حكى^٣ أنه كان يدفع لبواب المدرسة الذي^٤ هو ساكن بها فلسين يشتري له بهما^٥ حمصا مصلوقا يفطر عليه فيشتريه بهما له . فلما كان في بعض الليالي قال البواب : لا بد لي الليلة أن أقتن الشيخ فاشترى له حمصا ، وجعل^٦ عليه زيتا وطحينة و خلا و كونا وملحا . فأتى^٧ به إليه^٨ ، فنظر إلى ذلك^٩ فاستغربه . وقال^{١٠} : ما هذا ؟ فقال^{١١} : يا سيدي هكذا تأكل الناس الحصى بجوامجه . فقال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « نعم الإدام الحن » ولم يجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين إدامين قط ، فالحنس وحده إدام والزيت إدام

(١) زيد في بن : على جانب .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) بهامش بر : مطلب يذكر فيه أخبار الإمام العلامة شيخ الإسلام محي الدين النووي .

(٤) في بن : التي

(٥) زيد في بن : له .

(٦) في بن : وأتى .

(٧) في بن : له به .

(٨) في بن : إليه .

(٩) في بن : فقال .

(١٠) في بن : قال .

و الطحينة إدام و الخل إدام و الكمون إدام ، فانا لا نأكل غير إدام واحد ، كله أنت ولا تعد لمثل ذلك . ٢ فأخذته واشترت له حصا وحده ، ٣ و أتيت به إليه فقبله ٢ . و كان ' الناس يأتون إليه يقرأون ٥ القرآن عليه ، و كان فيهم صبي يقرأ عليه و الشيخ لا ينظر إليه لصغر سنه و حسن وجهه ، فلما كان بعد سنة من حين قراءته عليه قال : من أبوك ؟ ٥ قال : فلان الحلوى فأتى الصبي إلى والده ذكر له ذلك ، ففرح بسؤال الشيخ عنه ، فصنع ٦ الرجل من السكر حلاوة مطية بماء الورد و المسك و العنبر ٦ و لوّنها ألوانا ٣ و ملأ طبقا كبيرا ٣ و غطاه و أتى به إلى الشيخ ، ٣ فدق بابه دقا خفيفا فقال : من ؟ ٧ و قال له ٧ : عبدك الحلواني ٨ أبو الصبي الذي سأله بالأمس ' بعد قراءته ٩ عني ، و قد أتيتك بما معي أرجو بركتك ١٠ فاقبله مني . ٣ فأمره بالدخول فدخل و وضع الطبق بين يديه ٣ ، و رفع

(١) في بن : إلا .

(٢) زيد في بن : قال .

(٣-٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤) عن بن ، و في بر : و كانت .

(٥) في الأصلين : يقرون .

(٦-٦) في بن : حلوى طيبة من سكر و وضع فيها المسك و الماء و ورد و العنبر الحام .

(٧-٧) في بن : قال .

(٨) في بن : الحلوى .

(٩-٩) ساقطة من بن .

الغطاء عن الطبق ، فظفر الشيخ لتلك الحلوى [٢٢٢ : ب] اوهى ما بين
أصفر وأحمر وأخضر وأبيض ^١ ، ورأى منها ما هو متطاولى وملوى
ومدور ومشوب ومبسوط ^٢ ، وقد سعطت ^٣ تلك الروائح الطيبة العبقة
إلى خياشيمه فقال : هذا طعام الجبارة ، ارفعه عنى عافاك الله . فرفعه
هـ الحلوانى ؛ رجع به إلى حانوته مكسور الخاطر على عدم قبوله منه - انتهى .
و كان الشيخ محي الدين المذكور على جانب كبير من الورع والزهد فى
الدنيا . وكانت وفاته فى ليلة الجمعة ثمانى عشر ربيع الأول سنة ست
و ستين ^٤ و ستمائة - انتهى .

نعود إلى من ولى مصر بعد وفاة الملك الظاهر بيبرس - ولى ٤ ملك مصر
١٠ بعده هـ الملك السعيد ٦ . ثم ولى بعد الملك السعيد الملك العادل شلامش ^٥
ابن بيبرس وأتابك عسكره الأمير سيف الدين قلاون الصالحى . نخلعه
قلاون من الملك ونقاه ، كما قيل إلى بلاد الإفرنج ، والله ^٦ أعلم .

- (١-١) فى بن : التى منها الأصفر والأحمر والأخضر والأبيض .
(٢) فى بن : سطعت .
(٣) وربما كانت صحة التاريخ «وسبعين» كما ورد فى دائرة المعارف الإسلامية .
(٤) فى بن : ثم .
(٥) فى بن : بعد وفاته .
(٦) وهو الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان بن الظاهر بيبرس وسلطنته
٦٧٦ - ٦٧٨ هـ = ١٢٧٧ - ١٢٧٩ م .
(٧) وهو الملك العادل بدر الدين شلامش وكانت سلطنته قصيرة فى ٦٧٨ هـ =
١٢٧٩ م .
(٨) زيد فى بن : تعالى .

[أخبار السلطان قلاون]

وولى^١ قلاون^٢ ملك مصر و لقب بالمنصور . و أتى فى دولته منكوتمر التترى ابن خال الملك ابغا ابن الملك هلاون^٣ طامعا فى الشام . فنفق الملك المنصور قلاون فى جيوش مصر و خرج بهم للقائه ، فكان اجتماعهم فى حمص ، و عضده فى الملك^٤ الأميران الكبيران^٥ . اليسرى و الحلبي ، و جاءه الأمير^٦ سنقر الأشقر من قلعة صهيون بعد أن كان امتنع من مبايعته له ، ففرح^٧ السلطان به و قال له : يا خشداش^٨ أرسلت^٩ لك كتابى فلم تأت^{١٠} ، و جئتنى الآن بغير^{١١} طلب . فقال : ما أتيت إلا^{١٢} نصرة للمسلمين^{١٣} ، و الموافقة على لقاء العدو اللعين . ففرح السلطان و المسلمون به^{١٤} ، و قاتلوا منكوتمر التترى ، فكانت كسرة انتز على يد الأمير سيف الدين أزدمر ، ١٥

(١) فى بن : ثم ولى .

(٢) وهو الملك المنصور سيف الدين قلاون و سلطنته ٦٧٨ - ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩

- ١٢٩٠ م .

(٣) فى بن : هلاكو .

(٤ - ٥) فى الأصل بر : الأميرين الكبيرين - و صحته فى بن .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : ففرح .

(٧) فى بن : يا خشد .

(٨ - ٩) فى بن : إليك لتأت إلى فلم تأتى .

(٩) فى بن : من غير .

(١٠ - ١١) فى بن : لنصرة المسلمين .

فدا المسلمين بنفسه، فأتى شهيدا بجيلته التي دبرها، فحصل لهم به النصر، وحصل له جنة المأوى بالشهادة التي رزقها، وصار له جميل الذكر بما خيل له فهمه من الفكر. وذلك أن الأمير أزدمر المذكور جمع حاشيته وجماسته^١ وماليكه وغلانته في الليل وقال لهم: إني غدا فاعل أمرا ه أرجو به أجرا ولست أكرهكم عليه إلا من رضى. ثم عمد إلى ماليكه أعتقهم وأعطى كل واحد منهم مالا، وفرق على غلنانه وحفدته المال^٢ من خزائنه وذلك في الليل^٣، ثم قال لهم: إني^٤ في غداة^٥ أفدى المسلمين بنفسى، أخرج إلى العدو في صفة رسول، فاذا قربت من الملك منكوتمر قتلته فأقتل حيثنذ، فن أراد الجنة فليتبعى^٦، [٢٢٣ : الف] فقبه بملوك ١٠ واحد ورجل كان عنده جمالا يسمى^٧ عليا السيروان. فكان الجمال^٨ المذكور بين يدي أزدمر وملوكه على فرس خلفه، وأزدمر راكبا على فرس قد ربط كتابا مطويا في عقب رمح، وجعل سنان رمح خلف ظهره^٩ وودع السلطان والأمراء^{١٠}، وبرزين الصفين وصرخ قائلا: أنا رسول إلى الملك. فلما سمعوا تكرار مقاتله تلك أفرجوا^{١١} له طريقا،

(١) في بن: فدى.

(٢) ساقطة من بن.

(٣-٣) ساقطة من بر وواردة في بن.

(٤) في بن: وقال.

(٥) زيد في بن: غدا.

(٦) في الأصل: فيتبعنى. والأصح في بن كما أوردنا بالنص.

(٧) في بن [١٧١ : الف] : المال - وهو خطأ قلبي واضح.

(٨) في بن: أفرجت التمر.

فلما قرب من الملك منكوتمر^١، قلب رمح^٢ه وطعنه بسنانه^٣ طعنة ألقاه
عن فرسه قتيلا . فترجل جيشه عند وقوعه، فداستهم عند ذلك عساكر
المسلمين . وقتل الأمير أزدمر ومملوكه والسيروان باختطاف سيوف
التتر لهم حين وقوع الملك منكوتمر^٤ . وانتصر المسلمون على العدو المخذول
قتلوه و غنموه . فبينما الملك المنصور بالنصر مسرورا، إذ نادى مناد^٥
في ذلك النادى : نصيحة لمولانا السلطان . فسمعه السلطان فطلبه فحضر
فقيل له : ما نصيحتك ؟ فقال : إن نصارى أهل الذمة يلد قارا صاروا
يتخطفون المسلمين من الطرق^٦ يكبلونهم بالقيود ويرسلونهم إلى طرابلس
يبيعونهم بها للأفرنج^٧، وقد صار^٨ المسلمون يفعلهم ذلك معهم في العذاب
والهوان ، وقد فعلوا بي ذلك و باعوني بها فتجليت و هربت ، وقد أتيت
مستغيثا بالله وبمولانا السلطان ، فأغث المسلمين المأسورين بفعل نصارى
قارا الذميين . فلما سمع السلطان مقالته أمر بالحفظ به ورحل طالبا
دمشق . فبينما هو سائر^٩ إذ رأى بلدا^{١٠} على طريقه^{١١}، فسأل عنها، فقيل^{١٢}

(١) في بر : ابغا . وفي بن : التتر . والواضح من السياق ما أوردناه النص .

(٢) في بن : بسرعة .

(٣) في الأصل : ابغا ، وهي ساقطة من بن ، وصوابها واضح كما في النص .

(٤-٤) في بن : منادى ينادى . وزيد بهما : بأعلا صوته . وفي بر : منادى .

(٥) في بن : الطرقات .

(٦) في بن : للأفرنج .

(٧) في الأصلين : صارت .

(٨-٨) الجملة ساقطة من بن .

(٩) كذا في بن وهي في بر : فسئل .

(١٠) في بن : قيل .

هي قارا . قتل عليها فخرجت أهلها النصارى له بالإقامات . و كان بها ألف نصراني ليس بينهم مسلم واحد . فلما وقع نظر السلطان على القيسيين و الرهبان مع تلك الإقامات^١ ، أمر بكل نصراني بقارا^٢ أن يخرج منها^٣ إلى العرض ، فدخلها^٤ الجند أخرجوا^٥ كل نصراني كان بها في الجبال ، ه فقدموا إلى السلطان فقال لهم : أتم^٦ أهل قارا الذميون^٧ . قالوا : نعم . قال : بلغ من أمركم و أتم تحت الذمة إلى أن صرتم تتخطفون المسلمين من الطرق^٨ تبيعونهم للفرنج^٩ بطرابلس . فقالوا : حاشا لله أن نفعل^{١٠} ذلك ، و إنما نحن تحت الذلة و المسكنة و الطاعة . فادعى السلطان حينئذ باحضر المسلم المختطف^{١١} به فحضر . فقال له : إنك ادعيت أن نصارى قارا أسروك [٢٧٣ : ب] و باعوك بطرابلس ، و أنهم صاروا يتخطفون المسلمين و يبيعونهم بها^{١٢} ، وقد أنكروا ما ذكرت عنهم^{١٣} ، فما حجتك عليهم^{١٤}

(١) في بن : الإقامة .

(٢) في بن : بها .

(٣) عن بن ، و هي ساقطة من بر .

(٤) ساقطة من بن

(٥) في الأصلين : فدخلتها .

(٦) ساقطة من بر و وارة في بن .

(٧) في بن : أنت .

(٨) في الأصلين : الذميين .

(٩) في بن : للفرنج .

(١٠) في بن : نكون نفعل .

(١١) في بن : المختطف

(١٢ - ١٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

فصار الرجل يذكر لهم فعلهم بأدلة ذكرها لهم^١ وأما^٢ حقها وأظهرها،
فقويت حجته عليهم، فسقط ما بأيديهم^٣، فعند ذلك دحضت حجتهم
و ظهرت فضيحتهم^٤، فأمر السلطان بقتلهم، فقتلوا عن آخرهم، وأخذت
أموالهم، وسبيت نسوانهم^٥ وأطفالهم، وسكن المسلمون قارا بعد هلاك
النصارى، وجعلت كنائسهم مساجد^٦، فكثرت بها الراكع والساجد^٧،
وبدل الناقوس بالأذان، والكفر بالإيمان، فله الحمد والشكر على ذلك.
واعلم أن أهل الذمة إذا خرجوا قاطعين لطريق المسلمين مخيفين
لهم^٨، فهل يكون ذلك نقضا للعهد أو لا^٩؟ مذهب ابن قاسم^{١٠} -
وهو المشهور - أنه لا يكون نقضا. وقال ابن مسلمة هو نقض للعهد،
ورجحه بعض الشيوخ بمسألة إكراه المسلمة على الزنا. فذهب ابن القاسم^{١١} -
بأن الذي^{١٢} أكره المسلمة على الزنا^{١٣} يقتل - انتهى .

نعود ١٢ - ثم إن السلطان الملك المنصور قلاوون بقى في نفسه من

(١) الكلمة ساقطة من برو واردة في بن .

(٢) جمع «أمار» في اللغة المصرية الدارجة بمعنى إشارة أو علامة أو دليل .

(٣-٤) الجملة ساقطة من برو واردة في بن .

(٤) في بن : نسائهم . (٥) في بن : مساجدا . (٦) في الأصلين : لها .

(٧-٨) في بن : نقض العهد أم لا .

(٨) في بن : القاسم . (٩) في بن : القسم .

(١٠) في بن : المسلم إذا - وبهامش بر : ط الذي .

(١١) زيد في بن : أنه .

(١٢) الكلمة ساقطة من بن .

طرابلس الشام^١ شيء^٢، فرحل من قارا ونزل على^٣ دمشق، ففرح^٤ به أهلها^٥، وزينوا البلد لقدمه ونصره على التتر^٦ بالحلى والحلل والستور والكلل^٧. فأقام حتى استراحت العساكر، وارتحل منها طالبا مصر بالغنائم التي اكتسبها^٨. ثم بعد ذلك بمدة^٩ عزم على فتح طرابلس. فجهز لها العساكر وقصدها في عام ثمان^{١٠} وثمانين وستمائة، فحاصرها^{١١} ونصب عليها تسعة عشر منجنيقا، وراماها بالحجارة^{١٢}، في الليل والنهار، إلى أن أخرب منها الديار. فكان مدة حصاره لها أربعة وثلاثين يوما، وقيل أربعة وخمسون^{١٣} يوما. فحينئذ طلعت الصناجق^{١٤} المنصورة إلى المدينة، فقتلوا وأسروا وغنموا الغنائم الكثيرة^{١٥}، وهرب بعض الإفرنج^{١٦} من البلد في المراكب دخلوا الجزائر، فحصل في قبضة السلطان منها ألف ومائتا^{١٧} أسير. وكانت الإفرنج^{١٨} ملكتها من المسلمين في سنة

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢-٣) في بن: فرجع من قارا إلى .

(٣) في الأصليين: ففرحت .

(٤) زيد في بن [١٧١ : ب] : المسلمون .

(٥-٥) الجملة ساقطة من بن .

(٦) الكلمة ساقطة من بر، وواردة في بن .

(٧) في بن: ثمانية . (٨) في بن: وحاصرها .

(٩) في بن: بالحجارة . - وهو الأصح ولكن تركناها كما في بر لضمان السجع .

(١٠) في بن: وخمسين . (١١) في بن: الصناجق . (١٢) في بن: الفرنج .

(١٣) في الأصليين: وماتى .

ثلاث وخمسة بعد أن حوصرت سبع سنين ، وصاحبها يومئذ أبو علي
عمار بن محمد بن عمار . فلما فتحها الملك المنصور قلاون ، أمر بخرابها^١
وهدم أسوارها ، فأخربت ديارها ، ورمت أسوارها . وأمر ببناء
طرابلس التي هي الآن بعيدة من الساحل عوضها . ورحل السلطان إلى
مصر مسرورا مؤيدا منصورا ، فأقام بقلعة الجبل إلى أن توفي ٢ سنة ٥
تسع وثمانين وستمائة ، ودفن [٢٢٤ : الف] بقبة المنصورية التي عمرها
له بأمره الأمير علم الدين الشجاعى ، والمدرسة و المارستان أيضا بين
القصرين بالقاهرة ، فكانت مدة مملكته إحدى عشرة ٣ سنة و ثلاثة أشهر
فولى ملك مصر بعده الملك الأشرف^٢ صلاح الدين خليل ابن الملك
المنصور قلاون .

١٠

[سلطنة الأشرف خليل]

و فى شهر شعبان سنة تسع وثمانين وستمائة ثار جماعة من الإفرنج^٣
بعكا و قتلوا جماعة كثيرة من المسلمين بها^٤ ، كانوا دخلوها بسبب التجارة ،
و أرسل^٥ أهل عكا يعتذرون للسلطان الملك الأشرف أن ما^٦ فعله

(١) فى بن : باخراها . (٢) زيد فى بن : فى . (٣) فى بن : احد عشر .

(٤) وسلطنته ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ = ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م .

(٥) فى بن : الفرنج .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧) كذا فى بن و الكلمة فى بر : وأرسلوا .

(٨) فى الأصليين : إنما .

الإجماعة من الإفرنج^١ الغرباء الذين أتوا عكا في هذه الأيام ، وإنه لم يكن عن رضائهم^٢ . ولا أرادوه^٣ ، وكان ذلك من أقوى الأسباب في تجهيز السلطان الملك الأشرف بالعساكر وخروجه لحصار عكا في السنة المذكورة ، وزحفت العساكر على عكا ، ونصب عليها المجانيق . وقيل كان في أسرى المسلمين بعكا رجل بواق طالت إقامته عندهم ولم يقدر على الهرب ، فجعلوه بواقا لهم على السور ، فلما رمى منجنيق المسلمين على عكا لم يصل الحجر إلى السور ، بل بقى من وصوله نحو ذراع أو ذراعين ، فصار المسلم المبوق على السور يقول في بوقه : قدموا قدموا . وتكرر هذا اللفظ بصوته فيه ، ففهم مبوقوا^٤ المسلمين قوله ذلك ، فأعلموا السلطان به ، فقال لأصحاب المنجنيق : قدموه ! فقدموه ورموا به رميا مترادفا فأخربوا جانبا من السور . وزحف^٥ المسلمون فدخلوها^٦ وملكوها^٧ بعون الله تعالى ، فقتلوا وأسروا وغنموا غنائم كثيرة . وكان مدة حصارها أربعة وأربعين يوما وكان عليها نحو سبعين منجنيقا كبارا وصغارا . وأمر بأخبارها^٨ قواثر الرمي عليها بالمجانيق^٩

(١) في بن : الإفرنج . (٢) في بن : رضا منهم . (٣) في بن : ارادة .

(٤-٤) هذه العبارة بكاملها ساقطة من بر و واردة في بن ويكتمل الكلام بها ،

وهي في بن [١٧١ : ب] .

(٥) في بن : مبوقين .

(٦) في بن : زحفت .

(٧) كذا في بن ، وهي في بر : فملكوها .

(٨-٨) الجملة ساقطة من بر و واردة في بن .

فأخربت ، و هي الآن اُخراب ياب^٢ ، و إلى جانبها طائفة من المسلمين
سكانا^٣ ، و في جبلها مقطع^٤ الأرحية التي للطواحين^٥ . و وصل إلى
الملك الأشرف بعد فتحه لعكا مفاتيح صور و صيدا و بيروت و انطرسوس
و عدة قلاع أختها^٦ النصارى عليهم أنهم بعد فتح السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب لبيت المقدس و فتح السلطان الملك الظاهر لأنطاكية^٧
و فتح السلطان الملك المنصور قلاوون طرابلس و فتح السلطان الملك
الأشرف لعكا^٨ لم يبق لهم في برهم سكنى معهم^٩ ، فصاروا إذ ليس لهم
طاقة بالسكنى بين المسلمين ، فأخلوها و دخلوا جزر البحر سكنوها ،
و وصلت البشارة إلى القاهرة بفتح عكا و إخراجها ، فزينت القاهرة أحسن
زينة ، و حصل عند العالم مسرة عظيمة بأخذ ثأر قتلى^{١٠} التجار المسلمين
بها ، و بخرابها و طهارة سواحل المسلمين من الإفريج^{١١} الكافرين . و رحل
الملك الأشرف و أتى إلى القاهرة فدخلها^{١٢} من باب النصر و أسارى أهل

(١-١) في بر : خرابا بيابا . . . و لفظة « بيابا » ساقطة من بن ، و ربما كانت
الكلمة « ياب » .

(٢-٢) في بن : و في جانبها قرى للمسلمين .

(٣-٣) في بن : الرحي و هي حجارة الطواحين .

(٤) في بن : احتلها .

(٥-٥) الجملة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦) كذا في بن [١٧٢ : الف] ، و هي في بر : قتلا .

(٧) في بن [١٧٢ : الف] : الفرنج .

(٨) عن بن ، و في بر : دخلها .

عكا قدامه ، وشق المدينة وهي مزخرقة بالزينة ، فدعوا الناس له
وهتؤه بالنصر إلى أن وصل إلى القصر .

٥ قال بعض العلماء : تكره التجارة إلى أرض العدو لأن فيه تغريرا
للانسان بنفسه وماله وإذلالا للدين و اعزازا للشرك أن تجرى أحكامهم
عليه ، ويرى الكفر جهارا ولا يأمن على نفسه من الفتنة ، و تكره
على ٣٠٠٠ أو يغدروه ، وكل ذلك منعه الشرع و له في بلد المسلمين
مندوحة عن التعرض لهذه الامور ، وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم : " السفر قطعة من العذاب . يمنع أحداكم نومه و طعامه
و شرابه " ١٠ .

١٠ وكان الملك الظاهر يبهرس في دولته بلغه أن صاحب جزيرة قبرس
أتى بجيشه إلى عكا لينصر أهلها خوفا من إتيان الملك الظاهر إليها .
فأراد الملك الظاهر [٢٢٤ : ب] اغتنام هذه الفرصة ، فبعث جيشا كثيفا
في سبعة عشر شينى ليأخذوا جزيرة قبرس ١١ ، فسارت الشوانى سرعة

(١) في بن : فدعا .

(٢-٣) هذا القسم ساقط من برو و وارد في بن [١٧٢ : الف] .

(٣) مطموسة بالأصل .

(٤) الكلمة ساقطة من برو واردة في بن .

(٥) في بر : ياخذوا - وفي بن : يفتحوا .

(٦) في بن : قبرص .

إليها ، فلما قربت من الجزيرة جاءتها ريح عاصف تصادمت ببعضها لبعض فتطم منها أحد عشر مركبا وغرق خلق ، وأسر من الصنائع والرجال قريبا من ألف وثمانمائة ، فانا لله وإنا إليه راجعون . فسار الملك الظاهر ونصب المجانيق على عكا ، فقال أهلها الأمان الأمان ، فأجابهم إلى ذلك ، ودخل عكا يوم عيد الفطر فتسلم حصنها . وكان هذا الحصن ه شديد الضرر على المسلمين ، وهو في وادي بين جبال . وقد كان الملك الظاهر سار^٢ إلى طرابلس الشام^١ ، فأرسل إليه صاحبها يقول : ما مرادك أيها الملك ؟ فقال : جئت لأرعى زرعكم^٣ وأخرب بلادكم وأعود إلى حصاركم في العام الآتي . فأرسل يستعطفه ويطلب منه المصالحة ، ووضع الحرب بينهم عشر سنين ، فأجابه إلى ذلك . ١٠

ثم أن السلطان الملك الظاهر مات ، فلما كان في دولة الملك المنصور قلاون فتحها^٤ وفتح ولده الملك الأشرف عكا كما تقدم ذكره ، وفي رجب سنة إحدى وتسعين وسمائة ملك المسلمون قلعة الروم ، وأخذوا منها ألف أسير ، وكانت مدة حصارها ثلاثة وثلاثين يوما .

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) كذا في بن ، وهي في بر : صار .

(٣) في بن : زروعكم .

(٤-٤) ساقطة من بر ، وواردة في بن .

(٥) في بن : ذكر ذلك .

(٦) في الأصلين : كان .

او كانت الروم أسرت عبد الرحمن الأعشى الشاعر ، وبقى في أيديهم مدة ، ثم أن بنت العليج الذي أمره هويته^٢ فكنته من نفسها فواقعها في ليلة ثمان مرات ، فقالت : يا معاشر المسلمين أهكذا تفعلون بنسائكم؟ فقال : هكذا تفعل و أكثر من ذلك ، فقالت : بهذا تعمل نصرتم علينا ، أفأريت إن نصرتك و خلصتك تصطفيني لنفسك؟ قال : نعم ! فلما كان الليل حلت قيوده و أخذت به طريقا نجيا فيها ، سارا إلى أن دخلا أرض المسلمين ، و كان المهلب بن أبي صفرة كثير النكاح ، قال ابن قتيبة : يقال إنه رقع من صلبه إلى الأرض ثلاثمائة ولد ، و كان يبعون النقية لم يكر في جيش ، و كسر ذلك الجيش أصلا ، و كان يقول : حياة ١٠ خير من الموت ، و التناء الحسن خير من الحياة ، و لو أعطيت ما لم يعط أحد لأحببت أن أكون أذنا أسمع بها ما يقال في غد إذا مت - انتهى .

و قبض السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل^٣ ابن الملك المنصور

(١ -) هذا الجزء بأكمله ساقط من برو و وارد في بن [١٧٢ : الف - ب] .

(٢) في الأصل : هويته .

(٣) في الأصل : أنى .

(٤) سلطنته ٦٨٩ - ٦٩٢ هـ = ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م .

فلأول على الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة المنصورية ، ورسم
 للأمير حسام الدين استادار^٢ والطواشي بلال بأن ينزلوا إلى دار طرنطاي
 ويطلعوا للقلعة بكل ما فيها ، فذكر بأن الذي أخرجوه منها
 ستمائة ألف دينار مصرية ، ومائة وإحدى وسبعين قنطارا دراهم وجميع
 قاشه وعدته وسلاحه ، ولم يتركوا بالدار شيئا . وكان شيئا كثيرا ، ه
 وأخذ جميع خيله^٣ وجماله ومواشيه ، مالهيكه ، فأخذ السلطان بعض
 مالهيكه^٤ وفرق الباقي على الأمراء ، وأحيط على جميع موجوده مصر
 والشام ، وعرقب بعد ذلك ، وعصر بالمعصير ، وقي في العقوبة إلى
 أن مات ، وبق بعد موته أياما مرميا^٥ في المكان الذي مات فيه ، ثم
 أنزلوه من القلعة إلى زاوية الشيخ أب سعود^٦ بالقاهرة ، فغسلوه وكفّنوه .
 وصلو عليه دفنوه قبي لزوية من ظاهره . فلما كان في أيام السلطان
 الملك العادل كتب رسم بنقله إلى تربته التي أنشأها بجوار داره ومدرسته
 [٢٢٥ : الف] بالقاهرة فدفن بها

(١) في بن [١٧٢ : ب] : نائب نائب للسلطنة

(٢) كذا في بن ، وهي في بر : استادارا .

(٣) في بن : خيامه .

(٤-٤) العبارة ساقطة من بر واردة في بن .

(٥) في الأصل بر : موجوده - وصحته في بن كما أوردنا بالنص .

(٦) في بر : مرمي . وصحته في بن .

(٧) في بر : مرمي وفي بن : مومي .

(٨) في بن : مسعود .

وفي المحرم سنة ثلاث و تسعين و ستمائة توجه السلطان الملك
 الأشرف صلاح الدين خليل إلى الصيد ، و عدى نزل الأهرام ، و رحل
 يوم السبت خامسه و نزل على تروجه يوم الخميس . و يوم ٢ السبت
 ثاني عشره قتل السلطان الملك ٣ الأشرف المذكور على تروجه ، قتله
 ٥ الأمير بدر الدين يدرا نائب السلطان ، و جماعة من أكابر الأمراء
 المتفقين معه ، و كان ابن السلعوس من أعيان دمشق ، و كان الملك
 الأشرف في دولة أبيه الملك المنصور قلاون سافر إلى دمشق ، فخدمه
 ابن السلعوس خدمة بالغة و أكرمه إكراما جزيلا ، فلما توفي الملك
 المنصور قلاون ، و ولي الملك الأشرف استوزره ، فتمكن ابن السلعوس
 ١٠ في الوزارة و شتمخ بأفقه على الأمراء ، و كان علم الدين الشجاعى نائبا
 للسلطان الملك المنصور قلاون و نائباً أيضا لولده الملك الأشرف بعده ، فركب
 ابن السلعوس المذكور ٣ بحمقه رقاب الأمراء حتى الشجاعى أيضا ،
 و استطال عليهم بتقديمه عند السلطان ٧ و قربه منه ٧ فكرهته الأمراء

(١) في بن: ف؛ بسقوط واو العطف مع استمرار الكلام السابق في تغير معنى العبارة .

(٢) في بن: و في يوم .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤) في بن: السلطنة .

(٥) في بن: الأكبر .

(٦) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٧-٧) الكلمتان ساقطتان من الأصل بر و واردتان في بن .

وتمت له العثرات . فقال بعضهم في المعنى :
تبصر يا وزير الملك واعلم بأنك قد وطأت على الأفاعى
فإن تك سالما منهم فإني أخاف عليك من لدغ الشجاعى
فلما نزل السلطان الملك الأشرف على تروجه بسبب الصيد و القنص ٢ ،
توجه ابن السلعوس إلى الإسكندرية ، وقد استصحب معه حملين مقارع ٥
بسبب مصادرة ٣ كبار أهلها ٣ ، فدخلها آخر النهار ، وكان المتولى بها
إذ ذاك الأمير حسام الدين بن باخل ، فعنفه الوزير المذكور و شتمه ٤
وقال له : غدا أضربك بالمقارع . فخاف منه وخافت أهل الإسكندرية
منه أيضا خوفا شديدا بسبب إتيانه لهم بالمقارع لأخذ أموالهم منهم
بظلمه . وعنفه ٥ فبات الناس في كرب شديد لما يصبح يفعل ٦ بهم . فلما ١٠
قتل الأمير بيدرا الملك الأشرف ٧ بعد العصر ٨ و بعد دخول ابن السلعوس
إلى الإسكندرية ٩ وقت العصر ٦ ، أتى بدوى في الليل إلى الطاق التى بدار
الإمارة فى السور . صاح ففتح الأمير الطاق وقال : ما الخبر ؟ فقال :
أيها الأمير تعيش و تبقى ٧ فى السلطان فإنه قتل وقت ٨ العصر و قد

(١) فى بن : و تصفوا . (٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٣) فى بن : أعيانها .

(٤) فى بن : يفعل .

(٥-٥) الكلمتان ساقطتان من بر و واردتان فى بن .

(٦-٦) الكلمتان ساقطتان من بن .

(٧) فى بن : و تبقا .

(٨) فى بر : بعد .

أتيت^١ مطردا بخبر قتله فانظر لنفسك . فضى الأمير إلى منزل الوزير ابن السلعوس^٢ ودق الباب ، فخرج [٢٢٥ : ب] له الطواشى فقال : من أنت ؟ قال^٣ : أنا الأمير^٤ ابن باخل ، فقال : ما تريد ؟ قال^٥ : أريد الاجتماع بمولانا الوزير . فأخبره الطواشى بذلك ، فقال : قل له يا شيخ النحس ه جئت^٥ في هذا الوقت^٥ تبرطلنى ، غدا أضربك^٦ بالمقارع . فبلغه الطواشى^٧ الرسالة ، فقال^٨ للطواشى : قل له جاءك^٩ في أمر أهم^{١٠} من البرطلة^{١١} ، فيه مصلحتك لا مصلحتى . فأعلمه الطواشى بذلك فخرج إليه فقال له : ما الذى أتى^{١٢} بك في هذا الوقت ؟ فقال له :^{١٣} أمر مهم . فقال : وما هو ؟ قال^{١٤} : يا مولانا الوزير انظر في أمرك فان مولانا السلطان قتل بالأمس

(١) في بن : اتيتك .

(٢) في بن : سلعوس .

(٣) في بن : فقال .

(٤-٤) العبارة ساقطة من برو واردة في بن .

(٥-٥) الكلمات ساقطة من بن [١٧٢ : الف] .

(٦) كذا في بن ، وهى في برو : يضربك .

(٧) الكلمة ساقطة من برو واردة في بن .

(٨) زيد في برو : قل . والكلمة لا محل لها في السياق فأسقطناها لاستقامة العبارة .

(٩) في بن : اتاك .

(١٠-١٠) في بن : مما ذكرت .

(١١) في بن : أتا .

بعد ' العصر ، ونفذ حكم الله فيه ، وقد أتاني الخبر مع نجّاب الآن
 بذلك . فلما سمع الوزير كلامه ٢ كشف رأسه وانكب على رجلى ٣
 الأمير يقبلهما ' وقال : يا أمير الجيرة * أخرجني في هذه الساعة لئلا
 يقتلني أهل الإسكندرية غدا بالحجارة . فعند ذلك طلب الأمير الأجناد
 والجبليّة سلمه لهم ٤ وقال : احتفظوا به إلى أن توصلوه ٥ وطاق السلطان
 بتروجه . فلما وصل الوزير إلى ٦ الوطاق ، ظفر به الأمير علم الدين
 الشجاعى ، فلم يزل يضربه بالمقارع إلى أن مات ٧ . وكانت مدة مملكته
 الأشرف ثلاث سنين وشهرين وستة أيام . ولما وصل خبر قتله ٨ إلى
 الوطاق ركب الأمير حسام الدين استادار الأمير زين الدين كتيّغا والمماليك
 السلطانية و التقوا مع الأمير يبدرا قتلوه وهرب من كان معه . ووصل ١٠

(١) اساقطة من بر و واردة في بن .

(٢) في بن : كلامك .

(٣) في بن : أقدام .

(٤) في بن : قبلها .

(٥) زيد في بن [١٧٣ : الف] : يا أمير .

(٦) في بن : إليهم .

(٧) زيد في بن : الى .

(٨) الكلمة اساقطة من بن .

(٩) في بن : هلك .

(١٠) في بن : مقتل السلطان .

الخبر إلى القاهرة بقتل السلطان ' وهو يتصيد ' فغلقت القاهرة و مصر
' وفي يوم الإثنين رابع عشر المحرم أحضروا رأس بيدرا على رمح
وظافوا به مصر و القاهرة . ثم علقوها على باب داره ' .

[سلطنة الناصر محمد الأولى]

٥ وفي يوم الثلاثاء خامس عشر المحرم سنة ثلاث و تسعين و ستمائة
شرعوا في تحليف العساكر المنصورة للسلطان الملك الناصر محمد بن الملك
المنصور قلاوون و عمره يومئذ تسع سنين كاملة . وفي هذا النهار قبض
على الأمير بهاء الدين رأس نوبة و على اقوش الموصل الحاجب . وكانا
من جملة الأمراء المخامرين ، و طلعوا بهم القلعة ، فعند وصولهم إلى
١٠ القلعة قامت إليهم الممالك السلطانية قتلوهم و قطعوا رؤسهم و علقوها
على أبواب دورهم . ثم أن الخرافيش سحبوا جثثهم و أحرقوهم في أقنعة
الجير . وفي هذا اليوم وقع الاتفاق على أن يكون الأمير زين الدين
كتبغا نائب السلطنة العظيمة و الأمير علم الدين الشجاعى وزيراً ، فقتل
الشجاعى وقت العصر من يوم السبت تاسع عشر المحرم [٢٢٦ : الف]

(١-١) ساقطة من برو واردة في بن .

(٢-٢) العبارة بأكملها ساقطة من بن .

(٣) و سلطنته الأولى ٦٩٣ - ٦٩٤ هـ = ١٢٩٣ - ١٢٩٤ م .

(٤) كذا في بن ، وهى في بر : بهاءى .

(٥) في بن : وكان .

(٦) في الأصل : وزير .

من السنة المذكورة ، وطيف برأسه على رمح .

وفي ليلة الثلاثاء عاشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة ركب^١ المماليك السلطانية المقيمون^٢ بالكبش أحرقوا باب سعادة - أحد أبواب القاهرة - ودخلت المماليك المذكورون^٣ منه إلى سوق السلاح كسروا الدكاكين وأخذوا ما احتاجوا إليه من جواشن وخوذ وطوارق وسيوف ، ه ثم خرجوا إلى ظاهر^٤ باب زويلة كسروا دكاكين بر^٥بع الأمير زين الدين كتبغا وهو يومئذ نائب السلطنة المعظمة . وأخذوا منها سروجاً مذهبة وعدداً^٦ ، ثم ركبوا واجتمعوا تحت القلعة إلى بكرة يوم الثلاثاء ، فلم يتم لهم مرادهم ، فنزل إليهم الأمراء من القلعة حملوا عليهم فكسروهم ، وقتل منهم جماعة وأسروا الباقين ، ومسك مقدميهم قطع^٧ أيديهم وأرجلهم ، ١٠ وكل^٨ بعضهم بالنار ، وقطعت السنة بعضهم على باب زويلة .

[سلطنة العادل زين الدين كتبغا]

وفي يوم الأربعاء حادى عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة

(١) في بن : ركب .

(٢) في الأصلين : المقيمين .

(٣) في الأصلين : المذكورين .

(٤) الكلمة - اقطة من بن .

(٥) وردت الكلمة في الأصلين بدون ألف التنوين .

(٦) في بن : قطعت .

(٧) كذا في بن ، وهى في بر : كحلوا .

ركب الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة من دار النيابة فرسا بالرقبة^١ والكنبوش ، وحملوا^٢ الغاشية^٣ قدامه . ومشت الأمراء في خدمته ، ودخل الإيوان الكبير ، وجلس على كرسي المملكة ، وتقلد السلطنة . وتلقب بالملك العادل^٤ . وأخلع على الأمير لاجين ، وولاه نيابة السلطنة بالديار المصرية ، وأخلع على الأمير عز الدين الأفرم وجعله جان دار . وفي شهر شوال سنة أربع وتسعين وستمائة ابتداء الوخم والموت ، وكان أكثره في الصعاليك بسبب الغلاء . وكان القمح في هذا الوقت بخمسة وسبعين درهما نقرة الأردب بالكيل المصرى . وفي تلك السنة بلغ النيل ستة عشر ذراعا وسبعة عشر أصبعا . ثم زاد^٥ السعر^٦ فبلغ ١٠ القمح^٦ مائة^٧ وعشرة دراهم نقرة الأردب بالكيل المصرى . وبلغ رطل اللحم المصرى درهمن^٨ نقرة . وفي ذى الحجة^٩ من السنة المذكورة^٩

(١) في بن : بالرقية .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في بن : والغاشية .

(٤) سلطنة العادل زين الدين كتبغا ٦٩٤ - ٦٩٦ هـ = ١٢٩٤ - ١٢٩٦ م .

(٥) في بن [١٧٣ : ب] : ازداد .

(٦-٦) في بن : في القمح قبل .

(٧) زيد في بن : درهم .

(٨) في بر : درهمن . وفي بن : بدرهمن .

(٩-٩) في بن : وهي سنة أربع وتسعين وستمائة .

ازدادت الأسعار، فبلغ القمح مائة و ثلاثين^١ درهما^٢ نقرة الأردب
بالكيل المصرى . ٣ وفي صفر سنة خمس وتسعين وستمائة بلغ القمح
بالكيل المصرى ٣ مائة وخمسين درهما نقرة الأردب، والخبز رطل و نصف
مصرى بدرهم نقرة . و كان كل ترأس يحمل فى زمن النخشب أردبا
على كتفه، فصار يحمل ربع أردب لضعفه بسبب الجوع . و بلغ ٥
الرطل اللحم الجردى وهو رطلان^٤ و سُدس رطل بالمصرى تسعة
دراهم [٢٢٦ : ب] نقرة بالإسكندرية . و كانت^٥ العربان بها تعلق
^٦ عند ذبح الخرفان دمه^٦ . و مات من الصعاليك بسبب الجوع خلق
كثير، و حفرت لهم الحفائر، فدفن فى كل حفرة جماعة كثيرة . ثم
اشتد الغلاء بمصر، فهلك كثير^٧ من الفقراء و الأغنياء . ثم عقبه فناء ١٠
عظيم حتى قيل إن السلطان الملك العادل كتبنا كفن من ماله فى مدة
يسيرة نحو^٨ من^٩ ماتى ألف ميت و عشرين ألف ميت . و أكلت

(١) كذا فى بن، و هى فى بر: و ثلاثون .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٣) العبارة ساقطة من بن .

(٤) فى الأصلين : رطلين .

(٥) عن بن ، و فى بر: و كان .

(٦-٦) فى بن : دم الخراف حين ذبحها بالمجازر .

(٧) كذا فى بن ، و هى فى بر: كثيرا .

(٨) فى الأصلين : نحو .

الناس الكلاب و' الميتات ، و' أكلت الناس ' من الأطفال ' شينا كثيرا ' ،
 يشوى ٣ الوالدان ولدهما ٣ و' يأكلانه . و' كثر ' هذا في الناس حتى صار
 لا ينكر بينهم حتى صاروا يحتالون على بعضهم البعض ، و' يأكلون من
 يقدرون عليه . و' كان الرجل يضيف صاحبه ، فإذا خلا به ذبحه و' أكله .
 د و' وجد عند رجل نحو من أربعائة رأس أكل هو و' عياله أجسادها .
 وهلك كثير من الأطباء الذين يستدعون إلى المرضى فيذبحون و' يؤكلون .
 هـ و' قد استدعى ٦ رجل طبيباً فذهب معه على وجل ، فجعل الرجل يتصدق
 على من وجدته في الطريق و' يذكر و' يسبح و' يكبر ، فارتاب الطبيب ،
 و' مع هذا حمله الطمع على الاستمرار معه . فلما وصل الدار إذا هي
 ١٠ خربة ، فاشتد خوف الطبيب ، فخرج رجل من الدار فقال لصاحبه :
 ما هذا البطء ٧ ، جئنا بصيد ؟ فلما سمع الطبيب هرب ٨ .

[سلطنة حسام الدين لاجين]

وفي المحرم سنة ست وتسعين وستمائة كان الملك العادل كتبنا

(١-١) العبارة ساقطة من بن .

(٢-٢) في بر : شيء كثير . وفي بن : خلق كثير .

(٣-٣) في بر : الوالد ولده . وفي بن : الوالدان ولدهما .

(٤) في بن : وكثير .

(٥-٥) هذه العبارة بكاملها ساقطة من بر و' واردة في بن .

(٦) في الأصل : استدعا .

(٧) في الأصل : البطو .

بدمشق، فخرج طالبا الديار المصرية، فركب الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطان بمصر والأمراء في خدمته، وقصدوا الملك العادل كتبغا وهو بالدهليز، فلما قربوا وعلم منهم أنهم قد عملوا عليه، خرج وركب في نفر يسير من عماليكه وطلب نحو دمشق، فغلموه من الملك، وتسلطن الأمير حسام الدين لاجين^١ ولقب بالملك المنصور. وتوجه الملك العادل كتبغا من قلعة دمشق إلى صرخد يقيم بها. وركب الملك المنصور لاجين، وهو أول يوم ركوبه إلى الميدان، فبينما هو يلعب الكرة وإذا به تقنطر من على فرسه، فانكسرت يده، وأقام مدة أربعين يوما لم يركب.

- قال الشيخ تاج الدين بن عطا: ولما اجتمعت 'بالسلطان الملك' ١٠ المنصور لاجين حين توجه للعافية قلت له: يحب عليكم الشكر لله تعالى^٢ على العافية وأن الله سبحانه قد قرن دولتكم بالرخاء فانشرح قلوب الرعايا لكم، والرخاء أمر لا يستطيع تكسبه ولا استجلابه^٣ كما يتكسبون العدل والجود والعطاء. فقال: وما هو الشكر؟ قلت: الشكر على ثلاثة أقسام، شكر اللسان، وشكر الأركان، وشكر الجنان؛ فشكر ١٥

(١) سلطنته ٦٩٦ - ٦٩٨ هـ = ١٢٩٦ - ١٢٩٨ م.

(٢-٢) في بن: بالملك.

(٣) ساقطة من بن.

(٤) في بن: استجلابه. وهو خطأ فلهي واضح.

اللسان التحدث بنعم الله ، قال الله سبحانه ” وأما بنعمة ربك فحدث “ ؛
و شكر الأركان العمل بطاعة الله ، قال [٢٢٧ : الف] الله سبحانه ” اعملوا
ال داود شكرا “ ؛ و شكر الجنان الاعتراف بأن كل نعمة بك أو بأحد
من العباد من الله سبحانه ٣ ، قال الله سبحانه ” وما بكم من نعمة
ه فمن الله “ .

ووصل السلطان * الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون °
إلى الكرك من القاهرة ، و كان الملك المنصور لاجين سيّره إلى الكرك
من العشر الاخير من ربيع الأول سنة ست و تسعين و ستمائة ليقيم بها ،
و توجه به في خدمته ، منهم الأمير سيف الدين سلار و هو يومئذ استاذره ،
١٠ فأوصله إلى الكرك و عاد إلى القاهرة . و في ربيع الأول سنة ثمان
و تسعين و ستمائة قتل السلطان الملك المنصور لاجين . قتله الأمير سيف الدين
كرجى مقدم الممالك السلطانية و جماعة متفقون ° معه ، فسكوا الأمير
منكوتمر نائب السلطنة و اعتقلوه ° في الجب بالقلعة ، ثم أخرجوه
و ذبحوه .

(١) قرآن كريم ٩٣ : ١١ .

(٢) قرآن كريم ٣٤ : ١٣ .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) قرآن كريم ١٦ : ٥٣ . و زيد في بن بعد ذلك : انتهى ، فعود .

(٥-٥) في بن [١٧٤ : الف] : محمد بن المنصور

(٦) في بن : استاذار .

(٧) في الأصلين : متفقين .

(٨) في بن : و اعتقل | .

[سلطنة الناصر محمد الثانية]

ثم اجتمع^١ الأمراء الكبار مثل يببرس ششنكير و سلا ر مدبروا^٢ الدولة و اتفقوا على أن يطلبوا السلطان ٣ الملك الناصر محمد^٤ من الكرك و يولوه السلطنة ثانيا^٥. و أتت البشائر إلى القلعة بخروج الملك الناصر من الكرك. فوصل إلى القاهرة ليلة السبت من شهر ١٠٠٠٠ هـ سنة ثمان و تسعين و ستمائة، فبات باقى ليلته فى الإصطبل، و طلع بكرة النهار إلى القلعة. و أخلع على الأمير سلا ر و ولاه نيابة السلطنة^٦ بالديار المصرية. و فرق الخلع على الأمراء المقدمين و الأعيان^٧ و القضاة و الدواوين الكبار و من جرت عادته بالخلع عند جلوس الملك على كرسى الملك. فكث السلطان مدة و ششنكير^٨ و سلا ر حاكين عليه حتى ١٠٠٠٠ هـ. قيل إنه كان يطلب أوزة^٩ مشوية لم تعط^{١٠} له حتى يشاوروا عليها

(١) عن بن، و فى بر: اجتمعوا.

(٢) فى الأصلين: مدبرى.

(٣) ساقطة من بن.

(٤) عن بن، و الكلمة ساقطة من بر.

(٥) سلطته الثانية ٦٩٨ - ٨٧٠ هـ = ١٢٩٨ - ١٣٠٨ م.

(٦) بياض بالأصلين.

(٧-٧) العبارة ساقطة من بن.

(٨) فى بن: و شاشنكير.

(٩) فى بر: وزه. و هى كما أوردنا فى بن.

(١٠) كذا فى بن، و هى فى بر: تعطا.

سلار وشنكير^١ ، فضجر السلطان من ذلك و طلب ' السفر إلى ' الحجاز الشريف^٢ ، فطلع من التيه إلى الكرك أقام به ، و التيه بين الشام إلى أرض مدين ، فأقام السلطان بالكرك ينتظر الفرج من ربه ، و لسان حاله يقول :

ه اصبر على الضيق إن أصبحت منغمسا

في الضيق من لجج تهوى إلى لجج

فما تجزع كأس الصبر معتصما

بالله إلا أتاه الله بالفرج

[سلطنة يبرس ششنكير]

١٠ ثم أن يبرس ششنكير^١ تسلطن و لقب بالملك المظفر ، و أقام في الملك مدة يسيرة .

[سلطنة الناصر محمد الثالثة]

ثم أن أمراء الشام الكبار أتوا إلى الكرك أخذوا الملك [٢٢٧ : ب] الناصر محمد^٢ و أتوا به إلى مصر ، فهرب يبرس ششنكير^١ إلى الصعيد ، فأدركته الأمراء فقلته^٣ . ثم أن السلطان^٤ الملك

(١) في بن : جاشنكير .

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٣) عن بن ، و هي ساقطة من بر .

(٤) في بن : جاشنكير . و سلطنته ٧٠٨ - ٧٠٩ = ١٣٠٨ - ١٣٠٩ م .

(٥) سلطنته الثالثة ٧٠٩ - ٧٤١ = ١٣٠٩ - ١٣٤٠ م .

(٦) عن بن ، و في بر : قتلته .

(٧) ساقطة من بن .

الناصر محمد حبس سلا رين حائطين قائمين أمر ببنائهما عليه ومنعه
من ' الطعام في الليل والنهار لمخامرته مع ششكير' عليه . ولما قصده
أيضا للناس ٢ من الغلاء بخزنه سُورَ القمح يطلب فيه السعر الكثير .
٣ فقيل : إنهم كانوا يأكلون الحشيش بربع درهم نقرة الوقية ، فما يأكلون
الحبز بربع درهم نقرة الرغيف' ، فكان' يصرخ في مجلسه و يقول' : ه
الجوع الجوع . فأرسل السلطان له طبقا فيه دنانير' وقال لحامله :
٤ قل له' يقول لك السلطان كُلْ من هذا الطعام الذي كنت' تحبه
وتحب' جمعه وتنمته من الغلاء الذي كنت' تريده للسليين . فقيل :
إنه صار يمزج' أخفافه وينهش بأسنانه أكتافه من الجوع ، ولم يزل
يصيح : الجوع الجوع ، حتى هلك بالجوع' .

١٠

(١) ساقطة من بن .

(٢) في بن : جاشنكير .

(٣) ساقطة من برو واردة في بن .

(٤-٤) العبارة كلها ساقطة من برو واردة في بن .

(٥) كذا في بن ، وهي في بر : أنه كان .

(٦) في بن : و يصيح .

(٧) في بن : ذهب .

(٨-٨) ساقطة من برو واردة في بن .

(٩-٩) في بن : تحب .

(١٠-١٠) في بن : أكتافه وينهشها بأسنانه من الجوع حتى أهلكه الله تعالى

بالجوع .

وسأذكر الآن ما وقفت عليه من كثرة الأموال التي وجدت
لسلار حين القبض عليه ، وحملت إلى القلعة ، وهي قائمة مباركة يعتبر بها
المعتبرون ، وبتفكر فيها المتفكرون ، بالذي وجد للأمر^٢ سلار ،
ونقل إلى^٣ قلعة الجبل بالقاهرة المعزية^٣ : أول يوم - صناديق جوهر^٤
هـ ثمانية ، صناديق ياقوت أحمر بهرمان^٥ أربعين رطلا بالرطل المصرى ،
بلخش محكوك ثمانية وستين رطلا^٦ زمرد ريحاني ثمانية وستين أرطلا^٦ ،
فصوص ماس وعين هر خمسة آلاف فص ، لؤلؤ كبار كل حبة مثقالين
سته آلاف وخمسين حبة ، ذهب مصرى أربعين ألف دينار ، دراهم
مائة ألف ألف^٧ درهم وعشرين ألف درهم . ثاني يوم -^٨ أواني ذهب^٨
١٠ ثلاثة وعشرين قطارا ، أواني فضيات مثل أطباق و طاسات^٩ و هواوين
وطشوت وغيرها مائة وعشرين^{١٠} قطارا ، عقود و حلق و دمالج

(١) في هامش بر: تركة سلار .

(٢) زيد في بن: سيف الدين .

(٣-٣) في بن: القلعة بالقاهرة .

(٤) في بن: جواهر .

(٥) في بن: بهرمان .

(٦-٦) ساقطة من بر و واردة في بن [١٧٤ : ب] .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

(٨-٨) في بن: ذهبيات .

(٩) الكلمة ساقطة من بر و واردة في بن .

(١٠) في بن: وعشرون .

ثلاثمائة وستين^١ رطلا ، دراهم ثمانية آلاف ألف وتسعة آلاف درهم ،
 ذهب مصرى مائة^٢ ألف دينار . ثالث يوم - زركش عمل الإبرة سبعة
 وسبعين رطلا بالدمشق والرطل الدمشقى أربعة أرطال مصرية ، ذهب
 مصرى خمسة وسبعين ألف دينار . دراهم ثمانمائة ألف وخمسة وعشرين
 ألف درهم ، قماش أطلس ألف وسبعمائة بفلطاق ، مزركشات^٣ قبة^٤ ٥
 ونشأخيش نمرود^٥ وقاقم^٦ سبعمائة قبا . رابع يوم - ذهب مصرى
 مائة ألف وخمسة وأربعين ألف دينار ، دراهم تسعمائة ألف درهم ،
 سروج مذهبة بمجوهرة ثمانمائة سرج^٧ ، سروج زرخونى مذهبة سبعائة
 سرج^٨ ، سروج زرخونى بفضة مذهبة^٩ [٢٢٨ : ألف] تسعمائة وخمسين
 سرج . ووجد عنده ثمانية^{١٠} صناديق ما يعلم ما فيها ، غير أنه حمل منها إلى
 الحزاة ثانى يوم حوايص وبنود كاشات عليها رنك الملك الأشرف
 صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور قلاوون وذلك خمسمائة قطعة ،
 منها حوايص ثلاثمائة ، بنود^{١١} وكاشات مائتين . والذي وجد له بالشوبك :

(١) فى بن : وستون .

(٢) الكلمة ساقطة من بن

(٣) فى بن : مجركسات .

(٤) فى بن : اقية .

(٥) فى بن : تقرو .

(٦) فى بن : وقايم .

(٧-٨) ساقطة من بر و واردة فى بن [١٧٤ : ب]

(٨) فى الأصاين : ثمان (٩) فى بن : و بنود .

ذهب مصرى خمسة وتسعين ألف دينار، دراهم ستمائة ألف وتسعين ألف درهم، سروج مذهبة بلؤلؤ خمسمائة سرج، ' خلع كنجى طرد وحش ألف وستمائة بغلطاق^١، خيول عربية ألف وسبعمائة وثمانين فرس، أكاديش وحجورة سيسيّات ألفين^٢ وسبعمائة، بغال للحمل ٥ مائة وعشرين قطارا^٣، هجن بكيران فضة سبعمائة هجين؛ جمال للحمل ألف ومائتى جبل. وذلك خارجا عما هو للنساء من ذهب وفضة وقاش. ووجد بعد ذلك فى داره أربع^٤ فساقى من^٥ ذهب وفضة حملت^٦ ما يعلم^٧ وزنها. ومات بحسرة كسرة خبز^٨ يسد بها جوعه^٩، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار. فانظر إلى سعة هذه الدنيا العريضة التى كانت ١٠ لسار، ومات بحسرة رغيف بارد أو حار.

لما دخل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه مدائن الأكاسرة بعد أن دارت عليهم الدائرة لينظرها بعد زوال ملكهم وهلكهم، تمثل بعض أصحابه يقول:

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

(١-١) ساقطة من بن.

(٢) عن بن، وفى بر: ألفى.

(٣) فى بن: قنطارا.

(٤) عن بن، وفى بر: أربعة.

(٥) الكلمة ساقطة من بن.

(٦-٦) فى بن: لم نعلم.

(٧-٧) ساقطة من بر وواردة فى بن.

إن التعميم و كل ما يلهمي بهم يوما يصير إلى بلا و نفاق
فقال علي : لا تقل هكذا و لكن قل : قال الله تعالى : "كم تركوا من
جنت و عيون و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فكهين" كذلك
اورثتها قوما آخرين" هؤلاء كانوا وارثين فصاروا موروثين .^٢ قال
بعضهم في المعنى :

٥

قد تلذذت مدة بأمور قد برتها فكانت خيالا
قال عمر بن ذر : عباد الله لا تغتروا بطول حكم الله و احذروا ٣٠٠٠٠
فقد سمعتم قوله سبحانه و تعالى : "فلما أسفونا انتقمنا منهم فاغرقنهم"
و قال بعضهم لحبيب العجمي : ليتنا لم نخلق . قال : قد وقعتم فتجيلوا في
الخلاص بطاعة الله و التمسك بأوامره و النهي بعاصيه ، يا رب غفرانك ١٠
عن مذب أسرف إلا أنه نادم . قال : إن الحكمة في إخراج آدم من
الجنة بسبب أكله من الشجرة التي نهاه الله عن أكلها فأكل منها ، إنه
كان في صلبه من لا يستحق الولاية و لا يصلح لحضرة القدس ، فاذا
أخرجهم من صلبه أعاده إليها خالدا فيها . عن عثمان بن منه قال : سمعت
ابن عطاء يذكر أن آدم كان نسلا من نسل الجنة ، فسبانا إبليس بالخطية ١٥
إلى الأرض ، فليس ينبغي الفرح في الدنيا و لكن الحزن و البكاء ما دمتنا

(١) قرآن كريم ٤٤ : ٢٥ - ٢٨ .

(٢ - ٢) من هنا إلى قوله « نعود » ساقط من بر و وارد في بن [١٧٤ : ب -
١٧٥ : الف] .

(٣) بقية الكلمة مطموسة .

(٤) قرآن كريم ٤٣ : ٥٥ .

في دار الدنيا حتى نردا إلى الدار التي منها سيننا . قال الشاعر:
 متك نفسا ٢٠٠٠٠٠ سبل الرجاء فهنّ غير قواصد
 تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى عرف الجنان بها و فوز العابد
 ونسيت أن الله أخرج آدم منها إلى الدنيا بذنب واحد
 ه نعود ٣، ثم أقبلت بعد زوال مملكة الكسروية الدولة الإسلامية
 فقهرتها وأفتها، وكذلك قهرت الدولة الإسلامية^١ الدولتين^٢ الرومية
 والقبطية ببركة سيدنا محمد خير البرية^٣ الذي ذكرته الأخبار المتقدمة
 في كتبها كما^٤ قال عبد المطلب بن هاشم حين حضرته الوفاة يوصي
 ولده أبا طالب^٥ بمحمد صلى الله عليه وسلم^٦ :

١٠ أوصى أبا طالب خيرا بذى رحم محمدا وهو بين الناس محمود
 هو الذى تزعم الأخبار أن له أمرا^٨ سينصره نصر^٩ وتأييد
 في كتب^{١٠} عيسى وموسى^{١١} منه بينة فيما تحدثنا القوم العبايد^{١٢}

(١) في الأصل: نردا .

(٢) في الأصل « طنه فاعها » ناقصة النقط و غامضة فأثرنا نقلها للهامش وترك
 مكانها بياضا .

(٣) كذا في بن ، وفي بر: انتهى .

(٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥) في بن [١٧٥ : الف] : دولتي .

(٦-٧) العبارة ساقطة من بن . (٧-٧) من بن ، وفي بر: به .

(٨) في الأصلين : امر (٩) في الأصلين : نصرا .

(١٠-١١) في بن : موسى وعيسى .

(١١) الكلمة ساقطة من هامش بن غالبا في عملية القص بالتجليد .

يعنى بالعبايد أجراء اليهود و رهبان النصارى المنقطعين فى الديارات
و الكنائس للعبادة ، أحدهم عابد و الجمع عبايد - انتهى .
نعود - ثم استقر ملك الملك الناصر محمد و ثبت أمره بعد سلاّر
و ششكير^١ ، فهرب منه الأمير قراستقر و الأفرم^٢ و الزرد كاش
الثلاثة أمراء^٣ إلى بغداد و صاحبها يومئذ^٤ السلطان قازان . و كان الأمير
قبحق نائباً للسلطان الملك الناصر محمد بحماة ، ولما بلغه أمر سلاّر و ششكير^٥
بما فعلاه بالملك الناصر محمد كما تقدم ذكره اغتاض و حلف ليأتين
بالتتر إلى الشام ، فتوجه إلى بغداد حين كان^٦ سلاّر و ششكير^٧
لهما^٨ الأمر و انتهى عليه^٩ ، فاجتمع بقازان و رغبه فى الشام ، فجمع
قازان^{١٠} الجيوش ؛ و استجد بالكفور ملك نصارى الأرمن ، فدخل^{١١}
قازان الشام فى ثلاثمائة ألف ، فلك الشام و دمشق^{١٢} و لم تطعه

(١) فى بن : ششكير .

(٢) فى بن : و الأمير الأفرم .

(٣) عن بن ، و فى بر : أمر إلى .

(٤) فى بن : إذ ذاك .

(٥) فى بن : فلما .

(٦) فى بن : ششكير .

(٧) زيد فى بن : الأمر و انتهى لسلاّر - الخ .

(٨) فى بن : جاششكير .

(٩-٩) ساقطة من بن .

(١٠) زيد فى بن : المجموع و جيش .

(١١) ساقطة من بن .

الحصون و لا قلعة دمشق . فقدم الأمير قبجق على فعله ذلك حين بلغه أن السلطان الملك الناصر قد استقل بالملك و انتصر على سلار و ششكير^١ و قتلها بعد أخذه لأموالهما . و كان قازان لما قدم بجيوشه إلى الشام في سنة تسع و تسعين و ستمائة و نزل بظاهر دمشق ، أتاه هـ التكفور ملك الأرمن قال^٢ له : أيها الملك خذ مني ثلاثين حملا ذهباً^٣ و دعني أدخل دمشق بعسكري من أحد أبوابها و أخرج من الباب الآخر . و كان الشيخ تقي الدين بن التيمية^٤ الفقيه^٥ الحنبلي جالسا بمجلس قازان حينئذ ، فلما سمع مقالة التكفور تلك^٦ قال لقازان : أمسلم أنت ؟ قال : نعم . قال : إن أموالنا و دماءنا عليك حرام ، و نحن نعطيك ستين حملا ذهباً و لا تمكن هذا النصراني من المسلمين . فرضى قازان بذلك و منع التكفور من العبور . فاجتمع لقازان من أموال أهل دمشق ستون^٧ حملا ذهباً . و دبر الأمير^٨ قبجق الحيلة حتى رجع قازان إلى بغداد بعد أن أقام على دمشق خمسة^٩ أشهر - انتهى .

(١) في بن : جاشنكير .

(٢) في بن : و قال .

(٣) في بن : من الذهب .

(٤) في بن : تيمية . و هو معروف أكثر بغير أداة التعريف .

(٥) في بن : العالم .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) في الأصلين : ستين .

(٨) في بن : للأمير .

(٩-٩) الكلمتان ساقطتان من بن .

و قال^١ الشيخ بهاء^٢ الدين بن سواد صاحب ديوان الإنشاء بحلب في السيرة السلطانية الملكية الناصرية: إن قازان لما وصل إلى دمشق بما جمع من عساكر العجم و خراسان، خرج إليه منها جماعة من الأعيان، و قدموا له التقدّم المفخرة الحسان، و طلبوا منه [٢٢٩: الف] الصفح و الأمان، فحسن الأمير قبجق إلى السلطان قازان قبول تقدمتهم^٣، و إجابة^٤ هـ مؤاظم، و أشار عليه بتحقيق قصدهم و آماهم. و قصد بذلك سلامة الرعية و حفظ البلاد، و حسن له الرجوع إلى بغداد، فرجع و ترك بالشام نوابه. فأرسل الأمير قبجق إلى السلطان^٥ الملك الناصر محمد^٥ يقول له: إن الفعل الذي فعلته لم يكن إلا لأجلك بسبب فعل سلار و ششكير^٦ بك، فترسل نجدة إلى الشام لتخرج نواب قازان منه. ١٠. فأرسل السلطان نجدة أخرجهم منه، فلما بلغ قازان ذلك عزّ عليه، و جهز جيشا أرسله إلى الشام في سنة اثنتين^٧ و سبعمائة، فالتقى^٨ المسلمون و التتر على شقحب، فانكسرت التتر كسرة شنيعة، فقال بعضهم من

(١) في بن: قال.

(٢) كذا في بن، و هي في بر: بهاء.

(٣) في بن: هديتهم.

(٤) ساقطة من بن.

(٥) زيد في بن [١٧٥: ب]: بن قلاون.

(٦) في بن: جاشنكير. و زيد فيها بعد الكلمة: بما فعلا بك أما الآن.

(٧) عن بن [١٢٥: ب]، و في بر: اثنين.

(٨) في الأصلين: فالتقت.

قصيدة مدح بها الناصر محمد:

في شقحب حرّ الرأس بسيفه قهرا ونصرا من عزيز قاهر
واستقر حيثذ ملك مصر و الشام للملك الناصر محمد، فاهتم فازان
لذلك، وحصل له مرض^١ مات منه^٢، فولى الملك بعده أخوه محمد
ه خدا بنذا. وسأذكر^٣ فيما يرد من هذا الكتاب خبر^٤ خدا بنذا في دخوله
الشام و صلحه مع الملك الناصر محمد^٥ إن شاء الله تعالى.

وفي ثالث عشر رجب سنة سبعمائة^٦ رسم السلطان الملك الناصر
محمد ابن الملك المنصور قلاوون أن تلبس اليهود العمام الصفرة، و السمرة
العمائم الحمر، و النصارى العمام الزرق، ليميزوا بذلك^٧ و يعرفون به^٨.
١٠ فاستمروا على لبس ذلك إلى الآن، فقال أحمد بن أبي المحاسن الطيبي
في ذلك:

تعجبوا للنصارى و اليهود معا و السامريين لما ععموا الحرقا

(١) في بر: مرضا. وفي بن: ضعف.

(٢) في بن: فيه.

(٣) في بن: و سياتى.

(٤) ساقطة من برو واردة في بن.

(٥) زيد في بن: و غير ذلك من أخباره.

(٦) في هامش بر: لبس اليهود و السمرة و النصارى العمام.

(٧) في بن: بها.

(٨) الكلمة ساقطة من بن.

كأنما بات بالصباغ^١ منسهلا نسر السماء فأضحى فوقهم درقا^٢
 وفي يوم الخميس سابع صفر سنة إحدى وسبعمئة وصل كهرداش^٣
 ومن صحبه من المماليك السلطانية بالمراكب والشواني من جزيرة أروى،
 ومدة غيبتهم ثلاثة وأربعون يوما. وذكروا أن عدة القتلى الذين
 قتلهم المسلمون بها^٤ ألفان ومائتا نفر من الإفرنج^٥، ووجدوا بها من
 أسارى المسلمين مائة^٦ وعشرين نفرا. ووصلت أسارى^٧ الفرنج من
 جزيرة أروى إلى القلعة المحروسة.

ولما فتح الملك الأشرف خليل^٨ عكا أتته^٩ مفاتيح صور وصيدا
 وبيروت وانطرسوس^{١٠} كما تقدم ذكره^{١١}. انتقلت أهل انطرسوس منها
 سكنوا جزيرة [٢٢٩ : ب] مقابلها في البحر تدعى^{١٢} جزيرة رواد، ١٠

(١) في بن : الصباغ .

(٢) عن بن . وفي بر : ذرقا . وقد جاءت الكلمة في هذين البيتين بالسيوطي

(حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٥٩) : فرقا .

(٣) في بن : دمر داش .

(٤-٤) في بر : النى وماتى . وفي بن : الفين وماتى .

(٥) في بن : الفرنج .

(٦) في بن : مايتين .

(٧) الكلمة ساقطة من بر وواردة في بن .

(٨) سلطنته ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ = ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م. وزيد في بن : ابن الملك المنصور

قلاون . (٩) في بن : وأتته . (١٠-١٠) ساقطة من بن .

(١١) في بن : تدعا .

وهي عن البر مقدار سبعة أميال ، فلم يزالوا مقيمين بها إلى أن فتحها
الأمير أسندمر نائب طرابلس و معه الرئيس^١ البطراني^٢ المغربي ، و ذلك
في دولة الملك الناصر محمد^٣ ، نخلت السواحل من الإفرنج^٤ ، ولم يبق
منهم في بر المسلمين أحد^٥ بالشام إلا من هو أسير أو نصراني ذمي .
و في خامس عشر ذي الحجة سنة اثنين و سبع مائة ورد الخبر بوفاة
الأمير زين الدين كتبغا النائب بحماة^٦ ، و كان قبل ذلك سلطان مصر .
و تسمى بالملك العادل كما تقدم ذكره .

[الزلازل و الطاعون و الأهوية و الفيضان و الغلاء]

و في يوم الخميس الثالث و العشرين من ذي الحجة سنة اثنين^٧ و سبع مائة
١٠ حصل^٨ بالقاهرة و مصر^٩ زلزلة عظيمة هدمت أماكن^{١٠} كثيرة ، و كذلك
فعلت بالإسكندرية و بلاد مصر . و أتلقت هذه الزلزلة^{١١} شيئا كثيرا .

(١) في الأصلين : الرايس .

(٢) في بن : البطراني ، و ربما كان هذا هو الصواب .

(٣) زيد في : بن قلاون .

(٤) في بن : الفرنج .

(٥) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦) في بن : اثنين .

(٧ - ٧) في بن : بمصر و القاهرة .

(٨) في الأصلين : أماكن .

(٩ - ٩) كذا في بن ، و هي في بر : شيء كثير .

و أقامت أياما تزلزل و ترجف رجفا خفيفا ، و لم تزل تعدا إلى قريب أربعين يوما . و حصل عند العالم خوف عظيم من ذلك إلى أن خرج أكثر الناس من مصر و القاهرة إلى القراقة ، و بعضهم ضرب له خياما ٢ خارجها و نزل فيها ، و أقاموا أياما على ذلك خوفا على أنفسهم أن تعود . و أقامت مقدار ٣ ثلاث ساعات عند أول الأمر . ٥

وسأذكر^١ الآن هنا ما وقعت عليه من الزلازل و الخسف و الرجم و الرجفات و الوباء و الأمراض^٢ و الغلاء^٣ . و غير ذلك^٤ إن شاء الله تعالى^٥ . و ذلك^٦ بعد الهجرة النبوية^٧ إلى سنة خمس و سبعين و سبعمائة^٨ ، فأقول و بالله التوفيق . إن قال قائل ما سبب^٩ هذه الزلازل؟ قيل إن أصلها (٥) في الأصلين. تعهد - و الغالب أنه خطأ قلمي لكلمة « تعد » . كما أثبتناه بالنص .

(٢) كذا في بن ، و هي في بر: خيام .

(٣) في بن [١٧٦ : الف] : تقدير .

(٤) في بن : و إذ قد ذكرت الزلزلة فسا ذكره - و بهامش بر: مطلب، يذكر فيه الزلازل و الخسف و الرجم و الرجفات و الوباء و الأمراض و الغلاء و غير ذلك .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) العبارة ساقطة من بن .

(٧-٧) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٨) زيد في بن : أصل .

جبل قاف له عروق تجري منها المياه في البحور من البياض والسواد
والحمرة والصفرة والحذر والعذب والمالح والمر والزقاق . فاذا أراد
الله أن يزلزل^١ بقرية أوحى الله إلى ذلك الجبل أن حرك منك عرق
كذا وكذا . فاذا حرك خسف الله^٢ بالقرية مع ما يرسل إليه من
الملائكة - انتهى .

ولما وقع^٣ الوباء بالديار المصرية وغيرها في سنة تسع وأربعين
وسبعائة تعجب الناس من ذلك الفصل الوخم الذي مات فيه^٤ من
الناس خلق^٥ لا يحصى عددهم إلا^٥ الله تعالى . وكانوا كما قيل^٦ :
هبت عليهم رياح الموت فانتثروا كأنهم كلهم كانوا بمعاد
١٠ فقال قائلهم : ما أظن أن هذا الوباء وقع في عصر من الأعصار^٧ .
وكان سبب موتهم كبة تطلع للإنسان في مراقه^٨ فيموت منها بسرعة .
(١) في بن : يزلزله .

(٢) زيد في بن : تعالى .

(٣) ساقطة من بن .

(٤ - ٤) في بن : خلأق .

(٥ - ٥) في بن : الذي خلقهم .

(٦) في بن : قال بعضهم .

(٧ - ٧) العبارة ساقطة من بن .

(٨) في بن : مرقاتة .

فرأى [٢٣٠ : الف] بعضهم احرقوا مسطولا وقت القناء ١ فأنشأ يقول :

عائنت في الفصل أخاسطة ٢ يفض عينا منه مسطولة

الناس بالسكة قد قتلوا و كبة المسطول مقتولة

و في سنة ثلاث و ستين و سبعمائة وقع القناء بمصر و الإسكندرية

و غيرهما ٣ ، فمات من الخلق ٤ كثير ٥ . و في سنة خمس و سبعين ٥

و سبعمائة ٦ قصر النيل عن الوفاء ، فغلت الحبوب بالإسكندرية ٧ و سائر

بلاد مصر ؛ و مات بالإسكندرية خلق كثير أكثرهم أطفال و جوار

و عبيد ٨ ثم رجال و نساء ٨ ، و كان موتهم بالطاعون في شوال و ذى

القعدة من السنة المذكورة ٩ . و فيها مات ملك الأمراء أرغون الأحمدى

١٠ بعد أن أقام بالإسكندرية متوليا بها أربعين يوما من حين دخوله نائباً

(١-١) الكلثان الأوليان مطموستان في بن ، و الأخيرتان واضختان به
و لكنهما ساقطتان من بر .

(٢) في بن : ساطة .

(٣) ساقطة من بن .

(٤-٤) في بن : مات من الناس .

(٥) في الأصلين كثيرا ، و زيد في بن : فيها و في غيرهما .

(٦) ساقطة من بر و واردة في بن - و بهامش بر : حادثة .

(٧) في بن : بمصر و الإسكندرية .

(٨-٨) العبارة ساقطة من بن .

(٩-٩) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن .

(١٠) من هنا إلى قوله « انتهى » يأكله نقلا عن بن [١٧٦ : الف] ، و في برفقط

العبارة : وقاضى القضاة الحلبي .

بها إلى حين وفاته . و كذلك مات فيها قاضى القضاة شهاب الدين الحنفى الحلبي ، كان بالإسكندرية قاضى قضاتها مع قاضى قضاتها كمال الدين ابن قاضى القضاة نحر الدين ابن قاضى القضاة شرف القضاة المالكي الريغى ، و توفى قاضى القضاة كمال الدين الريغى المالكي فى حدود صفر سنة ثمانين هـ و ستمائة رحمه الله . و مات ولده قاضى القضاة عز الدين بن كمال الدين فى ذى القعدة من السنة المذكورة ١ - انتهى .

نعود إلى ذكر ما ٢ قاله ابن الجوزى ٢ وغيره فى الطاعون ٣ و الوباء من ذلك الطاعون الذى كان فى سنة ثمانى عشرة من الهجرة بعمواس ، و هى ٤ على عشرة مراحل من بيت المقدس ، مات بها يومئذ ستة وعشرون ١٠ ألفا . و فيه مات أبو عبيدة بن الجراح و الحارث بن هشام و سهيل و يزيد ٥ و معاذ بن جبل . و بهذه القرية مات بلال الحبشى ٦ مؤذن النبى صلى الله عليه وسلم و قبر بها . و لما كثر الموت جدا أحدث الناس كيف أصبحت و كيف أميت . و فى شوال ٧ هلك فى ثلاثة أيام سبعون ألفا . و قال رجل رأيت

(١) انتهى بما نقل عن بن .

(٢-٢) كذا فى بن ، أما فى بر فقط : قيل .

(٣) فى هامش بر : الطواعين .

(٤) فى بن : و عمواس .

(٥) فى بن : و زيد .

(٦) فى هامش بر : قبر بلال المؤذن .

(٧) فى هامش بر : غريبة .

في المنام أيام الطاعون إني أخرج من دارى اثني عشر^١ جنازة وأنا مع عيالي اثنا^٢ عشر، فمات منها إحدى عشر وبقيت وحدي، فقلت في نفسي أنا اثنا^٣ عشرة، فخرجت من الدار^٤ ثم رجعت^٥ إليها بالغد، فإذا بلص قد دخل ليسرق فأصابه الطاعون فمات. فكان هو الثاني عشر، وبقيت أنا وحدي. قال ورأى نافع أيام الطاعون رجلاً قد هرب من البصرة على حمار، فجعل نافع يقول: انظروا إليه يهرب من الله على حماره. وفي حديث قال الطاعون: أنا لاحق بالشام، قال الخير والرخاء: إنا معك. وقال الجوع والشقاء والعري والبلاء: إنا لاحق بالبادية، فقالت الصحة: وأنا معك - انتهى.

وأما الزلازل فقال ابن الجوزي^٦ في كتاب العقود^٧ في تاريخ^٨ العهود إن في سنة أربع وعشرين ومائتين للهجرة زلزلت^٩ فرغانة، فمات بها أكثر من خمسة عشر ألفاً. وفي سنة خمس وعشرين ومائتين كانت رجفة بالأنهواز عظيمة حتى^{١٠} تصدعت منها الجبال وهرب أهل البلد

(١) في الأصلين: اثني. ولفظة «عشر» ساقطة من بن.

(٢) في الأصلين: اثني.

(٣) في بن: دارى.

(٤) في بن: عدت.

(٥) الكلمة ساقطة من بن.

(٦-٦) ساقطة من بن.

(٧) في بن [١٧٦: ب]: زلزلة.

(٨) ساقطة من بن وواردة في بن.

إلى البر وإلى السفن ، وسقطت فيها ١ دور كثيرة . وسقط نصف
الجامع ، ومكثت ستة عشر يوما . وفي سنة ست وعشرين ومائتين
[٢٣٠ : ب] مطر أهل تيماء مطرا وبردا كالبيض ، فقتل بها ثلاثمائة
وسبعين انسانا ، وسمع في ذلك صوت ٢ يقول : ارحم عبادك ، أعف
عن عبادك . فظفروا إلى أثر قدم طولها ذراع بلا أصابع وعرضها شبران .
من الخطوة خمسة أذرع أو ست . واتبعوا الصوت فجعلوا يسمعون
ولا يرون شخصا . وفي سنة ثمان وعشرين ومائتين غلا السعر بطريق
مكة . وبلغ رطل خبز بدرهم ، وراوية ماء بأربعين درهما ، وسقطت
قطعة من الجبل عند جرة العقبة فقتلت عدة من الحاج . وفي ثلاث
١٠ وثلاثين ومائتين رجفت دمشق رجفة شديدة من ارتفاع الضحى ،
فانتقضت منها البيوت ، وزالت الحجارة العظيمة ، وسقطت عدة طاقات
في الأسواق على من فيها فقتلت خلقا كثيرا ، وسقطت بعض شرافات
المسجد الجامع . وانقطع ربع المنارة . وانكفأت قرية من عمل الغوطة
على أهلها ، فلم ينج منهم إلا رجل واحد . واشتدت الزلازل على
١٥ أنطاكية والموصل . ووقع أكثر من ألفي دار على أهلها فقتلتهم ، ومات
من أهلها عشرون ألفا ، وفقد من بستان أكثر من مائتي نخلة بأصولها

(١) في بن : منها .

(٢) في هامش بر : واقعة .

(٣) في الأصليين : صوتا .

(٤-٤) في بن : وطره طايفة من الحبل .

فلم يبق لها، أثر^١. وفي سنة أربع و ثلاثين و مائتين هبت ريح شديدة لم يعهد مثلها، و اتصلت نيفا و خمسين ميلا و شملت بغداد و البصرة و الكوفة و واسط و عبادان و الأهواز ثم إلى همدان فأحرقت الزرع. ثم ذهبت^٢ إلى الموصل فنعت الناس من الانتشار و عطلت الأسواق^٣، و زلزلت هراة حتى سقطت الدور. و في سنة تسع و ثلاثين و مائتين ٥ غزا بلاد الروم على بن يحيى الأرمني، فقتل عشرة آلاف علع، و سبى عشرة آلاف رأس، و من الدواب سبعة آلاف دابة، و أحرق أكثر من ألف قرية. و رجفت طبرية في الليل حتى ماتت الأرض و اصططكت الجبال، ثم انقطع من الجبل قطعة ذرعها خمسون ذراعا طولاً و خمسين ذراعاً عرضاً، فمات تحتها خلق كثير. و في سنة أربعين و مائتين سمع ١٠ أهل خلاط صيحة من السماء فمات^٤ خلق كثير. و خرجت ريح من بلاد الترك فمرت بمرور فقتلت خلقاً كثيراً بالزكام، و أصاب أهل بغداد حمى و سعال و زكام. قال محمد بن حبيب جاءت الكتب من المغرب^٥ أن ثلاثة عشر قرية من قرى القيروان خسف بها فلم ينج منها [٢٣١ : الف] إلا اثنان و أربعون رجلاً سود الوجوه، فأتوا القيروان ١٥

(١) كذا في بن، و هي في بر: أثر.

(٢) في بر: هبت، و صحته في بن.

(٣) الكلمة ساقطة من بن.

(٤) زيد في بن: عرض.

(٥) في بن: الغرب.

فأخرجوهم أهلها ، وقالوا : أتمم مسخوط عليكم . فبنى^١ لهم العامل حظيرة خارج المدينة فبزلوها . وفي هذه السنة وهي سنة أربعين ومائتين سنل بطريق عمورية وهو أحد البطريقين اللذين كانا خرجا إلى أمير المؤمنين المعتصم^٢ فبات أحدهما في أيام أمير المؤمنين جعفر المتوكل^٣ ، وأسلم الآخر على يد المتوكل وكان اسمه ندراس^٤ فسمى نفسه إسحاق ، وكان عاقلا فهما أديبا ، فسئل عن أنساب الروم فقال : الروم ولد روم^٥ بن سملاحين ابن هربا^٦ بن عسفا^٧ بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ، ومن ولده^٨ الملك قسطنطين الأكبر ملك الملوك ، وهو الذي بنى مدينة قسطنطينية ، وأظهر دين النصرانية ، وبَطرك البطارقة^٩ ، وسَقَف الأساقفة ،^{١٠} وعمل الهياكل والمذابح ، وجمع الأساقفة بمدينة نيقية^{١١} ، وهو الذي بَطرق

(١) في بن : فينا .

(٢) الخليفة العباسي وخلافته ٢١٨ - ٢٢٧ هـ = ٨٢٣ - ٨٤٢ م .

(٣) الخليفة العباسي ، وخلافته ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ = ٨٤٧ - ٨٦١ م .

(٤) في بن : بدراس . - وأغلب الظن أنه اندرونيك Andronikos .

(٥) في بن : الروم .

(٦) في بن : هربا .

(٧) في بن : عسفا .

(٨) زيد في بن : الولد .

(٩) مجمع نيقية السكوني سنة ٣٢٥ م .

البطارقة وجعلهم رؤس^١ المدن والبلدان . وقومس^٢ القوامسة^٣ ، هم القواد ، ورسم رسوم المملكة . فأما البطارقة فهم الرؤساء والوزراء لأنهم أشرف الروم ، والقوامسة^٤ أصحاب الأعمال والحروب . وسئل أيضا عن بني إسرائيل وأنسابهم فقال : هم شعوب كثيرة وبطون شتى ، لم تزل علماؤهم يعرفونها ويعلمونها ، فأولهم بنو لاوى بن يعقوب بن ٥ إسحاق بن إبراهيم الخليل . وهو الثالث من لد يعقوب ، من ولد يهودا بن يعقوب أيضا جميع بطون بني إسرائيل الأنبياء والكهنة ورؤس الجواليت وأئمة اليهود ، أخبارهم . فمن الأنبياء من ولد يهودا داود الذى جعله الله خليفة فى الأرض . وسليمان^٥ بن داود الذى سخرت له الجن والرياح والبهايم ، وبعده رحيعم^٦ بن سليمان^٥ وافترقت أسباط بني ١٠ إسرائيل فى أيامه . ومن ولد يهودا شمويل بن عزرا . ومن ولده أيضا الإشع^٧ النبي عليه السلام تناسل أولاد هؤلاء الأنبياء والكهنة ، فهم بطون كثيرة يتعارفها علماؤهم . . من سبط يوسف بن يعقوب عليها السلام

(١) فى بن : روسا

(٩) مأخوذة عن الأصل Comes وجمعها Comites ويقابلها فى العصور الوسطى

لقب Comte بالفرنسية ثم Count بالإنجليزية .

(٣ - ٣) : العبارة ساقطة من بن [١٧٧ : الف] .

(٤) فى الأصنين : بنوا .

(٥) فى بن : سليمان .

(٦) فى بن : رحيعم .

(١٤) فى الأصلين : الإشع .

يوشع بن نون خليفة موسى بن عمران عليه السلام ، وهو الذي أخرج
بنى إسرائيل من التيه . قال بعضهم في يهودى 'أحمق يهجوهُ':

لنا صديق يهودى حماقته إذا تسكلم يبدؤ التين من فيه

يتيه و الكلب خير منه منزلة كأنه بعد لم يخرج من التيه - انتهى

٥ [٢٣١ : ب] نعود - وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين ماجت النجوم

في السماء وجعلت تطاير ٢ شرقا وغربا كالجراد من قبل ٣ غروب الشفق

إلى قريب الفجر . ولم يكن مثل ذلك إلا عند ظهور رسول الله صلى الله

عليه وسلم . وفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين رجعت قربة يقال لها

السويدا بناحية مصر بخمسة أحجار ، فوق حجر منها عى خيمة أعراى

١٠ فاحترقت ، ووزن منها حجر فكان فيه عشرة أرطال ، فحمل منها أربعة

إلى فسطاط مصر ١ (أو) إلى تنيس ٢ . وزلزلت الرى و جرجان وطبرستان

ونيسابور ٣ وأصبهان كلها في وقت واحد . وتقطعت جبال ودنى ٤

بعضها من بعض ، وسمع للسماء والأرض أصوات عالية ، و سار جبل

بالين عليه مزارع حتى أتى مزارع قوم آخرين فوقف فيها . وزلزلت

١٥ الدامغان ٥ فسقط بعضها على أهلها فهلك بذلك خمسة وعشرون ألفا .

(١-١) الكلمتان ساقطتان من بر و واردتان في بن .

(٢) كذا في بن ، وهى في بر : تطاير .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤-٤) ساقطة من بن ، و واو العطف ساقطة من بر .

(٥) في الأصلين : نيسابورس .

(٦) في بن : و دنا . (٧) في بن : دامغان .

وسقطت بلدان كثيرة على أهلها . ووقع طائر^١ أبيض دون الرخمة
وفوق الغراب على دابة بحلب اسبع مضين من رمضان فصاح : «يا معشر
الناس اتقوا الله الله الله» حتى صاح أربعين صوتا ، ثم طار وجاء من
الغد و صاح أربعين صوتا ، ومات رجل في بعض كور الأهواز، فسقط
طائر أبيض على جنازته . فصاح باللغة الفارسية : إن الله قد غفر لهذا
الميت . وفي سنة خمس^٢ وأربعين ومائتين زلزلت بلاد المغرب حتى
تهدمت الحصون والميادين^٣ والقناطر ، فأمر المتوكل^٤ بتفرقة ثلاثة آلاف
درهم في الذين أصيبوا بمنازلهم . وكانت بأنطاكية زلزلة ورجفة قتلت
خلقا وسقط ألف وخمسمائة دار ووقع من سورها نيف وتسعون
رجلا ، وسمع أهلها أصواتا هائلة لا يحسنون وصفها من كوى^٥ المنازل .
وهرب الناس إلى الصحارى . وسمع أهل تيس صيحة هائلة دامت
فوات منها خلق كثير وذهبت حلة بأهلها . وفي سنة ست وأربعين
ومائتين^٦ زلزلت مدينة دبل بالليل ، فأصبحوا ولم يبق من المدينة

(١) في بن : طير .

(٢ - ٢) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤) في بن : والمآذن . - وهو الأصح على ما يظهر .

(٥) الخليفة العباسي و خلافته ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ = ٨٤٧ - ٨٦١ م .

(٦) في بن : كرى .

إلا اليسير ، فأخرج من تحت الردم خمسون ومائة ألف . وفي سنة أربع
وثمانين ومائتين ظهرت ظلمة بمصر وحمرة في السماء شديدة حتى كان
الرجل ينظر إلى وجه الرجل فيراه أحمر وكذلك الحيطان وغيرها .
ومكثوا كذلك إلى العشاء . فخرج الناس يدعون الله ويستغيثون إليه .
و وعد المنجمون الناس بالغرق . فغارت المياه واحتاجوا إلى الاستسقاء .
وفي سنة خمس وثمانين ومائتين ارتفعت ريح بالبصرة كذلك ومطيراً
بردا في [٢٣٢ : ألف] البردة الواحدة^١ مائة وخمسون درهما . وفي
سنة تسع وثمانين ومائتين صلى الناس العصر يوم عرفة ببغداد في ثياب
الصيف ، ثم هبت ريح فبرد الهواء^٢ إلى أن احتاج^٣ الناس إلى التدفئ
١٠ بالنار ، وخذل الهواء^٤ . وفي سنة ثلاثمائة كثرت الأمراض ببغداد في الناس ،
وكلبت الكلاب والذئاب في البادية . وكانت تطلب الناس والدواب .
فاذا عضت إنسانا هلك . وفي سنة عشرة وثلاثمائة انبثق بواسط سبعة
عشر بثقا^٥ أصغرها مائتي ذراع وأكبرها ألف ذراع ، وغرق من أمهات
القرى ألف وثلاثمائة قرية . وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة هجم
١٥ أبوطاهر القرمطي صاحب البحرين على الحاج بمكة يوم الثلاثاء وهو

(١) في بن : الغرق .

(٢-٢) في بن [١٧٧ : ب] : ومطر وبرد ذرة الواحدة .

(٣) في بر : الهوى .

(٤) كذا في بن ، وهي في بر : احتاجوا .

(٥) في بن : شقا .

يوم الثامن من ذى الحجة قتلهم في المسجد الحرام وفي فجاء مكة وفي البيت ، و قلع الحجر الأسود وباب البيت وقبة زمزم ، وقد تقدم فعل القرمطى بمكة مفصلا فأغنى عن اعادته^١ . وسمى يوم التروية لأنهم كانوا يرتبون في الماء لما بعده أى يستقون^٢ و يسقون . وقيل سمي يوم التروية لأن إبراهيم عليه السلام تفطر^٣ في الرؤيا . وفي التاسع عرف^٥ فسمى لذلك عرفة . وفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة غلت الأسعار ببغداد حتى أكلت الناس الكلاب و وقع الوباء في الناس . ووافى^٦ من الجراد شيء كثير جدا حتى أبيع منه كل خمسين رطلا^٧ بدرهم ، فارتفق الناس بأكله في ذلك الغلاء . والجراد واحدها جرادة ، وتكنى أم عوف ، قال الشاعر :

١٠

وما صفراء تكنى أم عوف كأن رجلتاها^٨ منجلان

قال^٩ الأصمعي : يقال الجرادة للذكر والأُنثى كما يقال بطة^{١٠}

(١) زيد في بن : هنا . - انظر ج ٢ ص ١٢ وما يتلوها .

(٢) في بن : يستقون . - و بهامش بر : لم سمي يوم التروية .

(٣) في بن : تفكر . - والمعنى غامض في كلا الفرضين على كل حال .

(٤) في بن : علت .

(٥) في بن : و و افا .

(٦) في بن : رطلا .

(٧) في بن : رجلتاها .

(٨) عن بن ، وفي بر : فقال .

(٩) زيد في بن : من الجراد (١٠) في بن : بطية .

وحية ؛ و جمعه جراد ، و الرجل من الجراد قطعة منه قدر ما يكون
مائة ذراع في مثلها . و إذا باض الجراد قيل غرز فهو مغرز و يبقى في
الأرض أربعين ليلة ، ثم يثور مثل صغار الدود . فيقال قد أدبا يبيض
الجراد إذا صار دبا - انتهى .

٥ و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب ما قيل في الجراد أيضا إن شاء الله
تعالى . نعود - و في سنة سبع و أربعين و أربعمئة زادت الأسعار فبلغت
قيمة الكرم من الحنطة بالاهواز ثلاثمئة دينار . و في سنة ثمان
و أربعين و أربعمئة وقع الغلاء و الوباء في الناس و فسد الهواء ، و اشتد
الجوع حتى أكلوا الميتة ، و بلغ المكوك من بذر البقلة سبعة دنائير
١٠ و السفرجلة [٢٣٢ : ب] و الرمانة ديناراً ٣ . و عم الغلاء و الوباء جميع
البلاد ، و ورد كتاب إلى بغداد من مصر أن ثلاثة من اللصوص اقتبوا
داراً ، فوجدوا عند الصباح موتى . أحدهم على باب القبة ، و الآخر
على رأس الدرجة . و الثالث على الثياب المكورة . و في سنة تسع
و أربعين و أربعمئة بلغت كارة الدقيق الخشكار عشرة دنائير ، و مات
١٥ من الجوع خلق كثير ، و أكلت الكلاب . و ورد كتاب من بخارى
إلى بغداد أنه قد وقع في تلك الديار وباء حتى خرج في يوم ثمانية عشر
ألف جنازة ، و أحصى من مات إلى أن كتب هذا الكتاب فكانوا ٦

(١) من بن ، و في بر : يتور . (٢) في بر : الهوى .

(٣) كذا في بن ، و هي في بر : دينار .

(٤) زيد في بن : منهم .

(٥) في بن : بخارا .

(٦) ساقطة من بر و واردة في بن .

ألف ألف و ستمائة ألف و خمسين ألفا . و بقيت الطرقات فارغة و الاسواق خالية . و وقع الوباء بأذربيجان و أعمالها و واسط و الكوفة و مصر و طبق الأرض حتى كان يحفر للعشرين و الثلاثين حفرة^١ فيلقون فيها^٢ . و كان سبب ذلك الجوع . و باع رجل أرضا له بخمسة أرتال خبز ، فأكلها و مات في الحال . و تاب الناس كلهم ، و أراقوا الخمر ، و كسروا^٣ آلات الملاحى ، و تصدقوا بمعظم^٤ أموالهم و لزموا المساجد ، و دخلوا على رجل مريض قد طال نزعه سبعة أيام . فأشار بأصبعه إلى بيت في الدار ، فاذا خاية خمر فقلبوها فمات من ساعته . و توفي رجل كان مقيما^٥ بمسجد . فحلف خمسين ألف درهم فلم يقبلها أحد ، فدخل أربعة أنفس ليلا إلى المسجد فأخذوها فأتوا عليها . و دخل رجل على ميت مستجى^{١٠} بلحاف ، فاجتذبه عنه فمات . و طرفه يده .

^٥ و في سنة تسع و أربعين و ثلاثمائة رأى الخليفة المطيع^٦ كأن مؤذنين قد أقلا من مطلع الشمس و هم يؤذنان و في أيديهما ٧٠٠٠ فذكر^٧ صندل الزمام^٨ هذا المنام لمعبر حاذق فقال : تسلم خلق من سكان مطلع الشمس أولوا بأس شديد . فوردت الأخبار من خراسان بأنه^{١٥} أسلم من الترك مائتا ألف بيت^٩ .

(١) في بن : حفرة . (٢) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٣) في بن : بعظم .

(٤) ساقطة من بن .

(٥-هـ) هذا القسم ساقط من بر و وارد في بن .

(٦) الخليفة العباسي و خلافته ٣٣٤ - ٣٦٣ = ٩٤٦ - ٩٧٤ م .

(٧) بياض بالأصل . (٨-٨) كذا في الأصلين ، و المعنى غامض .

وفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ولد ببغداد صبية لها رأسان
ورقبتان وأربع أيد على بدن كامل ثم ماتت . وظهر كوكب له ذؤابة
عرضها نحو ثلاثة أذرع وطولها أربع ، ولبت لبالي كثيرة ثم غاب ،
ثم ظهر وقد اشتد نوره كالقمر . وبقى عشرة أيام حتى اضمحل .
٥ وورد الخبر من البحار بأنه في الليلة الأخيرة من طلوع هذا الكوكب
غرق ستة وعشرون مركبا وهلك فيها نحو من ثمانية ٢ عشر ألف ٣
إنسان ، وكان من جملة المتاع الذي فيها عشرة آلاف طيلة كافور .
وكانت زلزلة بخراسان لبثت أياما فتصدعت منها الجبال ، وخسف بعد
ذلك بقرى .

١٠ وفي سنة ستين وأربعمائة كانت زلزلة بأرض فلسطين ، أهلكت
بلد الرملة ، فهلك فيها خمسة عشر ألف ٢ ، وقعت شرافات من مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانشقت صخرة بيت المقدس ، ثم عادت
والتأمت ، وغار البحر مسيرة [٢٣٣ : ألف] يوم . وساح في البر ،
وغرق الدنيا . ودخل الناس إلى أرضه يلتقطون ، فرجع عليهم فأهلك
١٥ خلقا عظيما منهم ، وبلغ حس الزلزلة إلى الرحبة والكوفة .

(١) في بن : بخارا . والجملة بعدها مطموسة .

(٢) الكلمة ساقطة من بن . (٣) الكلمة بهامش بر ، وهي في بن : آلاف .

(٤) في الأصلين : ألفا . (٥) كذا في بن (وهو أقرب للفهم) ، والكلمة في
بر : أهله .

و في سنة ثنتين^١ و ستين و أربعمائة كانت زلزلة بالرملة ، فذهب^٢
 أكثرها ، و عم ذلك بيت المقدس ، و انخفضت أيلة كلها ، و انحفر
 البحر وقت الزلزلة حتى انكشف ثم عاد ، و اشتد الجوع و الوباء بمصر
 حتى أكل الناس^٣ بعضهم بعضا . و بيع اللوز و السكر بوزن الدرهم ،
 و البيضة بعشرة قرايط درهم . و خرج وزير صاحب مصر إليه ، فقل ه
 عن بغلته فدخل . و شغل المهتار عن البغلة لضعف قوته من الجوع ،
 فأخذها ثلاثة أقوام فذبجوها و أكلوها . فأخذوا و صلبوا ، فلما كان من
 الغد ، وجدت عظامهم تحت خشبهم و قد أكلوا . و باع رجل بمصر
 دارا كان اشتراها بتسعمائة دينار و سبعين دينارا ، و اشترى بها دون
 الكارة دقيقا .

١٠

^٤ قال ابن عبد السلام المالكي في شرح مختصر ابن الحاجب : اختلف
 المذهب في الحيوان الذي لا يؤكل لحمه إذا بلغ به المرض إلى
 حد الإياس . هل يجوز ذبحه إراحة له مما هو فيه أو لا ؟ على قولين ،
 فأجاز ذلك ابن القاسم ، و منعه بعضهم . و بعض ما وافق ابن القاسم
 في الإراحة من ألم المرض خالفه في الذبح . قال يعقر عقرا لثلاث يكون^٥

(١) في بن : اثنتين .

(٢) في بن : نهدمت .

(٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤) هذا الجزء لآخر الفتوى ساقط من بن-و يستأنف الكلام فيها عند « و في
 سنة سبعين و أربعمائة » .

ذلك تشكيكا^١ للعوام في إباحتها إذا رأوها مذبوحة . قال و لقد أخبرني الشيخ أبو الحسن على الغمازي ، قال كنت أيام فضائي بيوتة أصاب الناس فيها مجاعة شديدة ، فكانوا (يلقون^٢) قططهم أحياء لقلة القوت ، و كان المار في الطريق إذا رآها نظر إلى أمر مهول لا سيما ه إن كان رقيق النفس ، فسألني أهل البلد أن أذن لهم في قتلها . فأذنت لهم ، فقتل الصبيان منها عددا كثيرا . ثم أتى عدت على نفسي بالملامة لأنني أذنت في أمر لم أره لأحد من أهل العلم ، فبينما أنا كذلك إذ دخل عليّ رجل باختصار العتية للبيع . فنظرت فيه فكان أول شيء وقع بصري عليه قول ابن القاسم فيها بالإباحتها . يعني ما حكيت عنه ،

١٠ فحمدت الله و اشتريت الكتاب بسبب هذه المسألة - انتهى ٣ .

و في سنة سبعين^٤ و أربعائة ورد الخبر بأنه حوصرت انطاكية^٥ إلى أن^٦ بيع فيها كل رغيف بدينار . و وقع الوباء بها . و قيل لما حوصرت تلبسان^٧ في بعض السنين^٨ من أرض المغرب^٩ بلغ الفأر

(١) في الأصل : تشكيلا - و الكلمة صححت بقلم آخر إلى « تشكيكا » .

(٢) ناقصة من نص برويكتمل بذكرها الكلام .

(٣) هنا ينتهي السقط من بن [١٧٨ : الف] .

(٤) في بن : سبع .

(٥) ساقطة من برويكت واردة في بن .

(٦-٦) في بن : حتى أنه .

(٧-٧) الجملة ساقطة من برويكت واردة في بن .

(٨-٨) ساقطة من بن .

'فيها ديناراً' . وفي سنة ثلاث وتسعين وأربع [٢٣٣ : ب] مائة
امتنع القطر^٢ وكثرت الأمراض وهدمت الأدوية وكثر الموت
حتى رقى^٣ على نعش ستة موتى ، ثم حفر لهم حفرة فألقوا فيها .
وفي سنة إحدى عشرة وخمسمائة زلزلت الأرض ببغداد يوم
عرفة ، وكانت الحيطان تمرّ وتجىء ، وبلغ الكدر الدقيق ثلاثمائة هـ
دينار حتى أكل الناس الكلاب .

وفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وقعت حيطان منبج^٤ بعضها
على بعض^٥ ، فهلكت أهلها ، ولم يسلم من أهلها غير سبعة عشر نفر^٦
كانوا خارجين عنها . وقد تقدم ذكر خمر الزلزلة التي كانت بالديار
المصرية في ذي الحجة سنة ثنتين^٧ وسبعمائة ، وتقدم أيضاً ذكر^٨ الوباء
الذي كان في سنة تسع وأربعين وسبعمائة بالديار المصرية مع كثرة
الرخاء الذي كان بها . وتقدم أيضاً ذكر الوباء الذي كان بالإسكندرية^٩
في سنة خمس وسبعين وسبعمائة .

(١-١) في بن : بدينار - وفي الأصل بر : دينار .

(٢) في بن : المرض .

(٣) في بر : رى - وفي بن : رأى .

(٤) في بن : فالقوا .

(٥) في الأصلين : منبج - وهو خطأ واضح .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) في الأصلين : نفرا .

(٨) في بن : اثنتين .

(٩-٩) في بن : الوباء والغلاء اللذين كان بها والإسكندرية .

وذكر أصحاب الإمام مالك أن الناس أصابهم سنة بطريق مكة
سعال، فكان الرجل لا يسعل إلا يسيرا حتى يموت، ^١فققد ناس ممن
خرج إلى الحج، فلم يأت لهم خبر حياة ولا موت ^٢. فرأى مالك بقسم ^٣
أموالهم ولا يضرب لهم أجل المفقود ولا غيره للذي بلغه من موت
ه الناس من ذلك السعال. قالوا: ^٤وكذا الشأن في أهل البوادي في الشدائد
ينتجعون من ديارهم إلى غيرها من البوادي ^٥، ثم يفقدون أنهم على الموت،
وقد علم ذلك من حالهم - انتهى ^٦.

[ذكر محاسن الناصر محمد]

^٨نعود إلى ذكر محاسن السلطان الملك الناصر محمد ابن ^٢الملك
١٠ المنصور ^٢قلاون و ^٩رفعه الظلامات ^٩ كان رحمه الله ^{١٠} عادلا في رعيته،

(١) ساقطة من برو واردة في بن .

(٢ - ٢) ساقطة من بن [١٧٨ : ب] .

(٣) في بن : أن تقسم .

(٤) زيد في بن : وتنكح نساؤهم .

(٥ - ٥) في بن : وكذلك .

(٦) في بن : البراذي .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

(٨) في هامش بر : ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاون .

(٩ - ٩) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن .

(١٠) زيد في بن : تعالى .

محسنا في قضيته، أبطل المظالم، و كف أيدي ' كل ظالم'، و كان هيكلا
 حسنا على ظهر فرسه، كبير الوجه أحمر اللون، ٢ ذالحية كبيرة
 مستديرة ٣، قد وخطه^٤ الشيب . [بن ١٧٨ : ب] ° و كان برجله الواحدة
 قصر لسبب عرض له فيها في صغره، و كان يعرج بها . قيل كان يجلس
 بشباك قصره الذي عمره بقلعة الجبل المسمى بالقصر الأبلق في الليل و العيون ه
 راقدة، و الأصوات خامدة، فيرى النجوم زاهرة، و الكواكب السيارة
 سائرة، و السحاب المسخر بين السماء و الأرض، و النيل الذي فرش
 الأرض بطول أرض مصر^٥ الله تعالى و يقده و يمجده و يعظمه
 و يشكره و يحمده و يقول: سبحان من أعطى ملكه لأضعف خلقه .
 يعني بذلك نفسه، فلاعترافه بقدرة الله تعالى و خضوعه و تواضعه لعظم ١٠
 خالقه خو له الله تعالى في الملك نحو الخمسين سنة . و كانت دولته أحسن
 الدول من الأمن الكثير، و الرخاء الغزير . و انقادت له الدول،
 و خضعت له الملوك في السهل و الجبل . فكانت الملوك تهابه، و ليس

(١ - ١) في بن: الظالم .

(٢ - ٢) في بر: ذوالحية - و في بن: بلحية .

(٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤) كذا في بن، و الكلمة في بر: خطه .

(٥) يبدأ هنا سقط كبير من بر و يستمر في بن إلى ١٨٠ ب ثم يتألف الكلام
 في كليهما بقصيدة رثاء للناصر مطلعها « فقد الوجود بل الوجود لفقده » .

(٦) العبارة هنا مطموسة بالأصل بن .

أحدا منهم يعاديه، فعاش عيشا هنيئا، ومات على فراش^١ سويا .
 وسأذكر الآن ما فعله الملك الناصر محمد في دولته من روك البلاد،
 ونفع العباد إن شاء الله تعالى . وذلك أنه برز مرسومه الشريف في سنة
 خمس عشرة وسبعائة بإبطال المظالم التي كانت بالديار المصرية ونصه:
 هـ "رسم بالأمر الشريف العالي المولوى السلطانى المسمى الناصرى مثال العلامة
 الكريمة محمد بن قلاؤن . لا برج إحسانه يرعى بحسن نظره مصالح الرعية،
 وامتنانه يسعى بأنواع السباح وانهر إلى البرية، وتوالى فضله على الأمة
 المحمدية . ينجل بكرمه وسمى^٢ (كذا) وليه أن يخلد هنا المرسوم الشريف في
 الأعمال البهسية^٣، بما شمل الرعايا . وأهل البلاد وكافة البرايا . من صدقاتنا
 التي عمت، ومعداتنا التي نمت وتمت، وبما ساحتناه وأبطلناه عنهم من
 المكوس والمظالم والحوادث والرسوم التي كانت تستأدى منسوبة للحقوق
 الديوانية بالجهات التي ذكرها في هذا المرسوم المكتب من نسخه المرسوم
 والمقررات والمراسيم الشريفة التي اقتضتها آراؤنا العالية . وذلك
 عند روك^٤ الديار، فأول ما ابتدأنا به تَعْفِيَةُ آثار مظله قد أذلهم

(١) في بن : فراشا .

(٢) كذا في الأصل، وجائز قراءة الكلمة « ويسمى » .

(٣) كذا في الأصل، ولعل الكلمة « البهسية » نسبة إلى منطقة البهسا
 بمصر الواسطى . وقد أثرنا الإبقاء على صيغة المرسوم كما هي دون تعديل أو تصحيح
 لفظي إلا في أضيق الحدود التي يقتضيها السياق باعتبار أن النص كما هو يمثل
 اللغة الديوانية الشائعة في ذلك العصر .

(٤) هنا كلمة لا يستقيم بها السياق، ومن الممكن قراءتها « لاسمع » أو « بسماع » .

(٥) إشارة إلى « الروك الناصرى » وهو عبارة عن عملية مسح الأرض وتقدير
 الضريبة وتوزيع الأنطاعات على مساحتها . وقد خصص المقرري في « الخطط » =

ليلها ، و عم ويلها ، و اندفع سيلها ، و هى المقررات التى كانت تستأدى
منسوبة لحقوق سواحل الغلال^١ و العرصات . و تسقط هذه المظلمة
و تعفا آثارها من القاهرة و مصر المحروستين و الأخصاص و الفروع
المنسوبة إلى ذلك جميعها ، ولا يتعرض إلى تنمية الدرهم الفرد عن الغلة
الواصلة و لا المبيعة و لا شئ من [بن ١٧٩ : ألف] الرسوم و لا الوجوه ٥
التي كانت تستأدى منسوبة لعلامات سواحل الغلات بالجهتين المذكورتين .
و كذلك رسمنا بإبطال نصف السمسرة و ضمانها و هو الكسر الذى
يستأدى من السامرة و المناديين و يسهمون فيه من أجرة بيعهم
و شرائهم و نحو هذه المظلمة و إسقاطها من بطون الأوراق و الدفاتر
و الدراوين و تعفية آثارها نظرا فى حالة الضعفاء الذين امتحنوا بهذه ١٠
المحنة إلى أن يسر الله تعالى لهم هذه المحنة على أيدينا و منّ بإسقاطها ،
و أمنا الرعايا و الضعفاء و المساكين من تناولها منهم و توفرنا لحاظرهم
على كسبهم و معاشهم و الأدعية الصالحة لنا يقبلها الله تعالى من كل داع
مخلص . و كذلك بإبطال المقدمين و مقرراتهم و بدولهم و ما يضم إلى
ذلك من الخوايص و البغال ، و إبطال الرسل و المترددين من البلاد و تعفية ١٥

= (طبعة مصر ١٣٢٤ هـ ج ١ ص ١٤١ - ١٤٧) فصلا لذلك تحت عنوان
« ذكر الروك الأخير الناصرى » و هو الفصل الثانى والعشرون (ج ٢ ص
٢٠ و ما يتلوها) من الطبعة التى بدأ نشرها (Gaston Wiet) جاستون فييت .
(١) أورد المقرئ فى حطته الكثير من هذه الاعفاءات من المكوس
و المقررات المالية التى أصدرها الناصر محمد و المذكورة بهذا الرسوم - انظر
الحاشية السابقة .

آثارهم لتطمئن الرعايا بأمانكم . وقررنا أن يكون نواب الأمراء الذين يقررونهم ببلادهم نوابا عن مجلس الحرب السعيد واحد من أهلها لحق من الحقوق فيخلصه الوالى بمن يتعين في جهته و يوصله لمستحقه و يتصدى لإزالة التعدى عن أحد منهم على الآخر ، و إن اتفق في ه البلاد أمر كبير مثل قتل أو ظهور فساد فيها أو حضور واحد من المفسدين إليها فيكون والى تلك الناحية و مشايخها و خفراؤها ملتزمين بالدرك في ذلك و إحضار الغرماء و المفسدين إلى والى الحرب ، و لا يمكن أحدا (كذ) من الفساد ، و لا يستحسنوا لأحد فعله عندهم . و لا يجمعوا أحدا عن شيء يتعين عليه ، و لا يحصى بلد على بلد أخرى ، و من حضر إليهم من المقبحين أو المتحدين فلا يؤوه و لا يقربوه بل يمسكوه و يعيدوه إلى بلده و يسلموه إلى أهل تلك البلد و يشهدوا عليه و على شيوخها بتسليمه لهم أو يسلموه لوالى الحرب من غير حماية و لا يمكن من إقامته يوما واحدا عندهم و لا يؤوه ساعة واحدة . و من ارتكب (خرو) جا ٢ عن مرسومنا هذا أو حى أحدا أو مكن أحدا من الإقامة عنده من ١٥ المفسدين أو المسلحين ٣ . . . و فعل ٤ خلافة أو نقض حكما واحدا من

(١) العبارة هنا مطموسة بالأصل .

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا و قد أكملناها من السياق .

(٣) في الأصل : المسجين ، و قد تكون « المساجين » .

(٤) جاءت الكلمة بأول السطر ، و جائز أن يكون مطموسا منها حرف ألف ، و إذا تصحيح قراءتها « أو فعل » .

أحكامه في أى بلد كان ، فالوالى بتلك البلد و شيوخها و خفراؤها (كذا)
و أرباب الدرك يقومون ١ بحكم سيوفنا بالتوسيط و الشنق و التسمير على
نخيل تلك البلدة . و إن اتفق في سنة من السنين حصول شراق و قصد بعض
الملاحين أن ينتجع من بلده إلى بلد رى ليزرع فيها مؤنته فيتوجه برضى
مقطعى بلده و يكون حظه معهم بالرضى بذلك ، و عند ضم المغل يرجع ٥
إلى بلده و وطنه بحيث لا يحصل في ذلك منازعة و لا يدعى أخذ ٢ فلاح
غيره لكونه زرع عنده ، فيعمل كل منهم بما شمله من إحساننا و صدقاتنا
و معروفنا و برئنا . و كذلك رسنا بإبطال رسوم الولاية و عدم استبدائنا ،
و لا يمكن أحد من الولاة و لا نوابهم و لا المتحدثين (كذا) عندهم من جباية
رسم و لا مشاهرة و لا إحداث حادثة عليه ٣ ، و كذلك كتاب الولاة ١٠
و دواوينهم و مباشرهم فلا يتعرض أحد منهم إلى تناول رسم و لا جامكية
على البلاد ، فقد رسنا بإبطال جوامكهم على البلاد و أسقطنا ذلك عن
الرعية ، فلا يتعرض أحد بعد مرسومنا هذا من كتاب الولاة و لا مباشرهم
إلى تقرير جامكية [بن ١٧٩ : ب] على البلاد و لا رسم و لا مقرر و لا مشاهرة
و لا مياومة ، و لا يستأدى من ذلك الدرهم الفرد و لا شيء قلّ و لا جلّ ، ١٥
فقد أبطنا هذا الحادث و عفيّا آثاره فليحذر كل منهم من تناول
شيء من ذلك . رسنا بإبطال حقوق السجون و مقرراتها و ضمانها
و منع التعرض لأخذ الدرهم الفرد منها ، و أن لا يجمع على المسجونين

(١) في الأصل : يموتون . - و هو خطأ فلهى واضح .

(٢) الكلمة في الأصل : أحد . و هى بدون نقط و قد آثرنا نقطها كذلك للسياق .

(٣) في الأصل : على عليه . - و تقع لفظة « على » بين السطرين و هى زائدة .

بين ضيق السجن وضيق العسر . فانه ما بقى عند المسجونين إطلاقه بمقدار تعويقه على الضمان المذكور ، فرأينا أن تكون هذه الحسنة مسطرة في صحائف حسانتنا و تقرّبنا إلى الله تعالى بتعفية آثارها . ثم أنعمنا النظر في مصالح البلاد و الأعمال الراجعة فوجدنا أهم أمورها مصالح جسورها و إتقانها ، و أن لا تدخل الأيدي بجباية مبلغ ، فرسمنا بأن تعمّر جميع الجسور و الترع بالجراريف و الأبقار و الرجال على قدر مصلحة كل بلد من غير أن تطلب عن ذلك دراهم و لا دخول و لا خروج . بل كل بلد تعمل (بأهلها) و تعفا من الطلب بالدراهم عن القش و المدامسة و عن رسوم الخولة و المهندسين ، و إبطال استخراج الدراهم عن جميع ذلك ، ١٠ و يستقر العمل دون جباية مبلغ ، و توفر على الرعايا صدقة عليهم و نظرا في حالهم ، و يحا ذكر طلب يطالب للجراريف و الجمع و الرسوم السدود بحيث لا يكون لاسد و لا مهندس و لا خولى رسم و لا بدل و لا استيداء الدرهم الفرد ، بل كل بلد يلتزم مقطوعا بعمل ما يجب عليه عمله من غير رجوع إلى العوائد القديمة . و كذلك رسمنا بإبطال طرح بالفرايج ١٥ على البلاد و إنذار الرعية بها ، و لا يلزم أحد بما لا يختاره من الفرايج ، بل يكون بيعها و شراؤها بالسعر الخاص أسوة بقية الأصناف من غير جبر و لا إكراه ، و لا تُرمى فرايج بلد على أهلها ، و لا يلزم أحد بمشترى شيء منها اغتصابا ، و لا يُقرر شيء منها بضمان و لا رسم و لا غيره ، (١) العبارة هنا مطموسة و لكن أغلبها يقرأ على وجه التحقيق إلا هذه الكلمة اقتبسناها من سياق الكلام .

و تنقض العوائد السبئة التي كانت في ذلك من غير رجوع إليها ،
 و تكون أسوة المبيعات التي تباع و تشتري من غير طرح ولا رضى
 ولا تقرير . و كذلك رسمنا بإبطال مقرر الفرسان و مقرر الخيل الذى
 كان يستأدى وقت حركات الجيوش المنصورة إلى البواكير و كذلك
 قود الخيل ، و أبطلنا هذه المظلمة ابتغاء لثواب الله تعالى ، و الله لا يضيع
 أجر المحسنين . و وثوقا بكرم الله تعالى ، و إمداداً نصره للمؤمنين .
 و كذلك رسمنا فى أمر الإفراح بأن لا يؤخذ مقرر ملاهى ممن يعمل
 فرحاً ؛ و من أعرس أو كتب كتابه أو أملك أو كان عنده ختان أو ولد
 له ولد أو غير ذلك من الولائم و لم يعمل فرحاً فلا يلزم بالقيام بشئ .
 من المقررات المثبوتة للملاهى و للإفراح ، و لا يطلب مقرراً للملاهى إلا من
 يعمل عنده فرحاً بملاهى ، و من لم يكن عنده أحد من الغواني
 (و الملاهى °) فلا يطلب عن وليمته شئ . قل و لا جل من المقررات
 التي كانت تستأدى أولاً . و كذلك رسمنا بالمساححة بثمن العبيد التي كانت
 تقررت و أبطلناها فلا يتعرض أحد لاستخراجها بعد مرسومنا هذا .

(١) و المقصود بالكلمة « أود » .

(٢) الكلمة مطموسة جزئياً ولكنها واضحة من السياق .

(٣) فى الأصل : و الامداد .

(٤) فى الأصل : المستومين . و أغلب الظن أنه خطأ قلبى فى النسخ .

(٥) الكلمة مطموسة بالأصل ، ولكنها واضحة من سياق الحديث .

(٦) الكلمة واضحة ، و أغلب الظن أن المقصود بها جمع كلمة « العباءة » .

و كذلك رسمنا بإبطال المقرر من الأتيان التي توجد لمعاصر الأقتصاب^١
و أن لا يتعرض أحد إلى أخذ تب من بلد من البلاد إلا بثمنه و رضى أصحابه،
و يستمر الحكم في ذلك عاما شاملا لمعاصر الخاص الشريف و الأمراء
و غيرهم من الجهات، و تستقر أتيان المعاصر الجارية في الخاص الشريف
٥ على بلاد الخاص الشريف من جملة ما يؤخذ منها، و لا يتعرض إلى غير بلاد
[بن ١٨٠: الف] الخاص الشريف إلا بالثمن المرضى و القيمة العادلة، و لا يجبر
أحد من أهل البلاد على بيع تبة بغير رضاه، و لا يقرر عليه شيء من التبن
حسب ما رسمناه . و كذلك رسمنا بإبطال حمية امراكب و أن لا يعود
أحد من الأمراء و أرباب الجهات يحمى مركبا لا يستأدى عن الحماية
١٠ حقا . و لا مقررا من المقررات التي كانت تستأدى فيما قبل مرسومنا هذا .
و لا يتعرض أحد إلى المراكب بغير حق يشهد به الديوان المعمور من
غير حماية . و كذلك رسمنا بالرفق بالرعايا و أن لا يطالب الحى عن الميت
و لا المقيم عن النازح و لا الحاضر عن الغائب ما لم يكن ضامنا أو كفيلًا
أو ملزما . و كذلك قد رسمنا بالمساحة بما انساق للأمرء و المقطعين من
١٥ البواقي في بلادهم من الخراجى و الضمان و غير ذلك و إلى آخر مُغَلّ
سنة أربع عشرة و سبعمائة، و لا يطالب أحد من الرعية و المزارعين
إلا بحق شرعى يكون الغريم قد قبض العوض عنه، و مهما كان باقيا من
خراج أو ضمان و ما يجرى بجرى ذلك فيسامح^٢ . و لا يطلب منهم

(١) في الأصل : الاقتصاب . و الكلمة غير منقوطة، ولكنها واضحة من السياق .
(٢) الجملة هنا مطموسة، و ربما كانت الكلمة الأولى منها « الناس » و لكن
باقيا لا يقرأ .

بالجملة الكافية ، ويستمر الحكم على ما رسمنا به في المساحة إلى آخر مغل
سنة أربع عشرة وسبعمائة ، ولا يتعرض أحد من نواب الأمراء والمقطعين
إلى استخراج شيء من الباقي المختص بالسنة المذكورة وما قبلها . وكذلك
رسمنا أن تغف جماعة الفلاحين من ضيافة القდوم عند انتقالات الإقطاعات
في سنة الروك المبارك . وكذلك رسمنا بإبطال عداد النحل ^١ حسب هـ
ما يشهد به الديوان المعمور من جملة ذلك وتفصيله الحكم في ذلك في
بلاد الخااص الشريف والأمراء والمقطعين ، ولا يستخرج بعد هذا
المرسوم الشريف . وكذلك رسمنا بإبطال زكاة الرجال بالديار المصرية
بالوجهين القبلي والبحري ، ثم أنعمنا النظر فيما عدا الملة المحمدية من
الطوائف ليكون عدلنا جامعا لجميع الملل والطوائف ، فرسمنا في أمر الجوالى ^{١٠}
بالديار المصرية وأعمالها تؤخذ من اليهود والنصارى أن لا تؤخذ
منهم جالية إلا على حكم التصقيع ، ورسمنا بالمساحة بما كان يستأدى
(هـ) منهم ^٣ منسوباً للعجز حسب ما يشهد به الديوان المعمور . وكذلك
رسمنا بإبطال جميع البدول من الولاة والنظار (والمستوفين) وأرباب
.....
(١) جاز أن تكون الكلمة أيضا « النخل » لأن النقطة الأولى ساقطة ، والنقطة
الثانية قد تتبع الخاء أو ما قبلها ، ولكننا آثرنا استعمال « النحل » لوجود كلمة
« استخراج » فيما بعد مما يتصل بعسل النحل .
(٢) في الأصل : يستددي .
(٣) الكلمة مطموسة جزئيا بأول السطر .
(٤) الكلمة مطموسة جزئيا . وربما كانت « المستوفين » كما جاءت فيما بعد .

الوظائف^١ جميعا من أرباب وغيرهم . فليستقر حكم هذا المرسوم الشريف لاستقبال تاريخه ٢٠٠٠ معمل الروك المبارك وخروج المناشير الشريفة ، وهو من استقبال شهر صفر سنة ست عشرة وسبعائة ، بلغ الله تعالى إليها وختمها بالصالحات . وتبطل هذه الحوادث والمظالم التي رسمنا بإبطالها من القاهرة ومصر المحروستين وسائر أعمال مصر بجميع الولايات والأعمال بالوجهين القبلي والبحري حيث ما يشهد الديوان المعمول بحمله ذلك وتفصيله وتقريبه وتأصيله ، لا يختص بذلك بلد من البلدان ولا مدينة من المدن ولا قرية ولا كفر ولا جهة ولا منيل كبيرا كان أو صغيرا ، ولا استثناء في هذا المرسوم الشريف ولا رجوع ولا تعقيب .

١٠ وسيل كل واقف على مرسومنا هذا من النواب والأمراء والولاة والنظار والمستوفين والشادين والمتصرفين وسائر ولاية الأمور في ممالكنا الشريفة العمل بحسبه من غير تأويل في ذلك ولا تبديل ، ومن نقض شيئا من ذلك أو استحل حرمة أو أحيا مظلة أماناتها عدلنا الشريف فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لعنة باقية إلى يوم الدين ، والعلامة الشريفة أعلاه حجة به ، وقد كتبنا مثالها في الأول إن شاء الله تعالى .

١٥ كتب ثامن عشر ذى الحجة [بن ١٨٠ : ب] سنة خمس عشرة وسبعائة حسب الأمر الشريف . الحمد لله وحده و صلواته على سيدنا محمد وآله وسلامه وحسبنا الله ونعم الوكيل . - انتهى .

(١) في الأصل : الوظائف .

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا ، وربما قرئت « بالعمل » .

فانظر يا هذا إلى محاسن فعل الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور
 قلاون . فلما عدل في الرعية ، وأخلص النية ، طالت مدته في الملك
 فعاش هنياً ، ومات على فراشه سوياً . وكانت وفاته في ذى الحجة سنة
 إحدى وأربعين وسبعمائة ، ودفن مع والده الملك المنصور قلاون في
 قبره بقبّة المنصورية بين القصرين بالقاهرة المعزية . وعمر المنصور محمد هـ
 في حياته المدرسة الناصرية المجاورة لقبة المنصورية من شرقها ، وعمر
 أيضاً الجامع الذي بدار النحاس بمصر ، وعمر أيضاً الخانقاه التي بسرياقوس ،
 وعمر أيضاً جامع القلعة ، وجدد أيضاً عمارة أبواب القلعة . كان محباً
 في لا يكاد ينقطع في القلعة ، رحمه الله تعالى . وقد رثى بمرثئ
 منها المراثية التي لأبي الفضل قاسم البجائي القصّار نزيل ثغر الإسكندرية ، ١٠
 فمنها قوله :

بكت العيون بكل بحر زاخر أو كيف لا تبكي لفقد الناصر
 ملك الشّام وعزّ مصر ونورها حامى الحجاز ميد كل مخامر
 ٣ فقد لوجود بل الوجود لفقده متحسراً أضحى شديه الحائر
 يبكي عليه بأدمع كيواقت طورا ، ولؤلؤ بعضها بكواهر ١٥

(١) الكلمة مطموسة بالأصل ، ولكن يمكن قراءتها حدسا « العبادة » أو العزة

(٢) إلى ما تنتهى الزيادات الواردة في بن وهي ساقطة من بر ، فأخذناها برمتها
 عن بن وهي تشمل ذلك الرسوم الفريد من حكم الناصر محمد .

(٣) من عنا يستأنف الكلام في كل من بن [١٨٠ : ب] وبر [٢٣٣ : ب] .
 ويسبق الشعر في بر : وقيل في هذا المعنى .

(٤) الكلمة ساقطة من بر وواردة في بن ويستقيم بذكرها ميزان البيت .

زار الثرى فاضا الثرى^١ من نوره و أجابه أهلا^١ بنعم الزائر
فقد ا به القبر الذى قد حله روض يفوح كنشرمسك عاطر
و كأنه مذحل فيه روضة مطورة قد نمت بأزاهر
سقا لرب حل فيها جسمه قد عطرت منه بجسم طاهر
كم حجة قد حجها مبرورة كم^٢ وقعة شهرت له ببصار^٢
/ فى شجب حز الرأس بسيفه قهرا و نصرا من عزيز نانصر
قد مده بالعز منه أولا^٣ فضلا^٣ ويؤتمم فضله^٣ فى الآخر

[٢٣٤: الف]

و ظهر فى "دولة الملك الناصر محمد المذكور" بحمص^٦ مكان متسع^٦
تحت الأرض قد خسف ، و إذا سرير كبير عليه رجل ميت ، و إن
١٠ هامته من عظمها يفرش عليها حصير ، و لم يجدوا عنده مالا^٧ ، فكتب
الملك الناصر^٨ فى ذلك^٩ ، فأمر أن تردم تلك الحفيرة عليه فردمت .

(١ - ١) هذا الجزء من البيت مطموس فى بن .

(٢) فى بن : و كم .

(٣) فى بن : او .

(٤ - ٤) فى بن : و تتم بعضه .

(٥ - ٥) فى بن : دولته . و بهامش بر : نكتة .

(٦ - ٦) فى الأصلين : مكانا متسعا .

(٧) فى الأصلين : مال .

(٨) زيد فى بن : عهد .

(٩) فى بن : بذلك .

فقيل إنه شداد بن عاد الباني لأرم ذات العاد ، وقيل غيره ' - والله
أعلم ٣ من هو من الملوك . قال بكر بن حماد :

غفلت و حادى الموت فى إثرى مجد و إن لم أرح ميتا فلا بد أن أغدو
أرى عمرى ولى ولم أترك المنى وليس معى زاد و فى سفرى بُعد
أنعم جسمى باللباس و لينه و ليس لجسمى من قيص اليبلا بد ٥
كأنى به قد مُدَّ فى برزخ البلا و من فوقه ترب و من تحته لحد
و قد ذهبت تلك المحاسن و انتحت فلم يبق فرق العظم لحم و لا جلد
عسى غافر الزلات يعفو زلتى فقد يغفر المولى إذا أذنب العبد
أنا الفرد عند الموت والفرد فى الثرى و أبعث فردا فارحم الفرد يا فرد ٣

١ ' و سأذكر هنا ما قيل عن بعض الملوك فى تعظيمه لقدرة الله ١٠
تعالى * كفعل الملك الناصر محمد إذ كان يقول فى ذكره : سبحان من
أعطى ملكه لأضعف خلقه * . و هو أن ذلك الملك اضطجع على فراشه
بأعلى قصره أول الليل ، و أشخص بصره للفلك ٦ ، و أقبل عليه متفكرا
و فى هيئته متدبرا . فقال : أيها الفلك إن بناء أنت سقفه لعظيم ، وإن

(١) ساقطة من بن .

(٢) زيد فى بن : تعالى .

(٣-٣) الجملة والقصيدة التالية ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤-٤) فى بن : فلنذكر الآن .

(٥-٥) الجملة ساقطة من بن .

(٦) فى بن : الى تلك .

يَنا أنت غطاؤه^١ لمكين ، وإن شينا أنت تظله لكبير ، وإن فيك لعجبا
لذى تفكير . فليت شعري أَعَلَى عمد من تحتك تمتسك . أم بمعاليق تتعلق ،
ولعمري إن ممسكا أَمْسَكَتْكَ قدرته لملك قدير ، وإنك في استدارتك
بتقديره^٢ عن^٣ زوالك لحكيم خير^٤ ، وإن جهل من غفل عن التفكير
هـ في هذه العظمة لغر صغير - ثم أقبل على نجومه وقال : ليت شعري كم أفيت
من القرون ، وكم صحبت قبلنا من الأمم في سالف الدهور ، وكم حسر^٥
الناظرين إليك من العيون ، وكم أعيت قبلنا من الفكر والعقول ؟ ليت
شعري ما طلوعك حين تطلعين ، ومسيرك حين تسيرين ، وأفولك حين
تأفلين . وعلى من سقوطك حين تغيين ؟ ليت شعري أمنوطة أنت
١٠ أم تتحركين ، أم كيف صفتك التي بها توصفين . ولونك الذي به
توسمين ، ومن سَمَّاكَ باسمك الذي به تعرفين ؟ فسيحان من لأمره تنقادين ،
و بمشيئته تجرين . وبصنعة استقامتك حين^٦ تستقيمين ، ورجوعك حين
ترجعين ، و^٧ استنارتك حين تستيرين^٨ ، وبروزك حين تبرزين . فبارك

(١) كذا في بن ، وهي في بر : غطاءه .

(٢) في بن : بتقدير .

(٣) في بن : وعن .

(٤) في بن : لخبر حكيم .

(٥) في الأصلين : حسرت .

(٦) في بن [١٨٢: الف] حتى .

(٧-٨) في بن : واستنارك حين تستيرين .

الله أحسن الخالقين - شعر ١ في المعنى ١ :

كأن نجوم الليل سارت نهارها ٢ فوافت ٣ عشاء وهي ٤ انضاء أسفار ٤
وقد خيمت كي تستريح ركبها فلا فلك جار ولا كوكب ساري
ولبعضهم في فراقه لمحجوبه :

[٢٣٤: ب] خيلى إني للثريا لحاسد و إني على ريب الزمان لواجد ه
أبقى جميعا شملها و هي سبعة و أفقد من أحبته و هو واحد

[الكواكب و الأفلاك و الأبراج]

قال المسعودى في تاريخه: الأفلاك ه تسعة فأولها و أصغرها
و أقربها إلى الأرض فلك القمر ، و الثانى لعطارد ، ١ و الثالث للزهرة ٢ ،
و الرابع للشمس ، و الخامس للمريخ ، و السادس للشترى ، و السابع لزحل ، ١٠
و الثامن للكواكب الثابتة ، و التاسع للبروج . و الأفلاك مستديرة محيطة
للعالم ، و هي تدور على مركز الأرض ، و الأرض ٧ في وسطها مثل النقطة
وسط الدائرة . و سائر الكواكب كلها في الفلك الثامن ، و الفلك التاسع
هو أرفع و أعظم ٧ جسما ، و هذا الفلك يحيط بالأفلاك التى دونه و بالطبائع

(١ - ١) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٢) في بن : نهارحما . (بدون نقط و هو خطأ قلمى واضح) .

(٣) في بن : فوفيت .

(٤ - ٤) في بن : انفا اشعار .

(٥) في هاشم بر : الأفلاك و عدتها .

(٦ - ٦) مطموسة في بن .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

الأربع وجميع الخليقة و ليس فيه كوكب واحد^١ ، و دوره من المشرق إلى المغرب كل يوم دورة واحدة تامة^٢ ، و يدبر بدورانه ما تحته من الأفلاك المتقدم وصفها . و قيل إن الرعد^٣ هبوب^٤ الرياح في بطون السحب ، و البرق^٥ نار تظهر من تلاطم السحب ، و الصاعقة^٦ حديد و نحاس .
 ٥ امتزجا في الجو وألهبتها^٧ النار^٨ فقطرا . فأما^٩ الأفلاك السبعة المتقدم ذكرها ، فانها تدور من المشرق إلى المغرب ، و الفلك الثامن يدور على قطبين غير قطبي الفلك الأعظم . و إن الكواكب السبعة لكل واحد منها حركة خلاف حركة صاحبه ، و لها تفاوت في حركاتها ، و ان مقادير حركات هذه الكواكب في أفلاكها مختلفة^{١٠} ، فمقام القمر في كل برج

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) في بن : تامة واحدة .

(٣) بهامش بر : الرعد .

(٤) في بن : مرور .

(٥) بهامش بر : البرق .

(٦) بهامش بر : الصاعقة .

(٧) في بن : وألهبتها .

(٨) في بن : نار .

(٩) في بن : وأما .

(١٠) في بن : تختلف .

يومان ١ و نصف و يقطع الفلك في شهر . قال الشاعر في الهلال و البدر ٢
و مغيها و ظهورهما :

يغيب هلال الشهر من دون ساعة كذلك ٣ أيضا ليلة النصف يظهر
فسته أسابيع له كل ليلة يغيب على هذا الحساب ٤ و يسفر
فللبدر ثنتا ٥ عشر ساعة كملت لثامن عشرين الحساب المحرر ٦ هـ
و تاسع عشرين الشعاع حجابيه و يخرج منه ٧ ثلاثون تحصر
فان كان في قدر الأهنة قل يُرى و إن قلّ عن مقدارها ليس يظهر
واعلم أن مقام ٨ الشمس في كل برج شهر ٩ ، و مقام عطارد في
كل برج خمسة و أربعون ١٠ يوما ، و مقام المشتري في كل برج سنة ،

(١) في الأصلين : يومين .

(٢) في بن : و القمر .

(٣) في بن : كذلك .

(٤) في بن : الهلال .

(٥) في بر : ثنتي ، و هي كذلك في بن و هو الأصح .

(٦) في الأصلين : محرر .

(٧) في بن : معه .

(٨) في هامش بر : إقامة الكواكب في أبراجها .

(٩) في الأصلين : شهرا .

(١٠) كذا في بن ، و الكلمة في بر : و أربعين .

و مقام زحل في كل برج ثلاثون^١ شهرا^٢، وإن البروج الإثني^٣ عشر
يتلو بعضها بعضا في [٢٣٥ : الف] مبرها، ولا تنتقل^٤ عن أماكنها
في طلوعها و غروبها .

[استدارة الأرض و أبعادها]

٥ و استدارة الأرض^٥ كلها جبالها و بحارها أربعة و عشرون ألف
ميل، وإن قطرها و عمقها سبعة آلاف و ستمائة و ستة و ثلاثون^٦ ميلا .
و أن الفلك مستدير بمحورين و قطبين، و أنهما بمنزلة محور النجار
و الخراط الذي يخرط الكرة^٧ و القصاع و غيرها من آلات الخشب،
و أن من كان مسكنه في وسط الأرض و عند خط الاستواء استوى^٨
١٠ ساعات ليله و نهاره و سائر الدهر، و أن هذين^٩ المحورين هما القطب
الشمالي و القطب الجنوبي . و الكلام يطول على ما قيل في الأفلاك
و الكواكب، فلنقتصر على هذا القدر منها .

(١) كذا في بن، وهي في بر: ثلاثين .

(٢) في بن: الاثنا .

(٣) في بن: تستقل .

(٤) في هامش بر: استدارة الأرض .

(٥) في بن: و ثلاثين .

(٦) في بن: الكرة .

(٧) في بن: استوا .

(٨) في بن: هاذين .

[الجبال و البحار و الأنهار و العيون و المدن]

وسأذكر^١ ما قيل في الجبال و البحار^٢ و الأنهار و العيون و المدن
 إن شاء الله تعالى^٣. ذكر في^٤ الكتاب المعروف بجغرافيا^٥ صفة الدنيا
 و مدنها و جبالها و ما فيها من البحار و الجزائر^٦ و الأنهار و العيون^٧
 و وصف المدائن المسكونة و المواضع العامة ، و أن عددها^٨ أربعة^٩
 آلاف مدينة و خمسمائة و ثلاثون مدينة في عصره ، و سماها مدينة
 مدينة في إقليم إقليم . و ذكر^{١٠} في هذا الكتاب^{١١} ألوان جبال الدنيا من
 الحرة و الصفرة و الخضرة و غير ذلك من الألوان ، عددها^{١٢} مائتا جبل
 و نيف ، و ذكر مقاديرها و ما فيها من المعادن و الجواهر . و ذكر أيضا
 أن عدة البحار المحيطة بالأرض خمسة أبحر ، و ذكر ما فيها من الجزائر^{١٣}
 و العامر منها و الغامر عما اشتهر من الجزائر دون ما لم يشتهر . و ذكر
 أن ابتداء بحر مصر و الروم من بحر الأصنام النحاس ، و أن جميع العيون

(١) في بن [١٨٢ : ب] : ولنذكر الآن - و بهامش بر : مطلب يذكر فيه

الجبال و البحار و الأنهار و العيون و المدن .

(٢-٣) في بن : و العيون و الأنهار و المدن الكبار .

(٣-٣) في بن : كتاب جغرافيا .

(٤-٤) في بن : و العيون و الأنهار .

(٥) بهامش بر : عدد المدن .

(٦-٦) في بن : في الكتاب المذكور .

(٧) بهامش بر : عدد الجبال .

الكبار التي تنبع من الأرض مائتا عين و ثلاثون عينا ما عداها من الصغار . و أن عدد الأنهار الكبار الجارية في الأقاليم السبعة المتقدم ذكرها على دوام الأوقات مائتان و تسعون نهرا . و هذه الجبال و البحار و العيون و الأنهار كلها مصورة في كتاب جغرافيا بأنواع ٢ من الأصباغ مختلفة ٢ المقادير، فمنها ١ على صورة الطيلسان ، و منها على صورة الشابورة ، و منها مدور ، و منها مثلث و غير ذلك - انتهى .

[خلفاء الناصر محمد]

فلنرجع إلى ذكر ٣ من ملك مصر من ذرية الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون . ولى بعد وفاة الملك الناصر محمد ولده الملك ١٠ المنصور أبو بكر، فأقام مدة يسيرة ، ٥ و غضب عليه الأمير قوصون ، أرسله إلى قوص حبسه بها و قتله ٥ . فقال أبو الفضل قاسم القصار البجائي نزيل الإسكندرية من [٢٣٥ : ب] المروية المتقدم ذكر بعضها ٦ : هذا محمد قد مضى لسبيله في رحمة الرب الرحيم الغافر

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢-٢) مطموسة في بن .

(٣) في هامش بر : مطلب ، ذكر من ملك مصر من ذرية الملك الناصر محمد بن قلاوون .

(٤) هو المنصور سيف الدين أبو بكر و سلطنته ٧٤١ - ٧٤٢ = ١٣٤٠ - ١٣٤١ م .

(٥-٥) الجملة ساقطة من بر و واردة في بن ، و زيد في بر : و قتله الأمير قوصون بمدينة قوص .

(٦-٦) في بن : ذكرها .

و أتى خليفته أبو بكر فلا تخشوا توثب غادر ومخامر
أودى به قوصون غدرا فاغتدى فى أرض قوص تحت لحد دائر

وولى قوصون مصر بعد أبى بكر بكك^١ ابن الملك الناصر محمد
ولقبه^٢ الملك الأشرف^٣ . وأمر قوصون ونهى فى المملكة لصفر^٤ سن
الأشرف فكرهت قوصون الأمراء والعوام^٥ و^٦ أبغضوه بغضة^٧ عظيمة
لأمور يطول شرحها . فعمل عليه الأمير ايدغمش^٨ ، فسلط العوام
والحرافيش على إسبلة المحتوى على أمواله و ذخائره فنهبوا^٩ بكالها ،
وأخربوا مساكنه^{١٠} ، وأخذوا سقوفها ، وقلعوا رخامها ، و نقضوا
سقوف خانقته التى عمرها بالقراقة ، ونهبوا بيوت صوفتها (كذا) . وقبض على

(١) فى الأصل بر : لكجك . وصحته فى بن - وهو الأشرف علاء الدين بكك
Kvjuk وقد خلف أخاه المنصور سالف الذكر وسلطته فى ٧٤٢ = ١٣٤١ -
١٣٤٢ م . انظر المقرئى (كتاب السلوك ج ٢ قسم ٢ ص ٥٧١ وما يتلوها
« سلطنة الملك الأشرف علاء الدين بكك بن الناصر مجد تلاون » .

(٢-٢) فى بر : بالملك الأشرف . وفى بن : ولقبه بالأشرف .

(٣) فى بن : فصفر .

(٤) فى بن : كراهة .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : ايدغمش .

(٧) عن بن ، وفى بر : نهبوا .

(٨) فى بن : قصوره ومساكنه .

قوصون ، و أرسل إلى الإسكندرية ، حبس في ١ جب بها ١ . و أرسلت
الأمراء للأمير أحمد ابن الملك الناصر محمد من الكرك ، و كان مقبلا به
في حياة والده ، فأتى إلى القلعة ، و تسلطن و جلس على كرسى الملك ،
و لقب بالملك الناصر ٢ ، فقتل قوصون بأخيه الملك المنصور أنى بكر
٥ ٢ في حبس الإسكندرية ٣ ، و أقام ٣ السلطان أحمد ٣ مدة أشهر و رجع
إلى الكرك على أنه يعود ٤ للملك . ٥ فلما وصل إلى الكرك خلع ٥ نفسه
من الملك فأقام ٦ به كما كان أولا ، فولى ملك مصر أخوه الملك الصالح
إسماعيل ٧ ابن الملك الناصر محمد . فحوصر في دولته الملك الناصر أحمد
بالكرك نحو أربع سنين ، فلم يقدر عليه لحصانة الكرك . فلما ضجر من
١٠ كان عنده بقلعة الكرك من الجوع والغلاء تطول الحصار قطعوا ٨
رأسه و نزلوا به ٩ إلى العسكر ، فحمل ٩ إلى أخيه الملك الصالح إسماعيل ،

(١ - ١) في بن : جبها .

(٢) الناصر شهاب الدين أحمد و سلطنته ٧٤٢ - ٧٤٣ هـ = ١٣٤٢ م .

(٣ - ٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤) في بن : يمضى و يعود .

(٥ - ٥) نقلا عن بن ، و في بر « نخلع » فقط .

(٦) في بن : و أقام .

(٧) الصالح عماد الدين إسماعيل و سلطنته ٧٤٣ - ٧٤٦ هـ = ١٣٤٢ - ١٣٤٥ م .

(٨) في بن : عدوا عليه فقطعوا .

(٩ - ٩) ساقطة من بن .

فتشوش من رؤيته للرأس فضعف ومات .

١ أفولى ملك مصر بعده ١ الملك الكامل شعبان ٢ ابن الملك الناصر محمد مدة يسيرة ومات . ٣ ثم ملك ٣ بعده الملك المظفر حاجى ٤ بن الملك الناصر محمد ، فأقامه مدة يسيرة ومات . فملك بعده الملك الناصر حسن ٦ ابن الملك الناصر محمد ، فأقام مدة وخلع ٧ من الملك ٧ وتولى ٥ بعده ٨ الملك الصالح صالح ٩ ابن الملك الناصر محمد ، فأبطل دواوين النصارى من الديوان ١٠ إلا من أسلم منهم فانه يبق ١١ على ديونته ووظائفه ١٢ ، ومن أقام على نصرانيته نزع من الديونة .

(١-١) فى بن : فملك .

(٢) الكامل سيف الدين شعبان و سلطنته ٧٤٦ - ٧٤٧ = ١٣٤٥ - ١٣٤٦ م .

(٣-٣) فى بن : فملك .

(٤) المظفر سيف الدين حاجى و سلطنته ٧٤٧ - ٧٤٨ = ١٣٤٦ - ١٣٤٧ م .

(٥) الكلمة ساقطة من بن .

(٦) الناصر ناصر الدين حسن و سلطنته ٧٤٨ - ٧٥٢ = ١٣٤٧ - ١٣٥١ م .

(٧-٧) ساقطة من بن .

(٨) الكلمة ساقطة من بن [١٨٢ : الف] .

(٩) الصالح صلاح الدين صالح و سلطنته ٧٥٢ - ٧٥٥ = ١٣٥١ - ١٣٥٤ م .

(١٠) فى بن الديونة .

(١١) فى بن : باق .

(١٢) فى بن : و وضايفه .

ثم خلع الملك الصالح صالح ١ ، وأعيد [٢٣٦ : الف] ' إلى المملكة ' الملك الناصر حسن ٢ ، فتمكن من المملكة ، وقعدت قواعده ، واجتمعت له الأموال الكثيرة ، وبنى ' المدرسة السلطانية المقابلة لقلعة الجبل بالقاهرة التي لم يكن ملك من الملوك مثلها ، واشترى بملوكا يدعى هـ يلغا ، فقربه وأدناه وأفاض عليه إحسانه ، وأكرم مثواه ولقبه بالخاسكي هـ ، فكبر شأن يلغا وعظم حاله ، فوثب على أستاذه الملك الناصر حسن قبض عليه ، وأودعه بيتا في قصره ٦ ، فأقام ٧ به أياما قليلة وقتله ، فوجد بخط السلطان حسن مكتوبا على ٨ حائط البيت ٩ الذي كان مسجونا به ٩ ما مثاله : « لا تقل متى كان ، ولا أين كان ، ١٠ ولا كيف كان ، قُدِّر فكان ، كتبه حسن ملك مصر كان . » ثم ان

(١) الكلمة ساقطة من بن [١٨٢ : الف] .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) الناصر ناصر الدين حسن وهذه سلطنته الثانية ٧٥٥ - ٧٦٢ هـ / ١٣٥٤ -

١٣٦١ م . وبهامش بر : سلطنة السلطان حسن .

(٤) في بر : وبنا ، وفي بن : فبنى .

(٥) في بن : بالخاسكي .

(٦-٦) كذا في بن ، والعبارة في الأصل بر : قصر في بيته .

(٧) في بن : أقام .

(٨) كذا في بن ، والكلمة في بر : في .

(٩-٩) ساقطة من بر و واردة في بن .

يلبغا المذكور ولى الملك المنصور^١ محمد بن المظفر حاجى ابن الملك الناصر محمد، فأقام فى الملك إلى أن بلغ، فطلب من يلبغا الرشد، فخلعه من الملك، وولى مكانه الملك الأشرف شعبان^٢ بن الحسين ابن الملك الناصر محمد لصغر سنه، فسأله يلبغا أن يوليه نيابة المملكة مدة سنين معينة، فولاه فصار يلبغا يأمر وينهى^٣ ويؤمر من أراد^٤ من ممالكه ويعزل^٥ من يشاء، وتسمى بالأمير الكبير، وانقادت لأمره الدولة، وسكن القصر المعروف بالكيش،^٦ فوسع فيه وعمر القصور به^٧، وأقام فى العز الضخم؛ وكان له نحو ألف مملوك يقال لهم الجلبان، اذخرهم لنواب الزمان، فغذلوه وقتلوه كما سأتى ذكر ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى .

١٠

^٨ ثم لما قتلت الممالك المذكورة أستاذهم يلبغا، أقاموا من بينهم أميراً يدعى أسندمر، فصاروا يفسدون فى الأرض ويفعلون القبائح

(١) المنصور صلاح الدين محمد و سلطنته ٧٦٢ - ٧٦٤ هـ / ١٣٦١ - ١٣٦٣ م .

(٢) الأشرف ناصر الدين شعبان و سلطنته ٧٦٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٣ - ١٣٧٦ م

وفى عهده حدثت وقعة الإسكندرية التى عاصرها النويرى و كتب « كتاب الإلام » فى صدها، وبهامش بر: الأشرف شعبان .

(٣-٣) فى بن : و يولى من يريد .

(٤-٤) فى بن : فوسعه و عمر به القصور

(٥) فى بن : ألقى .

(٦-٦) فى بن : فلما .

جها، و قصدوا القبض على السلطان الملك الأشرف شعبان، فانتصرت له العوام، و قتلوا تلك الممالك الطغاة^١، و قبض على أسندمر و أودع الجب بالإسكندرية، فصار به مسجوناً إلى أن مات^٢. و قعدت بعد ذلك قواعد الملك للأشرف^٣ شعبان، و تمكن في الملك و دخل الإسكندرية، و بنى بقصر السلاح^٤ التي بها^٥ قاعة^٥ ملاءها سلاحاً كثيراً، فصارت تلك القاعة^٥ كأحد قاعات الملوك السالفة بالقصر المذكور ليذكر بذلك كما ذكروا. و هو الآن في سنة خمس^٦ و سبعين و سبعمائة منتصب في مملكته، محسن لأهل دولته، مشفق برعيته، فالله تعالى يقوى سلطانه، و يشدد أركانه. شعر^٧:

١٠ ملك على متن السماء محله و بكفه الإيجاد و الإعدام

[٢٣٦: ب] / أقلامه قهرت سيوف عدائه و سيوفه دانت لها الأقلام

و إذا هي اشتهرت ليوم كريهة فغمودها قم هناك و هام

(١) في بن: العظام.

(٢) زيد في بن: به.

(٣) كذا في بن، و الكلمة في بر: الأشرف.

(٤-٤) ساقطة من بن.

(٥-٥) في بن: سلاح.

(٦) في بن: سبع.

(٧) الكلمة ساقطة من بن.

و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب تاريخ دخوله الإسكندرية و صفة ذلك إن شاء الله تعالى .

[مرثاة الإسكندرية للنسراوى]

فلنذكر الآن مرثية رثيت بها الإسكندرية ، بعد ^١ الواقعة الرديّة ،
^٢ والظفر بها فى العشر الأخير من المحرم سنة سبع و ستين و سبعمائة ^٣ .
^٤ ذكر المرثية التى رثا بها الإسكندرية الشيخ الفاضل أبو عبد الله
 محمد ^٥ النسراوى التى ^٦ عارض بها مرثية الشيخ الفاضل أبى عبد الله محمد
 ابن طاهر الإخيمى المتقدم ذكرها ^٧ :

خاطر ^٨ فاجأ الورى لما خطر أوقع الناس ^٩ الرزايا و الخطر
 ياله من خطر حل فا يُبق فى تغييره ولا يذر
 بغته جاء فما أعجله أخذه كانت كلعج ^{١٠} بالبصر
 يالها من داهية مرت فلم أر منها قط أدهى و أمر

(١-١) فى بن : وقتها .

(٢-٢) ساقطة من برو واردة فى بن .

(٣-٣) فى بن : و هى لأبى محمد .

(٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥) فى بن : ذكره .

(٦) فى بن : خطر .

(٧) فى بن : للناس .

(٨) فى بن : لمح .

أقطعت في الناس بالثغر الذي لم تزل عادته سد الثغر
فغدا بعد ابتسام عابسا بنى الأصفر عماد الصور
جاء كلب الروم بالسفن التي وقرها خيل ورجل و مِير
ملا^١ المينة منهم ولقد سيرا الملعون فيها و عبر
وأتى منهم غراب مسرعا جر بالمجذاف جرا مستطر
جاء للبر فاحتاطت به عصبة الإسلام ييغون الظفر
فأثنى منهم سريعا راجعا و لباقيهم جميعا قد صفر
فأتوا للبر عن آخرهم ورموا^٢ خيلا ورجلا وقر
و أحيط^٣ المسلمون بالبللا واستطال السيف فيهم وانشهر^٤
لم يقد^٥ مذ دفعوا بمدفع ورموا بالمنجنق فانكسر
لا ولاعدتهم معتدة^٦ للقاء الروم وكان يختبر
فلكم^٧ رامى^٨ رمى عن قوسه نبلة خابت و ارمت بالوتر
ولكم^٩ سيف صقيل باتر قد نبا في ضربه ثم انبتر

(١) في بن [١٨٢ : ب] : ستر .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في بن : ورمو .

(٤) في بن : وأحاط .

(٥) في بن : وانشهر .

(٦) في بن : معتقد .

(٧-٧) في بن : فكم رام .

(٨) في بن : ولكم .

'ولكم من راحع عاجله عـلج روم قتولى ودبرا
 ولكم^٢ من فارس^٢ جواده كره فى حلبة الميدان خر
 ولقد جاءت عراب نجدة بخيول عاريات كالبحر
 أرمت الأعداء^٣ عليهم سهمها بنصال خارقات كالآبر
 / وصلت للسور منهم نفر دافعوا دفعا قليلا بالحجر ه [٢٣٧:الف]
 ومضت قوم إلى القصر لأن يأخذوا منه السلاح المدخر
 لم يروا إلا سلاحا واحدا صار فيهم كهشيم المحتضر؛
 فأتوا القاعات كيما^٤ يلبسوا لم يروا من الناس فيها^٥ نفر
 عند هذا حققوا^٦ أنهم وقعوا وسط القضاء والقدر
 عميوا^٧ عن رشدهم لاحيلة وإذا جاء القضى أعمى^٨ البصر ١٠
 هان بذل النفس منهم فرموا من أعالي السور^٩ لا يخشو خطر

(١-١) هذا البيت ساقط من بر ووارد في بن .

(٢-٢) في بر : فارس من . وصحته كما أوردنا في النص لاستقامة الوزن به .

(٣) في بن : العدا .

(٤) كذا في بن ، والكلمة في بر : المحتظر .

(٥-٥) العبارة مطموسة في بن ولأن آخر كلمة فيها تنتهى بحرف السين ،

وربما كانت « الناس » .

(٦) في بن : حققوا . (و واضح أنها خطأ قلمى) .

(٧) في بن : عموا .

(٨) الكلمة أصلا « عمى » وهى مصححة بقله آخر إلى « عمى » وقد أخذنا بها .

(٩) كذا في بن . وهى في بر : الصور .

ولقد جاء فريق منهم يقتغوا باب رشيد للفقر
كسروه ثم ولوا هربا بعضهم من بعضهم يقفوا الأثر
عند ما عين كلب الروم ذا أن جيش المسلمين إنكسر
جاء زحفا عازما^٢ بعزمه دخلوا للثغر من باب القدر^٣
٥ رفعوا الصلبان في أعلاه فعالى ربنا باري الصور
ولقد كانوا غداة^٤ دخلوا كجراد في حصيد إنتشر
أين عينك ترى الثغر وقد هتك الإفرنج منه ما استر
وبسات خفرات محرم قد أزالوا عنهم^٥ ذك الحفر
ولكم مرضعة قد^٦ نحروا طفلها في صدرها أيضا اتحر
١٠ ولكم شيخ كبير قتلوا ما رعو في أمره حق الكبر
ولكم شاب نشأ في طاعة دأبه في^٧ عمره يتلو الشور

(١) كذا في بن ، والكلمة في بر : يقفوا .

(٢) كذا في بن ، والكلمة في بر : هازما .

(٣) ربما كان المقصود « مجارى الأفتية » بجوار الباب الأخضر ، وهي الواردة

فيما سبق من هذا الجزء . راجع بر ١٨٦ : ب .

(٤) كذا في بن ، والكلمة في بر : غداة .

(٥) في بن : منهم .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧) في بن : من .

اسروه و استباحوا أسره و بهم أمسى ذليلاً محتقر
 ما رعوا شاباً ولا ذاً شية فضغير و كبير مستطر
 و لكم عين و عين جمعوا و لكم حازوا بدور و بدر
 كم عزيز قد غدا في ذلة و غنى بعد مال إفتقر
 عظم الله لهم اجرا لقد نال اجرا منهم من قد شكر
 و لقد جاء حديث مسند نصه قد جاء عن خير البشر
 ما قضى الله على امرء قضا منه إلا وله فيه الخير
 كم وكم من مسجد عمر في مبدأ الإسلام من عهد عمر
 قد غدا خاوي على عروشه دخل الأعداء فيه و شعر
 / حرقوا الخانات مع حانوتها إذ رموم بحراريق الشرر
 كل هذا فعل مولانا الذي لا يرد أمره إذا أمر
 ساقته البرد لمصر غارة سوق عنف لا يخافون الغير
 وجدوا السلطان في سرياقس نازلا فيها فأعطوه الخبر
 بطقوا بلبيس في ساعتهم في حمام طالعوا المولى الأقر
 يلعبغا مدبر الملك الذي أمره ونهيه قد اشتهر
 ١٠ [٢٣٧: ب]

(١) في بن : ذو . و الكلمة مصححة في بر بقلم آخر .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) كذا في بن ، و الكلمة في بر : قضا .

(٤) زيد في بر : قد . و الكلمة لا وجود لها في بن ، و يستقيم الوزن بدونها .

(٥) كذا في بن ، و الكلمة في بر : ساقاة .

جاءهم سوقا على حالته ساعة الوقت سريعا ما فتر
 جهاز الجيش و أعطى بالمللا أوقر السفن ونادى بالسفرا
 لم يكن إلا قليل وصلوا بجيوش ليس تحصى كالمطر
 عبروا الثغر سراعا وجدوا قد قضى زيد من الوصل وطر
 ٥ ومضوا الإفرنج في ساعتهم وخذوا في البحر جرد 'في السفر'
 وغدا الثغر الشيب أنجر ٣ عبرة يبصرها ٤ من اعتبر
 يالها من خذلة قد خذلوا ٥ كسرة يحبرها من قد كسر
 لا يربجا لبلاها كاشف غير من الله حقا قد نصر
 كاشف الخطب المهول إن غزا فارج الهم إذا ضاق المقر
 ١٠ سيد الرسل الذي يقدمه نصره ٦ بالرعب شهرا إن سفر
 يا رسول ٧ الله إنا فئمة بك لذنا من لثيم قد غدر
 يا رسول ٧ الله قد حل بنا من بنى الأصفر ٨ بؤس و ضرر

(١) في بن : السفر .

(٢-٢) في بن : بالسفر .

(٣) كذا في الأصلين ، ولعل الكلمة الأخيرة « أبحر » .

(٤) في بن : يبصر .

(٥) في بن : خلوا .

(٦) في بن [١٨٤ : - الف] : نصره (تاؤها المربوطة المنقوطة على غير الماء جاء في بر) .

(٧) في بن : يرسل .

(٨) ساقطة من بن .

يا رسول^١ الله خانوا الله في أمره وتعدوا ما أمر
يا غياث المستغيثين به يا غياث الخلق طرا والبشر
يا ملاذ الناس يا كهف الوري يا كفيل البدو جمعا والحضر
لك نشكو^٢ ما أتى من حادث قد عرانا من ملاعين عور^٣
قد دهوا ثغر الهدى بدهية يالها من دهية فما أمر
وأحاط الثغر فيهم نكبة ورختها الناس في الدنيا سير
فأسأل^٤ الرحمن في نصرتنا وخذ الثار لنا ممن كفر
استغثاك أغشنا إحنا إنتقم^٥ عنا لنا ممن قهر
بك عذنا من رجيم مارد جاحد لله ندل قد فجر
لم تزل عنا خفيرا زائدا تحم عنا في الدنا ثم الآخر
والخفير الغوث من عادته وسجاياه يحامي من خفر
إن يكن هذا للذنب^٦ سابق قد جرى منا وجهل وغرر
أو تكن منا أساءات^٧ بدت فياله العرش أولى من غفر

١٠ [٢٣٨: الف]

(١) في بن [١٨٤ : الف] : يرسول .

(٢) في بن : تشكوا .

(٣) في بن : عور .

(٤) في بر : فاسئل ، وفي بن : نسل .

(٥) في بن : انتقم .

(٦) في الأصلين : الذنب .

(٧) في بن : اسات .

فانصرا الأمة^٢ واكشف عارها أنت أولى^٣ في الورى من انتصر
واشدد الوطأة في أعدائنا واعطنا فتحا مينا وظفر
واقدر عنا وخذ تاراتنا من عدانا يا عزيز إقدر
وعلى المختار صل^٤ ربنا في أصيل وعشاء وبكر
هـ وعلى الآل الكرام من بهم عزدين الحق حقا وظهر
ما همى وبل ومالت أيكه رشدا ارق على أعلا شجر
قال المؤلف غفر^٥ الله له و^٦ للسلين أجمعين^٧ : ولما اجتمعت بالشيخ
أبي عبدالله محمد بن طاهر الإخيمى أوقفته على هذه المريّة التي عارض
بها أبو عبدالله^٨ محمد النستراوى^٩ مريته المتقدم ذكرها قطب وجهه
١٠ وظهر^{١٠} حرجه^{١١} لمعارضته لمريته التي رثا بها الإسكندرية بسبب نهب
الفرنج لها وسبى بعض أهلها^{١٢} وأنشد لسان^{١٣} حاله يقول :

(١) كذا في بن ، والكلمة في بر : فانتصر . ولا يستقيم بها الوزن .

(٢ - ٣) مطموسة في بن .

(٣) عن بن ، وفي بر : صلى .

(٤) في بن : رحمه .

(٥ - ٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن : هبة .

(٧) في بن : النستراوى .

(٨) في بن : وأظهر .

(٩ - ٩) العبارة ساقطة من بر وواردة في بن .

(١٠) الكلمة ساقطة من بن .

أقول إذا قالوا نراك مقطباً إذا ما ادعى دين الهوى غير أهله
يحقق لدود القز يقتل نفسه إذا جاء بيت العنكبوت بمثله
١ وقد تقدمت^٢ مرثية ابن طاهر التي أولها :

حادث حل أرى الناس العبر فيما قد حال منه يعتبر^٣

٥ [حكايات جرت بالإسكندرية حين الوقعة]

و سأذكر^٤ الحكايات التي قيل إنها جرت بالإسكندرية حين الوقعة
مع ما أضفت^٥ إليها من الأشياء المستطردة^٦ المناسبة لها^٧ إن شاء
الله تعالى^٨.

حكاية تشتمل على ترك حفظ الحريم من العدو اللثيم . حكى أن

الإفرنج الكفرة الطغاة الفجرة لما ظفروا بالإسكندرية ، وفرت أهلها منها^٩ ١٠
هرباً من أبواب البر^{١١} ، صارت الإفرنج^{١٢} تنهب الديار ، وتأسر الأحرار ،

(١-١) هذا الجزء ساقط من بن .

(٢) في الأصل : تقدم .

(٣) في بن : فلنذكر الآن .

(٤) في بن : أضيف .

(٥) في بن : الاستطرادات .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) ساقطة من بن .

(٨) في بن : برها .

(٩) في بن : الفرنج .

فدخل إفرنجي^١ دارا فوجد بها شيخا مسنا^٢ ، و يد الإفرنجي^٣ سيف مجرد^٤ ، فارتاع الشيخ منه و فرع فرعا شديدا ، فقال له الإفرنجي^٣ : أين الذهب ؟ قال : حاضر . قال : احضره . قال : أخاف أن تأخذه مني و تقتلني ، و ليس لك في قتل راحة . قال : أنت^٥ في أمان مني . قال : ه فاحلف لي بالإنجيل و الصليب أنك إذا أخذت مني الذهب تتركني حيا . حلف له^٦ ، فأحضر الشيخ ذهباً كان [٢٣٨ : ب] عنده فقبضه^٧ منه و قال له : امض معي إلى القرقورة لأريك ما عندي فيها و اطلق سبيلك . فقال الشيخ : أعفني من ذلك و لا تستأسرنى بعد أخذ^٨ مالي . قال : لا بد منه و فيه مصلحتك لئلا يقتلك أصحابي^٩ في منزلك ١٠ هذا إذا دخلوا عليك^{١٠} . قال الشيخ : فسرت معه إلى أن حصلت القرقورة ، و إذا بامرأة^{١١} جالسة قد غطت وجهها و هي تبكي و تتأوه

(١) في الأصلين : إفرنجيا .

(٢) ساقطة من برو واردة في بن .

(٣) في بن : الإفرنجي .

(٤-٥) في الأصلين : سيفاً مجرداً .

(٥) في بن : فانت .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) في بن : تقضه .

(٨) في بن : أخذك .

(٩) في بن : أصحابنا .

(١٠) في بن : بامرأة .

فكشف الإفرنجي عن وجهها ، و إذا ^١ هي امرأة حسناء جميلة من
سبايا الإسكندرية . قال فتعجبت من حسنها ، و تأملت لبسائها و حزنها
بسبب أسرها و بعدها عن وطنها ؛ ^٢ فكلمتها فسكتت و لم تجبني عن
وطنها ^٣ و لسان حالها يقول :

لم يبق إلا نَفْسُ خافت ^٤ و مقلة إنسانها باهت ^٥
و مغرم تحرق احشاؤه بالنار إلا انه ساكت

وقال الإفرنجي : يا هذا أكان ^٦ ينبغي لزوج هذه الفرار عنها و يتركها
لغيره و لا يحميها بقتاله أو يقتل فيعذر . قلت : بلى و الله . فقال : امض
إلى بلدك و لم زوجها على فراره عنها ، و قل له أين المروءة و النخوة
و الذب عن ^٧ الحريم ، فاحمي الحريم إلا ^٨ ذو النسب ^٩ الكريم ، و لا يفر ^{١٠}
عنه إلا الذميم اللئيم . قال الشيخ ^{١١} فقلت له : لقد وبخت فأوجعت ،
و ثكلت بما ذكرت ، ^{١٢} و لست أعرف زوجها فأخبره بذلك ^{١٣} و لكني ^{١٤}

(١) في بن : فاذا .

(٢-٣) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في بر : كان . و صحته في بن [١٨٤ : ب] كما أوردنا بالنص .

(٥) عن بن . و في بر : على .

(٦-٧) في بن : ذا الحب .

(٧) كذا في بن ، و هي في بر : لكني .

إذا نزلت من هذه القرقورة قتلني^١ أصحابك النصارى . قال فدفعت لى ريشة وقال : ضعها على جبينك تكفى^٢ شرهم . ففعلت ما قال فسلمت منهم فى طريق ودارى .

حكاية تشتمل على فرج بعد شدة . حكى أن امرأة^٣ حسنة الوجه^٤ ه كثيرة المال تأخرت فى دارها هى ووصفانها^٥ وجواربها^٦ عن الهروب حين الواقعة^٧ بالإسكندرية ، فدخلت الإفرنج إليها^٨ بأيديهم السيوف^٩ المسلولة ، فلما رأتهم نهضت قائمة ، وصارت من الفرع كالمهولة^{١٠} ، فنفزها أحدهم بذبابة سيفه^{١١} نفزة خفيفة ، فصارت منها مجروحة^{١٢} ، وقال لها : أين المال ؟ فازداد رعبها وقالت : المال فى هذه الصناديق التى هى داخل هذا البيت . ١٠ وأشارت إلى بيت بالمجلس^{١٣} التى هى به ، وصارت ترعد من الخوف .

(١) عن بن ، و فى بر : تلتنى .

(٢) فى بن : تكفا .

(٣-٣) فى بن : بحيلة .

(٤) سباطة من بن .

(٥) فى بر : وجوارها . وهى كما أوردنا فى بن .

(٦) فى بن : ظفروا الإفرنج .

(٧-٧) فى بن : بالسيوف .

(٨) فى بن : كالمهولة .

(٩) فى بن : السيف .

(١٠) فى بن : مرجوفة .

(١١) فى بن : فى المجلس .

فقال 'أحدهم لها': لا تخافى ولا تفرعى فأنت تكونى عندى، وفى^١
مالى وخيرى ترتعى. ففهمت عنه أنه أحبها ويريدها^٢ لنفسه، فالت
إليه وقالت له 'بكلام خفى': أريد^٣ أن^٤ أدخل بيت^٥ الخلاء،
^٦ ورقت له القول^٦ ففهم عنها أنها أرادت^٧، وأنها حصل لها من الرعب
ما احتاجت معه إلى ذلك. فأشار إليها أن تمضى لقضاء^٨، [٢٣٩: الف] ٥
حاجتها. فمضت واشتغلوا بنهب الصناديق، فخرجت المرأة من باب
دارها، ودخلت مخزنا غلسا ملؤوا تبنا بزقاق دارها، فحفرت فى التبن
حفرة واندفنت^٩ بها، فطلبته الإفرنج^{١٠} بعد نهبهم لدارها فلم يجدوها^{١١}
فاشتغلوا^{١٢} بحمل النهب ومضوا، فسلمت المرأة من الأسر^{١٣} بحيلتها تلك^{١٤}.

(١-١) فى بن: لها كبيرهم.

(٢) فى بن: فى.

(٣) ساقطة من بن.

(٤-٤) ساقطة من بن.

(٥) فى بن: لى أريد.

(٦-٦) ساقطة من برو واردة فى بن.

(٧) فى بن: أحبته.

(٨) فى بن: إلى قضاء.

(٩) فى بن: فاندفنت.

(١٠) فى بن: الإفرنج.

(١١) فى الأصليين: فلم يجدونها.

(١٢) فى بن: واشتغلوا.

و كذلك وصفانها^١ و جواربها سلموا منهم بصعودهم سطح الدار .
 فقالت المرأة عند ذلك : سلامة الدين^٢ و العرض^٣ خير من المال
 الذى لم يدخر عند ذوى المروءات الا لغرض مثل هذا ، لأن الفقر
 خير من الأسر ،^٤ و الافتتان بتغيير^٥ الدين بالقهر ، و ان كان فى الأسر
 ه الغنى^٦ بسبب^٧ الحسن . فرضيت هذه المرأة بسلامة دينها و صيانة
 عرضها ، و لا تكون^٨ بعد الديانة عند كافر فى حانه و لسان حالها
 ٨ ينشد و يقول^٩ :

إنى لحر المال ممتهن و لحر عرضى غير ممتهن
 ٩ ثم قال لسان حالها أيضا :

١٠ إن الغنى هو الغنى بنفسه و لو انه عارى المناكب حافى
 و سلامة الدين القويم من الأذى خير من الكفر السقيم الجافى
 ما كل ما فوق البسيطة كافيا فاذا قنعت فكل شيء كافى^١

(١) ساقطة من بن .

(٢) ساقطة من بن و واردة فى بن .

(٣) فى بن : العرض ، بدون واو العطف .

(٤-٤) فى بن : و الاكراه على تغيير .

(٥) فى الأصاين : الغنا .

(٦) فى بن : لأجل .

(٧) كذا فى بن ، و هى فى بن : تكن .

(٨-٨) فى بن : يقول .

(٩-٩) هذا القسم بأكمله ساقط من بن .

ثم إنها^١ رفعت قصتها^٢ إلى عالم^٣ سريرتها ، و لسان حالها يقول :
 الصبر يعقب راحة و الغم يعقبه الجزع
 إصبر و إلا فاصطبر فالصبر أنفع ما نفع
 كم من مضيق^٤ معسر بالصبر وسع فاتسع
 و الصبر عدة كل ذي عقل إذا وقع الفزع
 كم عاد بالصبر امرء عند الشدائد فاندفع
 الصبر زين للفقى و يشينه ذل الطمع
 ثم إنها قنعت بالفقر بعد الغنى^٥ و قالت : إن الدنيا عاقبتها للفناء .
 و لسان حالها يقول :

هل عاينت عينك من حامل شيئا من الدنيا إلى قبره
 سوى الذي لا بد له من كفن يكسى^٦ إلى حشره^٧

(١) ساقطة من بن .

(٢-٣) في بن : لعالم .

(٣) في بن : ضيق .

(٤) في الأصول : الفناء .

(٥) ساقطة من بن و واردة في بن .

(٦) في بن : يسلى .

(٧) زيد هنا في بن : قال الأصمعي : ذم أعرابي رجلا بخيلا فقال أفسد آخرته
 بصلاح دنياه ، ففرق لما عمر غير راجع إليه ، و قدم على ما أخرب غير منتقل
 عنه ، و أن مال البخيل أبصر (!) تحت خاتمه ، و ليس يطلق إلا يوم ما
 (الكلمة الأخيرة مطموسة و العبارة فيها خيل فأثرنا تركها بالحاشية) .

حكاية يعقبها أخبار و مواظ و غير ذلك . حكى بعضهم قال :
 كنت محتفياً^١ حين ظفر الإفرنج بالإسكندرية بمكان^٢ أنظر من كوة
 صغيرة^٣ إلى الشارع ، وإذا بأربعة من الإفرنج^٤ فيهم^٥ علب محتشم ،
 " فدخل الثلاثة " [٢٣٩ : ب] إلى دار و تأخر ذلك العلب خارجها ،
 ه ثم خرجوا منها ومعهم شاب حسن الوجه على رأسه طاقة و امرأة
 مغرية جسيمة جميلة الصورة كاملة الحسن على رأسها كوفية مذهبة
 وعليها قيص شرب^٦ و شعرها مسدول على كتفها ، فأتوا بهما^٧ إلى
 كبيرهم ، فأمر بضرب عنق الشاب ، فضرب بسرعة^٨ ، ف وقعت جثته
 على الأرض ، فاختلج و مد ذراعه عند خروج روحه ، فلما رآته زوجته
 ١٠ قتيلة جزعت عليه^٩ جزعا شديدا^{١٠} ، و لسان حالها يقول :

سألت فؤادى الصبر عنك فقال لى إليك فان الصبر من غير عادتى

- (١) كذا فى بن [١٨٥ : الف] ، و الكلمة فى بر : مخفيا .
 (٢-٢) كذا فى بن . و العبارة فى بر : اصغر من طاقة صغيرة . (و العبارة
 ناقصة) .
 (٣) فى بن : الفرنج .
 (٤) فى بن : احد .
 (٥-٥) فى بر : فدخلت الثلاثة ، و فى بن : فدخل ثلاثة .
 (٦) الشرب نسيج رقيق من الكتان .
 (٧) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : بها .
 (٨) فى بن : سريعا .
 (٩-٩) ساقطة من بن .

وانكبت على رأسه المقطوعة^١ تقبله ولسان حالها يقول:
 'فوا أسفا ما أمرّ الفراق وأعلق نيرانه بالكبود
 فقال لهم كبيرهم: آمضوا بها إلى القرقورة . فقالوا لها ذلك فامتنعت
 من المضى معهم . فقالوا: نقتلك كما قتلنا صاحبك . قالت: الموت بعد
 فراق الحبيب أحسن من الحياة التي بعده لا تطيب . ولسان حالها يقول^٢: هـ
 مالى سوى روحى وباذل روحه فى حب من يهواه ليس بمسرف
 فأنا القاتل بحب من أحببته إن الملام عن الهوى مستوقف
 ثم إنهم حاولوها^٣ على أن تمضى معهم ، وهى 'تمتنع وتلتقط' الحجارة
 من الأرض وترميهم بها ، فغلبوا فى أمرها ، فتقدم إليها أحدهم ، ضربها
 بسيفه على عاتقها ، خرط السيف إلى بطنها ، 'فبرزت حشوتها' وسقطت^٤ ١٠
 المرأة إلى الأرض ، فوقع معصمها على ذراع زوجها الممتد . ومضت
 الإفرنج وتركوها بعد نهب^٥ ما كان بدارهما ، فماتا شهداء ، 'رحمة الله
 عليهما'^٦ .

(١) فى بن: المقطوع .

(٢ - ٣) هذا الجزء ساقط من بن .

(٣) فى بن: حاوروها .

(٤ - ٥) فى بن: فبرز حشوها .

(٥) الكلمة ساقطة من بن .

(٦ - ٦) فى بن: رحمهما الله تعالى .

[فضل الشهادة والشهداء]

قال المؤلف 'غفر الله له و لوالديه و للآقرين اليه و لجميع المسلمين آمين : و سأذكر' ما قيل في الشهداء و فضل الشهادة إن شاء الله تعالى .
 قال ابن رشد : الشهداء سبعة عشر و هم المقتول في سبيل الله ، و من قتل دون ماله ، و من قتل دون أهله ، و من قتل دون دينه ، و الغرق ، و الحرق ، و المجنون ، و الهديم ، 'و ذات الجع - قيل إنها ذات الحمل ، و قيل هي البكر' ، و المقتول ظلماً ، و أكيل السبع ، و الميت في سبيل الله و من مات مبطوناً فهو^٢ شهيد ،^١ و المطعون شهيد^٣ و المريض شهيد ،^٤ و الغريب شهيد^٥ ، و صاحب النظرة شهيد ، و الملسوع شهيد .

١٠ عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 فناء أمتي بالطعن و الطاعون . [٢٤٠ : الف] فقلت : هذا الطعن ، فاهو^٦ الطاعون ؟ قال : غدة كغدة البعير ، و الفار^٧ منه كالفار من الزحف .
 فأما الذي يقتل دون ماله ، ففي الحديث كان سعد بن أبي وقاص و عبد الرحمن ابن عوف يخبران أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قاتل دون

(١ - ١) في بن : رحمه الله تعالى ، و إذ قد ذكرت الشهداء فساذكر .

(٢ - ٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : فهذا .

(٤ - ٤) وردتا بآخر القائمة في بن .

(٥) الكلمة ساقطة من بر .

(٦) في بن : الفار .

ماله حتى قتل فهو شهيد . فهذا الرجل الذي قتله ' الإفرنج ' المتقدم ذكر
ضربهم ٣ عنقه ، حصل له ثلاث شهادات ، لأنه قتل دون ماله ، ودون
أهله ، ودون دينه . وزوجته أيضا ماتت شهيدة لأنها ' قاتلت و قتلت ' ^١
و أبانت عن مروءة لعدم تسليمها نفسها للاسر خوفا من أن تصير في
الرق و يطأها كافر فتحمل بكافر ، و تفتن في ' دينها بالضرب و الأذى ' ^٥
حتى تدخل في دين الكفر ، فماتت مسلمة مؤمنة ' طاهرة حريصة على
' دينها و طلبها ' الشهادة يرميها الكفار ، ' بسم الحجار ' ، إلى أن قتلت
مقبلة غير مدبرة ، فصارت شهيدة مع زوجها الشهيد في الجنة أحياء
عند ربهم يرزقون . فكما ' كانا مجتمعين ' في الدنيا ، صاروا مجتمعين ' ^{١٠}
بجنة المأوى .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سألنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن أرواح الشهداء فقال : جعلت ' في أجواف طير خضر

(١) في الأصلين : قتله .

(٢) في بن : الإفرنج .

(٣) في بن : ضرب .

(٤ - ٤) في بن : قتلت بعد أن قاتلت .

(٥) في بن : عن .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧ - ٧) كذا في بن ، و هي في بر : طلب .

(٨ - ٨) في بن : بجلاميد الأحجار .

(٩) في الأصلين : فلما . - بسقوط شرطة الكاف .

(١٠) كذا في بن ، و في بر : مجتمعان .

تأوى إلى قناديل تحت العرش تسرح في الجنة حيث تشاء، ثم اطلع عليهم ربك اطلاعة . فقال هل تستزيدونني شيئا فأزيدكم ؟ فلما رأوا أنهم لا بد أن يسألوه ، قالوا : ترد أرواحنا إلى أجسادنا فنقتل في سبيلك مرة أخرى .

٥ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على بارق نهر يباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم بكرة وعشيا . فان قيل : لم سمي الشهيد شهيدا ؟ قيل لأن النبي صلى الله عليه وسلم شهد لقتلى^١ أحد المسلمين^٢ بالجنة ، فقال لأنهم شهدوا لطف الله وكرامته . وقيل لأنهم يشهدون الحساب ولا يحاسبون ، وقيل : لأنهم ١٠ يعيشون يوم القيامة^٣ ودمهم شاهدا لهم كما جاء في الحديث : اللون لون الدم ، والريح ريح المسك . والأصل في هذا قوله^٤ صلى الله عليه وسلم^٥ في قتلى أحد : زملوهم في ثيابهم وكلموهم - الحديث^٦ عن كعب الأحبار . قال في كتاب الله المنزل^٧ الذى أنزله^٨ على موسى بن عمران أنه قال : بالإسكندرية شهداء استشهدوا بيطحاتها^٩ هم خير من مضى وخير^{١٠} من

(١) كذا في بن [١٨٥ : ب] ، والكلمة في بر : لقتلا .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في بن : القيمة .

(٤ - ٤) في بن : عليه السلام .

(٥) الكلمة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦ - ٦) ساقطة من بن .

(٧ - ٧) في بن : هم مضى وخير .

بقى فهم الذين يباهى بهم الله شهداء بدر .
 وقيل لمالك بن أنس : هل بلغك أن النبي صلى الله عليه وسلم
 [٢٤٠ : ب] صلى على عمه حمزة وكبر عليه سبعين تكبيرة ؟ قال : لا
 ولا إنه صلى على أحد من الشهداء . واختلف بما ذا لا يصلى على
 الشهيد^١ . فقيل لأن الصلاة^٢ إنما هي شفاعة لمن عليه ذنوب^٣ ، فالشهيد^٥
 مستغن^٣ عن الشفاعة لعلو درجته^٤ ، وكثرة ثوابه . ولهذا قيل إنه
 عليه السلام لم يصل^٦ عليه بعد موته ، وإنما كان الناس يدخلون عليه
 أفواجا فيدعون ويتضرعون . قال ابن وهب : إنما لا يصلى على^٧ الشهيد
 لأنه حي^٨ . قال ابن رشد : وهذا اعتلال ضعيف لأنه يقسم ماله ، وتنكح
 زوجته . وقيل يصلى على الشهداء إذا كان قتلهم في بلاد الإسلام بدخول^{١٠}
 العدو عليهم لانحطاط درجتهم على درجة من يدخل من المسلمين بلاد^٩

(١) عن بن ، وفي بر : فيما ذا .

(٢-٢) مطموسة في بن .

(٣-٣) في بن : والشهداء مستغنون .

(٤) في بن : درجاتهم .

(٥) في بن : ثوابهم .

(٦) كذا في بن ، وهي في بر : يصلى .

(٧-٧) في بن : الشهداء لأنهم أحياء .

(٨) في بن : دار .

(٩) في بن : بلاد .

العدو فيستشهد هناك . وجاء في الخبر : ما غزوا قوم في قطر دارهم إلا ذلوا . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما التقت فئتان قط إلا وبه الله بينهما . فإذا أراد الله أن يهزم إحدى الطائفتين أمال يده عليها . وقيل إذا التقت الفئتان تقول الملائكة : يا ربنا نكون مع من منهما ؟ فيقول : مع أعدلهما .

واختلف لما ذا سمي الشهداء أحياء . فقيل لأنهم يتمتعون ويرزقون كالأحياء . وقيل لأنهم يكتب لهم في كل ليلة ثواب غزوة ويشركون في فضل جهاد المجاهدين إلى يوم القيامة^١ لأنهم^٢ سوا لهم الجهاد ، ودليله قوله تعالى^٣ : ” من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس^٤ أو فساد في الأرض^٥ فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا “ . وقوله عليه السلام^٦ : ” من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة “ ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة^٧ . وقال رسول الله صلى الله

(١) في بن : غزى .

(٢) زيد في بن : تعالى . (٣) في الأصلين : أحد .

(٤) في بن : القيمة .

(٥) في الأصل : لهم . ولا يستقيم بها السياق .

(٦) قرآن كريم ٥ : ٣٢ .

(٧-٧) ساقطة من بر و واردة في بن وهو الأصح .

(٨-٨) ساقطة من بر و واردة في بن : فيكون بذلك الكلام حديثا شريفا .

عليه وسلم : بعث الله جل ثناؤه^١ في آخر كل سبع أمم نبيا ، فمن عصي
 نبيه كان من الضالين ، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين .
 عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله^٢ تعالى^٣ : ” يوم
 ندعوا كل اناس بامامهم^٤ “ قال : يدعى^٥ أحدهم فيعطى^٦ كتابه يمينه ،
 ويمدله في جسمه ستون ذراعا ، يبيض وجهه ، ويجعل على رأسه تاج ه
 من لؤلؤ يتلالا ، فينطلق إلى أصحابه ، فيرونه من بعيد ، فيقولون اللهم
 آتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم ، فيقول : ابشروا لكل رجل
 منكم^٧ مثل من هذا ، قال : وأما الكافر فيسود وجهه ، ويمدله في جسمه
 ستون ذراعا ، فيلبس تاجا فيراه أصحابه فيقولون [٢٤١ : الف] نعوذ بالله
 من شر هذا ، اللهم لا تأتنا بهذا . قال فيأتيهم فيقولون : اللهم أخره . ١٠
 فيقول : أبعدم الله^٨ فان لكل رجل منكم مثل هذا . ذكره الترمذى وقال
 هذا حديث حسن غريب - انتهى .

نعود - قيل إن أرواح الشهداء تركع وتسجد تحت العرش كأرواح

(١) زيد في بن : بعث .

(٢) في بن : قول الله .

(٣) في بن : عز وجل .

(٤) قرآن كريم ١٧ : ٧١ .

(٥) في بن : يدعى .

(٦) في بن : فيعطى .

(٧) كذا في بن ، وهي بهامش بر : منهم .

(٨) ساقطة من بر واردة في بن .

المؤمنين الذين يبيتون على وضوء . وقيل لأن الأرض لا تأكل لحومهم .
 وقيل أربعة لا تأكل الأرض لحومهم^١ : الأنبياء والشهداء والعلماء وحمة
 القرآن . وقيل : سموا أحياء وإن كانت جميع الأرواح حية باقية لتأكيد^٢
 الشهادة كما يقال فلان هو الرجل . ولا يغسل الشهيد ظاهره^٣ . وإن
 ٥ كان جنبا لأن غسل الجنابة من العبادة المتوجهة على الأحياء عند القيام
 إلى الصلاة . فإذا مات الميت^٤ ارتفعت عنه العبادات من الصلاة والغسل
 لها وغير ذلك ، وغسل الميت إنما هو عبادة للأحياء تعبدوا بها ، فهي
 واجبة عليهم على الكفاية بإجماع^٥ . قيل وجوب السنن ، وقيل وجوب
 الفرائض ، وقد جاء بذلك الأثر .

١٠ ذكر^٦ أهل العلم بالسير أن حنظلة^٧ بن أبي عامر الأوسى كان
 قد ألم بزوجه في حين خروجه إلى غزاة أحد ، ثم هجم من الخروج في
 النفير ما أنساه الغسل وأعجله عنه^٨ ، فلما مات شهيدا أخبر النبي صلى الله

(١) بهامش بن : أربعة لا تأكل الأرض لحومهم .

(٢) في بن [١٨٦ : الف] : لتأكيد .

(٣) في بن : طاهر .

(٤) في بن : الشخص .

(٥) في بن : بالإجماع .

(٦) في بن : وذكر .

(٧) مطموسة في بن .

(٨) ساقطة من بن .

عليه وسلم أن الملائكة غسلته . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم
سأل امرأته ما كان شأنه . فقالت يا رسول الله إنه كان جنباً غسلت
إحدى شقي رأسه فلما سمع الهيعة خرج فقتل ، فقال عليه السلام :
لقد رأيت الملائكة تغسله . فسمى حنظلة الغسيل .

و أما غسل غير الشهيد فلا بد منه والصلاة عليه لأنها عبادة للأحياء ه
تعبدوا بها ٣ ، فهما واجبان عليهم على الكفاية بإجماع قيل وجوب السنن
وقيل وجوب الفرائض . وإذا مات أحد من ركب الحجاج بطريق
مكة لزمهم غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه ، فإن تركوه عصوا
كلهم ، فإن لم يجدوا ماء يعموه في وجهه وبديه وكفوه وصلوا
عليه ودفنوه . ١٠

ولما برز عبيدة بن الحارث لعتبة بن ربيعة في يوم بدر ، وكان عبيدة
من حزب النبي صلى الله عليه وسلم ، وعتبة بن ربيعة من حزب المشركين ،

(١) في بن : يرسول .

(٢) في بن : أما .

(٣) في بن : فيها .

(٤) في بن : بالإجماع .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن : الحاج .

فاختلف^١ بينهما ضربتين ، وكر حمزة بن عبد المطلب وعلی بن أبی طالب بأسیافهما علی عتبة فقتلاه ، واحتملا صاحبهما عبيدة ، وجاءا^٢ به إلى رسول الله صلى الله [٢٤١ : ب] علیه وسلم ، فأضجعا^٣ إلى جانب موقف رسول الله^٤ صلى الله علیه وسلم^٥ فأفرشه رسول الله قدمه الشريفه ، فوضع خده علی قدمه وقال : یا رسول الله لو رأی عملك أبو طالب لعلم أنى أحق بقوله فی قصيدته :

ونسله حتى يُصَرَّع حوله ونذهل عن آبائنا^٦ والحلائل
ثم مات رضى الله عنه . فقال رسول الله صلى الله علیه وسلم : أشهد
أنك شهيد^٧ .

١٠ وثبت فی الصحيحین أن حارثة بن سراقة قتل يوم بدر ، وكان فی النظارة أصابه سهم فقتله ، فجاءت أمه إلى رسول الله صلى الله علیه وسلم فقالت : یا رسول الله أخبرنى عن حارثة ، فان كان فی الجنة صبرت

(١) فی بن : واختلف .

(٢) فی بر : وجاءوا ، فی بن : وجاء .

(٣) عن بن ، و فی بر : فأضجعوه .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) فی بن : یرسول .

(٦) فی بن : ابناؤنا .

(٧) فی بن : صحیح .

و إلا فأذن لي ما أصنع . تعني من النياحة ، و كانت لم تحرم بعد . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحك أهبلت أنها جنان ثمانية ، و أن ابنك في الفردوس الأعلى ' .

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بادروا بالأعمال سبعا هل تنتظرون إلا فقرا منسيا ، أو غنى ' مطغيا ، أو مرضا مفسدا ، ٢ أو هرما مفندا ٣ ، أو موتا مجهزا ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى و أمر - انتهى ' .

[في تلقين الميت و غير ذلك مما يتصل بالموت و القبر]

فلنذكر الآن ما قيل في تلقين الميت * و تغميضه و غسله و الصلاة عليه و دفنه * . يستحب أن يلحق الميت الشهادة ١ لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ٢ : من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة . و لا يكثر عليه في ذلك ، فإن قالها مرة ثم تكلم بغيرها أعيد تلقينه ، و إن

(١) في بن : الأعلا .

(٢) كذا في بن . و هي في بر : غناء .

(٣-٢) ساقطة من بن .

(٤) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥-٥) ساقطة من بر و واردة في بن [١٨٦ : الف - ب] باضافة « لما عن النبي

صلى الله عليه وسلم » و الغالب أن صحتها « لما جاء » .

(٦-٦) في بن [١٨٦ : ب] : قال عليه السلام .

لم يتكلم ترك ويغمض بصره إذا قضى لا قبل ذلك ، وتمد رجلاه إن
 أمكن ، وأن تشد لحياه ، هذا قبل أن تبرد أعضاؤه ، ثلاثا يبقى مشوه
 الخلقة . ويستحب أن يقال عند الميت حين يحضره سلام على المرسلين ،
 والحمد لله رب العالمين ، لمثل هذا فليعمل العاملون ، وعد غير مكذوب .
 هـ ولا بأس أن تغمضه الحائض والجنب . ويستحب أن يقال عند إغماضه
 « بسم الله » وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم يسر عليه
 موته ، وأسعده بقلائك ، واجعل ما خرج إليه خيرا مما خرج منه .
 وأن يكثر له الدعاء فان الملائكة يحضرونه ويؤمنون على دعاء الداعي .
 ويستحب أن يقرب منه رائحة طيبة من بخور . ولا بأس أن يقرأ
 ١٠ عند رأسه سورة يس أو غيرها . والذي يتوجه على المسلمين في الميت
 غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه . فأما غسله فليل فرص ، وقيل
 ستة . وفي غسله بماء زمزم قولان : القول بالمنع في كتاب ابن شعبان .
 [٢٤٢ : الف] وأنكره ابن أبي زيد . وروى أنه مخالف لقول مالك
 وأصحابه ، ولا شك أنه ماء مبارك . ومع ذلك فلا يمنع أن يصرف

(١) في بن : باسم .

(٢) كذا في بن . والكلمة في بر : وفاة .

(٣) في بن : عنه .

(٤) مطموسة في بن .

(٥-هـ) في بن : انه .

فيما يصرف فيه أنواع المياه ، إذ المعلوم أن هاجر أم إسماعيل^٢ صلوات الله عليه و سلامه^٣ إنما كانت هي و ابنها و من نزل عليهما^٣ من العرب^٣ لم يكونوا^٤ يستعملون^٥ في كل ما يحتاجونه سواء . و أما تكفينه^٦ فقد قال^٦ النبي صلى الله عليه وسلم : البسوا البياض و كفنوا فيه موتاكم فانها من خير^٧ ثيابكم . و قال عليه السلام : إذا كفن أحدكم أخاه^٥ فليحسن كفيه . و المطلوب^٨ في الكفن^٨ الستر مع حصول الوتر ، فان اضطر إلى أحدهما لوقوع التعارض في بعض الصور ، قدم الستر على الوتر ، لأن جنس الستر من باب الواجبات ، و الوتر من باب الفضائل ، و لأجل ذلك قدم الإثتان على الواحد ، و إنما يحصل معه^٩ الإجزاء خاصة ، و قدمت الثلاثة على الأربعة لحصول الستر و الوتر^{١٠} جميعا في الثلاثة . و فقدان الوتر في الأربعة . و الواجب من الكفن

(١) في بن : اسمعيل .

(٢-٣) في بن : عليه السلام .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) كذا في بن ، و في بر : لم يكن غيره لم .

(٥) في الأصلين : يستعملوا .

(٦-٦) في بن : فقال .

(٧) في بن : نفس .

(٨-٨) في بن : من ذلك .

(٩) ساقطة من بن .

ما يستر 'عورته' ، أى الميت ' ، وما زاد عليه فهو سنة . و الصلاة عليه فرض على الكفاية ، إذا قام به البعض سقط عن الباقي ، وقيل سنة وتجب بأربع صفات فى الميت : ثبات الحياة له قبل ، والإسلام ، ووجود الجسد 'أو أكثر' ، وكون الميت غير قتل فى معترك بين المسلمين ه والكفار . ولا يصلى ٣ على (من) لم يظهر له ٣ صراخ أو ما يتحقق به حياته ، ولا على كافر ، ولا على شهيد فى المعترك . ولا يغسلون ولا يحنطون ولا يكفنون تكفين الموتى ، بل يدفن الشهيد فى ثيابه إلا أن يكون عربا فيلف فى ثوب . وكذلك يفعل بالقتل والكافر إن اضطر المسلمون إلى دفنه .

١٠ وفى الصلاة على الميت قيراط من الأجر . وقيراط فى حضور دفنه ، والقيراط مثل جبل أحد ثوابا ، واختلف لأى شئ مثل القيراط بجبل أحد عن سائر الجبال ، فقليل^٧ : لأنه أكبر الجبال وهو (١-١) فى بن : عورة الميت .

(٢-٢) فى بن : وأكثره . والصواب فى بن .

(٣-٣) فى بن : على سقط لم له . ولفظة «من» لا وجود لها بالأصل وهى لازمة لانسجام العبارة .

(٤) فى بن : بالسقط .

(هـ) مطموسة فى بن .

(٦) كذا فى بن ، والكلمة فى بن : ولأى .

(٧) فى بن : قبل .

جبل بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل مثل لهم بما يعرفون ،
وقيل لأنه متصل بالأرضين السبع . ويكون لأحد معنيان : أحدهما ١
أنه لو كان هذا الجبل من ذهب وفضة و تصدق به لكان ثواب مثل
هذا القيراط ، وقيل لو أخذ هذا الجبل وجعل ٢ في كفة وجعل هذا
القيراط في كفة لكان يساويه ٣ . ولا يصلى على غائب أو غريق أو أكيل ٥
سبع ونحوه إلا أن يوجد أكثر الجسد ٢ ، وأما دفعه فقرض . قال مالك
في الصلاة على [٢٤٢ : ب] الطفل : يسأل له الجنة ويستعاذ له من النار .
قال اللخمي : وقد قيل لا يعذب لقول الله عز وجل ” وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا “ - ولا نعذب إلا من خالف وعصى بعد توجه
الخطاب . وإن كان ذلك لم يستعذ له من النار ، والذي عليه جمهور ١٠
أهل السنة إن الله تعالى له أن يعذب من يشاء من خلقه ابتداء وإن
لم يتوجه عليه تكليف ، يدل عليه ما جاء في الحديث من أن يقتص للشاة
الجماء من الشاة القرناء ، ومعلوم أن الشاة لم يتوجه عليها تكليف وإن كان
قد قيل في الحياة إنما هو مجاز وعبرة عن المبالغة في العدل . وسيأتي
في ترجمه القضاة لمع من أخبار أطفال المسلمين و أطفال المشركين ١٥
” إن شاء الله تعالى “ .

(١) - انقطة من بن . (٢) في بن : ووضع .

(٣-٣) العبارة بأكلها ساقطة من بن .

(٤) قرآن كريم ١٧ : ١٥ .

(٥-٥) - انقطة من بن .

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لطم الحدود ، وشق الجيوب
 وضرب الصدور ، والدعاء بالويل والثبور . وفي الحديث : لعنت
 النائحة والسامعة والشاقة جيها واللاطمة وجهها ، ولا ينشرون شعرا ،
 ولا يدعين ويلا . قال ابن حبيب : وقد أبيض البكاء قبل الموت وبعده
 ٥ ما لم يرفع به الصوت ، أو يكون معه كلام يكره ، أو باجتماع من النساء ،
 وبكى النبي صلى الله عليه وسلم لإبراهيم ولده يهود بنفسه ، فقبل ٣ له
 في ذلك فقال : تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسنخ
 الرب ، يا إبراهيم لو لا أنه أمر حق . وبعد صدق ، وقضاء مقضى ،
 وسيل مأتى ، وإن الآخر لاحق بالآول لحزنا عليك ، ووجدنا بك
 ١٠ أشد من حزنا هذا . وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون . ثم استرجع النبي
 عليه السلام ٦ وأكثر من حمد الله تعالى . ومر النبي صلى الله عليه وسلم
 بمحاضرة يبكي عليها من غير نياحة فاتهرمن عمر فقال عليه السلام : دعهن
 يا ابن الخطاب فإن العين دامة ، والنفس مصابة ، والعهد قريب . وفي

(١) في بن : الموت .

(٢) في بن : وبكا .

(٣) في بن : وقيل .

(٤-٤) مطموسة في بن .

(٥) في بن : ووجدناك .

(٦-٦) في بن : صلى الله عليه وسلم .

الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بـيتم يبكي فبكى^١ رحمه له
ثم قال: إن^٢ الميت يعذب ببكاء الحي. أى إن ذلك يحزنه ويسوءه،
فكم من ميت رأت في المنام، فقيل له: كيف حالك؟ فيقول: سوء
حالتي من فلان وفلانة كأننا يكثران على^٣ البكاء. وقال عليه السلام^٤:
إن الميت ليعذب ببكاء الحي عليه. قال الشيخ أبو عمران الجوراني: إنما هـ
ذلك إذا أوصاهم وقال لهم: تفعلون ذلك بعد موتى. وأما إن^٥ لم يوصهم
فلا لقوله تعالى: "ولا تزر وازرة وزر أخرى".

فلنذكر الآن ما قيل في تخصيص القبور وبنائها. وكره مالك^٦
رحمه الله^٧ تخصيص القبور [٢٤٣: تف] والبناء عليها. وإنما كره
ذلك لنهى^٨ النبي عليه السلام^٩ عن تخصيص القبور، ولأن ذلك من ١٠
زينة الدنيا وتفاخرها، والميت غير محتاج إلى ذلك. قال الشاعر:
وما ينفع المقبور عمران قبره
إذا كان فيه جسمه يتهدم

(١) في بن: فبكاء.

(٢) ساقطة من بن.

(٣-٢) في بن: النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) في بن: إذا.

(٥) وردت في عدة آيات بالمصحف منها ٦: ١٦٤ و ١٥: ١٧ و ٣٥: ١٨ و ٣٩:

٧ و ٥٣: ٣٨.

(٦-٦) في بن: رضى الله تعالى عنه.

عن عائشة رضى الله عنها ، قالت ١ : توفيت امرأة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منها ويمازحونها ، فقلت : استراحت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن بين أيديكم عقبة كؤودا ٢ لا ينجو فيها إلا مخف . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الناس أربعة و الأعمال ستة : موجبات ٣ ، ومثل بمثل ٤ وعشرة أضعاف وسبعائة ضعف .

موجبات ٥ من مات كافرا . وجبت له النار . ومن مات مسلما ، وجبت له الجنة ، ومثل بمثل العبد يهم بالحسنة فتكتب له حسنة ، والعبد يهم بالسيئة ٦ فلا يجزى ٧ إلا بمثلها . والعبد يعمل الحسنة فتكتب له عشرا ، والعبد ينفق النفقة في سبيل الله فتضاعف له مائة ضعف . والناس أربعة : موسع عليه في الدنيا ، موسع عليه في الآخرة ، وموسع عليه في الدنيا مقتور ٨ عليه في الآخرة ، وشقي في الدنيا شقي في الآخرة ، وسعيد

(١) ساقطة من بر وواردة في بن .

(٢) في الأصلين : كودا .

(٣) في بن : ينجوا .

(٤) زيد في بن : كل .

(٥-٥) في بن : النبي .

(٦) في بن : موجبتان . والكلمة مطموسة جزئيا .

(٧-٧) ساقطة من بن .

(٨-٨) في بن : يعمل السيئة .

(٩) في بن : يجازى .

(١٠) في بن : مقتر .

في الدنيا سعيد في الآخرة . قال الشاعر :

أربعة في الناس أبصرتهم أحوالهم بينة ظاهره
فواحد دنياه منقوصة من خلفه آخرة وافر
وآخر دنياه قدامه ليس له من خلفه آخرة
وآخر فاز بكليهما صحت له الدنيا مع الآخرة
وآخر يبكي على حاله ليس له دنيا ولا آخرة^٥

ولا بأس أن يوضع في طرف القبر الحجر الواحد لئلا يحفر^٢
موضعه . ولا بأس بالمشي على القبر إذا عفا أثره . فاما و هو مسنم
والطريق حوله فلا أحب ذلك لأن في ذلك تكسير تسنيمه وإباحته
طريقا . وقال ابن حبيب : ولا بأس بزيارة القبور والجلوس عليها^{١٠}
والسلام عليها^٣ عند المرور وقد فعل ذلك النبي عليه السلام وكان يقول :
السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، يرحم الله المستقدمين
والمستأخرين ، وإنا بكم لاحقون ، اللهم ارزقنا اجرهم ، ولا تفتنا بعدهم
واغفر لنا ولهم . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بزيارة القبور
فقال عليه السلام : زوروا القبور فانها تذكر [٢٤٣ : ب] الآخرة .^{١٥}
عن جابر بن عبد الله^٤ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١-١) البيت ساقط من بن .

(٢) في بن : يحفر .

(٣-٣) زيدت من بن [١٨٧ : ب] وهي ساقطة من بر .

(٤) في هامش بر : نكتة .

تحدثوا عن بني إسرائيل فانه كانت فيهم أعاجيب . ثم أنشأ يحدث^١
قال : خرجت طائفة منهم ، فأتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا
ركعتين ودعونا الله^٢ يخرج لنا بعض الاموات يخبرنا عن الموت ، قال
ففعّلوا ، فينهما هم كذلك إذ اطلع رجل رأسه من قبر بين عينيه أثر
السجود ، فقال يا هؤلاء ، ما أردتم إلى^٣ فوالله لقد مت منذ مائة سنة
فما سكنت عني^٤ حرارة الموت حتى الآن ، فادعوا^٥ الله أن يعيدني كما
كنت - انتهى^٦ .

قال بعضهم : رأيت على قبر حجرا^١ فيه منقوش^٢ :

أصبحت بقر حفرة مرتهنا لا أملك من دنياي إلا كفنا

١٠ يا من وسعت عباده رحمته من بعض عبادك المسيئين أنا

وقال^٣ بعضهم رأيت أياتا منقوشة على حجر بقر ملك و هي :

(١) في بن : يحدثوا .

(٢) زيد في بن : تعالى .

(٣-٣) مطموسة في بن .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : فادع .

(٦) كذا في بن ، والكلمة في بر : حجر .

(٧) في بن : منقوشا .

(٨) في بن : قال .

- أنا رهن التراب في القبر وحدي واضعاً فوق لبنة الطين خدي
قد بدا الدود في محاسن وجهي ورعى^١ في يدي وكفى وزندي
وجرى ناظري على صحن خدي وجفائي الصديق من بعد ودي
فأنا اليوم في التراب ذليل بعد عز وجمع شمل و جندی^٢
عجب^٣ للذي يرى سوء حالي كيف يلهو وكيف يلتذ بعدى^٥
ورئي^٤ على قبره حجر منقوش فيه : اللهم إني جئت بك إليك ،
ولا شيء^٦ أعز منك عليك^٦ ، اللهم كما كنت دليلي عليك ، فكن
شفيعي إليك ، اللهم إن حسناتي من عطائك^٧ ، وإن سيئاتي من قضائك
فجد بما أعطيت علي ما به قضيت حتى تمحو^٨ ذلك بذلك يا أرحم
الراحمين .

١٠

وقد جاء في تعزية المصاب ثواب كثير . روى أن^٩ النبي صلى الله

(١) في بن : ورعى .

(٢) في بن : وجند .

(٣) في بن : عجبي .

(٤) في بر : رعى . وفي بن : روى .

(٥) ساقطة من بر واردة في بن .

(٦-٦) كذا في بن ، والعبارة في بر : أعرضك عليك .

(٧) في بن : عطاك .

(٨) في الأصلين : تمح .

(٩) في بن : عن .

عليه وسلم ، كان إذا عزي يقول : بارك الله لك في الباقي ، وآجرك في الفاني . وعزي عليه السلام امرأة في ابنها فقال : إن الله ما أخذ وله ما أعطى ، ولكل أجل مسمى ، وكل إليه راجعون ، فاحتسبي واصبري فإن الصبر عند الصدمة الأولى^٢ ، فن بان صبره على عظم ه بلواه تضاعف أجره .

و كان ابن سيرين يقول : أعظم الله أجرك ، وحسن عاقبتك ، وغفر لميتك . واحسن التعزية ما جاء في الحديث : آجركم الله في مصيبتكم ، وأعقبكم منها خيرا ، إن الله وإنا إليه راجعون . ومن نزلت به مصيبة فقال : إن الله وإنا إليه راجعون ، اللهم آجرني في مصيبتى ، ١٠ واعقبني خيرا منها ، واغفر لي سيئها [٢٤٤ : الف] وما كان من توابعها ، وما اتصل بها ، وما هو محشور فيها ، وكل شيء كان قبلها وما كان بعدها ، قال بعض الصالحين : فقلتها فهانت على تلك المصيبة فلو أن الدنيا كلها كانت لي في ذلك الوقت وأصبت فيها لهانت عليّ

(١) زيد بن : أنه .

(٢) زيد بن : قال عمارة اليمنى هي الصلوة الأولى .

(٣) في بن : محشور .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : يكون .

و لكان ما وجدت من برد الرضى^١ و التسليم أحب الى من ذلك الكتاب^٢
كله^٣ . و لبعضهم فى المعنى^٤ :

إذا نزلت بساحتك المنايا^٥ فلا تجزع لها جزع الصبي
فإن لكل حادثة عزاء بما قد كان من فقد البنى

و قال أبو الحسن الشاذلى : كل مصيبة يرجى ثوابها ، و لا يخاف^٦ ه
عقابها .^٧ و قال أيضا : من قال على مصيبة نزلت به اللهم أجرنى فى
مصيبتى ، و أعقبى خيرا منها . قال : فألق^٨ على و اغفر لى سيئها ، و ما
كان من توابعها ، و ما اتصل بها ، و ما هو محشو فيها ، و كل شيء
كان قبلها ، و ما يكون بعدها . فقلتها فهانت على ، فلو أن الدنيا كانت
لى فى ذلك [الوقت -^٩] و أصبت فيها لهانت على ، و لكان ما وجدت ١٠
من برد الرضى و التسليم أحب إلى من ذلك كله .

^٩ قال بعضهم كنا فى جنازة عبد الله بن الحارث ، فاذا امرأة تقول

(١) فى بن . الرضا .

(٢) كذا فى الأصلين : وقد تكون كلمة « الكتاب » زائدة .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) مطموسة فى بن [١٨٨ : الف] .

(٥) فى بن : الرزايا .

(٦) العبارة من هنا إلى « قال بعضهم كنا فى جنازة » ساقطة من بن .

(٧) فى الأصل : فالتى .

(٨) الكلمة غير موجودة بالأصل ، و تكتمل بها الجملة و المعنى .

(٩) يستأنف هنا الكلام فى بن [١٨٨ : الف] كما هو فى بر .

يا حراً عليك ، و يا شوقاً إليك . فسألت عنها ، فقيـل إن ابنها مات .
فقلت : يا أم عبد الله إن عبد الله كان بعض البشر . قالت : بل كان ظهراً
فأنكسر ، و جاراً حراً ينتظر ، و إن في ثواب الله لعزاء على القليل ، و عوضاً
من الجليل . قال : فما ذكرنا حسن التعزى ، إلا خطر ببالنا قولها .

٥ و عزى بعضهم آخر فقال : المصيبة ' في غيرك لك ثوابها ، خير
من مصيبة فيك لغيرك أجراها . و عزى بعضهم فقال : سرك ولدك حياً
و هو عدو و فقة ، ثم أحزنك و هو صلة و رحمة . و قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : إذا مات ولد العبد قال الله عز و جل للملائكة :
قبضتم ولد عبدي ، فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ، فيقولون :
نعم ، فيقول : فماذا قال عبدي ، فيقولون : حمدك و استرجع ، فيقول : ابنوا
له بيتاً في الجنة و سموه بيت الحمد . ذكره الترمذى ، ٣ و قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : ما يصيب المسلم من نصب و لا وصب و لا هم
و لا حزن و لا أذى و لا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من
خطاياها ، ذكره مسلم .

١٥ و من بلغه موت أخيه المسلم فترحم عليه و استغفر له ، كتب له
كأنه شهد جنازته و صلى عليه . و روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال : [٢٤٤ : ب] مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ،
ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ ، أو قريب ، و إنه ليدخل على قلوب

(١) في بن : لمصيبة .

(٢) في الأصلين : فيقول .

(٣) بهامش بر : الصبر على المصيبة .

(٤) في بن : و أخ .

الأموات من دعاء الأحياء مثل الجبال . وقال بعض السلف : الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء فيدخل الملك على الميت معه ، طبق من نور عليه منديل ، فيقول هذه هدية لك من أخيك فلان ، من عند قريبك فلان ، فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية .

و ذكر أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الميت في قبره كالغريق ينتظر دعوة من ابنه أو صديقه ، فإذا لحقته كان أحب له من الدنيا وما فيها ، وإن الميت كالحى فيما يعطاه ويهدى إليه ، بل الميت أكثر وأكثر ، لأن الحى قد يستقل ما يهدى إليه ، ويستحقر ما يتحف به ، والميت لا يستحقر شيئاً من ذلك ولو كان مقدار جناح بعوضة أو وزن مثقال الذرة لا ؛ يعلم قيمته ، وقد كان ١٠ يقدر عليه فضيعة . وما يدل على صحة ما يهدى الحى للميت . قوله عليه السلام : إذا مات المرء انقطع عمله^١ إلا من ثلاثة^٢ : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ؛ فهذا دعاء الولد يصل والده ينتفع به ، وما ذلك إلا أن يكون الدعاء لهم^٣ . والسلام

(١) كذا فى بن ، وهى فى بر : وعليه .

(٢) فى بن : هذا .

(٣) فى بن : لجناح .

(٤) فى بن : لأنه .

(٥-٥) فى بن : يحى .

(٦-٦) فى بن : صلى الله عليه وسلم .

(٧) فى بن : عليه .

(٨) فى بن : ثلثة .

(٩) ساقطة من بن .

عليهم ، يصل إليهم^١ و يأتيهم - والله أعلم .

وما يدعى^٢ به لأهل القبور أن يقول : أمن الله روحكم ، آنس الله وحشتكم ، رحم الله غربتكم ، قبل الله حسناكم ، تجاوز الله عن سيئاتكم .
^٣ قال عتبة بن هارون : كنت مع فضل الرقاشي فربقبر فقال : يا أهل القبور الموحشة ، والمحال الوعرة ، التي نطق بالخراب فناؤها ، وشيد في التراب بناؤها ، فحلها مقرب ، وساكنها مقرب ، أهل منازل متشاغلين لا يتواصلون تواصل الإخوان ، ولا يتزاورون تزاور الحيران ، قد طننتم بكلكلها البلاد وأكلهم الجندل والثرى^٤ . والحذر الحذر من شتم الحي الميت . قال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا شتم الحي الميت فكأنما قتل سبعين^٥ نيا ، وكأنما قتل أمه وأباه ، وكتب الله عليه بكل نجم في السماء ستين خطيئة ، أصغرها كن قتل مؤمنا متعمدا ، ويضيق عليه قبره ، ويفتح عليه من قبره بابا من العذاب ، ولا يستجاب له دعاء ، ويعاقب في الأرض . كما يعاقب شاهد الزور ومدمن الخمر ، ويلعنه كل ملك بين السماء والأرض ، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من النار فان تاب تاب الله عليه .

(١) ساقطة من بن .

(٢) في بن : يدعى .

(٣-٢) هذه العبارة ساقطة من برو واردة في بن [١٨٨ : الف - ب] وبها بعض غموض وقد نقلناها كما هي في الأصل .

(٤) في بن [١٨٨ : ب] : ستين .

(٥) في بن : الآخرة .

و قال أبو هريرة قال ' رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رفع الله عذاب أهل القبور خربت قبورهم ، فإذا رأيتوها خرابا ، فاعلموا أن الله قد غفر لأصحابها ، فاستغفروا ربكم وأسألوه أن يرحمكم . و قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن في الجنة موضعا يقال [٢٤٥ : الف] له سوق المؤمنين ، ليس فيه شراء ولا بيع ، ولكن يجتمع إليه المؤمنون ٥ كل جمعة . يتحدثون بما كانوا يعملون في الدنيا ، ثم ينادى مناد ٢ من تحت العرش : هلموا يا أمة محمد إلى زيارة الرحمن ، قال فيركب كل واحد منهم على ناقه قوائمها من الزعفران ، وساقها من العنبر ، وبدنها من المسك ، وغنقها من كافور أبيض ، ورأسها من در ، وعيناها ياقوتتان حمراوتان ، و سرجها من نور ، وفوق السرج قبة مضروبة من سندس أخضر ، ١٠ يزورون الرب كل جمعة مرة كزيارتكم إلى المسجد الجامع . وفي الموطأ أن سعيد بن المسيب كان يقول : إن الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده ، وقال ٢ يده نحو السماء يرفعهما (كذا) . وذكر أبو داود من حديث بريدة بن خصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن زيارتها تذكرة . وفي الحديث من زارني ميتا ، فكأنما ١٥ زارني حيا . وفي الحديث : اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم أعدوا قبور أنبيائهم مساجد .

(١) مكررة في بن .

(٢) في بن : منادى .

(٣) كذا في الأصلين ، و الغالب أن الكلمة « وأشار » .

(٤) في هامش بر : زيارة القبور .

عن عائشة رضی الله عنها ، قالت لما اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم ذكر بعض نسائه كنيسة رأتها بالحبشة يقال لها مارية وكانت أم سلمة وأم حبيبة أتيا أرض الحبشة في الهجرة الأولى مع من هاجر إليها فذكرنا من حسنهما وتصاويرهما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أولئك الذين إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله . قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه : لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . قالت : ولو لا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا . قال الشيخ محي الدين النووي : لا يجوز الطواف بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكره إلصاق البطن والظهر بجدار القبر ؛ قاله الحليمي . وغيره وقال : ويكره مسحه باليد وتقبيله ، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضره في حياته صلى الله عليه وسلم ، هذا هو الصواب وأطبقوا عليه . قلت قال مالك في رواية ابن وهب : إذا سلم أحد على النبي صلى الله عليه وسلم يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويسلم ويسلم ولا يمس القبر . قال بعض المتأخرين : لمس القبر وتقبيله من فعل اليهود والنصارى . يروى من حديث عائشة أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم . وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى المقابر قال : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين

(١-١) هذا الجزء بأكمله ساقط من بر و وارد في بن [١٨٨ : ب] .

المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أتمم لنا فرطاً ونحن لكم تبع ، أسأل الله العافية لى ولكم . وكان عليه السلام يعلمهم مثل هذا أن يقولوه إذا دخلوا المقابر . وهذا يدل على أن الميت يعرف سلام من يسلم عليه ، ودعاء من دعا له . وقد أجمع المسلمون على الدعاء والصدقة يصل ثوابها للميت : فسيل الابن البار بوالديه ، ٥ العارف بما لها عليه من الحقوق ، أنه لا يخليها من الدعاء .

١ روى فى بعض الاخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : أهدوا إلى موتاكم رحمكم الله . قالوا : وما نهدي يا رسول الله ؟ قال : الصدقة والدعاء . ثم قال صلى الله عليه وسلم : إن أرواح المؤمنين ترقى كل ليلة جمعة إلى السماء الدنيا ، فيقفون بازاء دورهم وبيوتهم ، ويشرفون على آبائهم وذرايرهم ، فينادى كل واحد منهم بصوت حزين يا أهلى يا ولدى يا أهل بيتى وقرابائى ، تعطفوا علينا يرحمكم الله ، واذكرونا ولا تنسونا ، وارجعوا غربتنا وقله حيلتنا وما قد دفعنا إليه وما نحن فيه ، قد وقعنا فى بحر عميق ، وسجن وثيق ، وقد أضربنا المقام تحت هذه الأرض . ونحن فى هم شديد وفقر طويل وغم ما عليه من يد ، ١٥ فارحمونا يرحمكم الله ، ولا تبخلوا علينا بالدعاء ، لعل الرحمن يرحمكم قبل أن تصيروا منا ، يا عباد الله اسمعوا كلامنا ولا تنسونا ، واعلموا أن

(١) فى بن : فرطاً .

(٢) من هنا إلى قوله « ثم يرجعوا » أيضاً ساقط من برو وورد فى بن .

هذه القصور التي في أيديكم قد كانت في أيد (ينا)، و المنازل التي أنتم فيها قد كانت لنا، فتعطفوا علينا بصدقة درهم أو لقمة من خبز أو كلة طيبة أو بدعوة حسنة، لعل الرحمن أن يستجيب فينا، فلا يزالوا إلى آخر النهار من يوم الجمعة ثم يرجعوا .

٥ و روى عن الفضيل بن موفق رحمه الله قال: كنت آتي قبر أبي المرة بعد المرة وأكثر ذلك، فشهدت يوما جنازة في المقبرة التي دفن فيها، فتعجلت لحاجتي فلم آت، فلما كان في الليل رأيته في المنام فقال لي: يا بني لِمَ لَمْ تَأْتِنِي؟ قلت: يا أباي، وإنك تعلم بي إذا أتيتك؟ فقال: والله يا بني إنك لتأتيني، فما أزال أنظر إليك حتى تجوز القنطرة .

و روى ابن عينة^١ أنه قال: إن ابن آدم يستوحش في ثلاثة مواطن، يوم يولد فيخرج إلى دار الدنيا، و ليلة يبيت مع الموتى فيجاور جيرانا لم [٢٤٥ : ب] يجاور مثلهم^٢، و يوم يبعث فيشهد مشهدا لم ير مثله قط . قال الله تعالى ليحيى بن زكريا في هذه الثلاثة مواطن: ١٥ ”و سلم عليه يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حيا“^٣ و قال النبي

(١) في بن: يا أبت .

(٢) بهامش بر: ابن آدم يستوحش في ثلاث .

(٣) في بر: مثلهم . و صوابه في بن كما أوردنا بالنص .

(٤) قرآن كريم ١٩ : ١٥ و قد وردت الآية في بن ”و السلم على يوم واددت

و يوم أموت و يوم أبعث حيا“ و هي أيضا من سورة مريم ١٩ : ٣٣ .

صلى الله عليه وسلم: الموت كقارة لكل مسلم، وتحفة المؤمن الموت .
وقال مطرف بن عبد الله: إن هذا الموت قد نفّس على أهل النعيم
نعيمهم، فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه . وقال الحسن: فضح الموت الدنيا
فلم يترك بها لذوى ١ عقل فرحا . ٢ وقال بعضهم:

قد رأينا أهلك الموت قبلنا خلقا خلقا ٥

درجوا قرنا فقرنا وبقى من ليس يبقا

ولبعضهم:

يا واضع الميت في قبره خاطبك القبر ولم تفهم

ولبعضهم:

و كيف يلذ العيش لمن هو عالم بأن إله الحق لا بد سائله ١٠
فأخذ من ظلمه لعباده ويجزيه بالخير الذى هو فاعله ٢
وقال أبو العتاهية:

إن من ترى لا يبقى أفنت المنايا الخلقا

أفنت المنايا الغربا أفنت المنايا الشرقا

١٥ إن للمنايا طعنا ٣ إن للمنايا خرقا

إن للمنايا خطفا إن للمنايا خنقا

إن للمنايا سقا تسبق المنايا سقا

(١-١) في بر: لها بذوى . والأصح في بن كما أوردنا بالنص .

(٢-٢) هذا الجزء ساقط من برو ووارد في بن .

(٣-٣) الشطران ساقطان من برو وواردان في بن .

وكان سبب توبة أبي العتاهية و تصديّه لنظم الشعر في الزهد في الدنيا أنه كان يحب جارية لأمير المؤمنين الرشيداً تسمى عتبة ، وكانت عتبة تكرهه ، و جرى له في محبتها أمور يطول شرحها ، فقال فيها أشعاراً كثيرة منها ، هذه الآيات ٣ :

هـ الله يئنى وبين مولاتى أهدت ، لى الصدود والملاآتى
منحتها مهجتي وخالصتى فكان هجرانها مكافأتى
هيمنى جها وصيرنى أحدىة ما بين جارأتى
قال فينما أنا نائم بعد نظم هذه الآيات ، و إذا بأت أتانى و قال لى :
ما كفاك أن تجعل بينك وبين عتبة معينا على المعصية إلا الله تعالى
١٠ بقولك «الله بينى وبين مولاتى» . قال ١ : فالتبته من نوى مذعورا
و تبته من ساعى ، و تصديت لنظم الشعر في الزهد في الدنيا و ذكر
الموت .

قال الأصمعى : بعث إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد و قد زخرف
بجالسه ، بالغ فيها و فى مباينها ، ثم وجه إلى أبي العتاهية فأتاه ، فقال :
١٥ صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا ، فأشده يقول :

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) كذا فى بن : و هى فى بر : أشعار .

(٣-٣) الكتبتان ساقطتان من بن .

(٤) فى بن : أعدت .

(٥) فى بن [١٨٩ : ب] : فأنشأ .

عش ما بدا لك آمنا في ظل شاهقة القصور^١

فقال : أحسنت ، ثم ماذا ؟ فقال :

يسعى إليك بما اشتبهت لدى^٢ الرواح وفي^٣ البكور

[٢٤٦ : الف] فقال^٤ : حسن^٥ ، ثم ماذا ؟ فقال :

فاذا النفوس تقعقت في ضيق حشرة الصدور^٥

فهناك^٦ تعلم موقعنا ما كنت إلا في غرور

فبكى^٧ الرشيد ، وعملت فيه الموعظة . فقال الفضل بن يحيى البرمكي لأبي

العتاهية : بعث إليك^٨ أمير المؤمنين^٩ لتسره فأحزته . قال الرشيد : دعه

فانه رأنا في عمى ، فكره أن يزيدنا عمى . قال ابن الحصين : وإنما

حسن موقع الموعظة من أبي العتاهية لأنه قد تنسك و تاب من نظم الغزل^{١٠}

وما يشبهه ، وصرف^{١١} شعره^{١٢} في الزهد وذكر الموت - انتهى .

(١) كذا في بن ، وهي في بر : الصور .

(٢) في بر : لذى . وفي بن : لدا .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) زيد في بن : الرشيد .

(٥) في بن : أحسنت .

(٦) في بن : فقال .

(٧) في بن : فبكى .

(٨-١٠) في بن : الرشيد .

(١١) في بن : وأخذ .

١ قال بعضهم لغزا في نعش:

أُتعرِفُ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ نَظِيرَهُ إِذَا سَارَ سَارَ النَّاسُ ٢ حَيْثُ يَسِيرُ
فَتَلْقَاهُ مَرْكُوبًا وَتَلْقَاهُ رَاكِبًا وَ كُلُّ أَمِيرٍ ٣٠٠٠٠٠٠٠٠ أَسِيرُ
يَحْضُ عَلَى التَّقْوَى وَيَكْرَهُ ذِمَّهُ وَ تَنْفَعُ مِنْهُ النَّفْسُ وَ هُوَ نَذِيرُ
٥ وَلَمْ يَسْتَزِرْ عَنْ رَغْبَةٍ فِي زِيَارَةٍ وَلَكِنْ عَلَى رَغَمِ الْمَزُورِ يَزُورُ
وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ مَرَّاحِلُ يَفْنِيَانِ بِمَرَمَاهُمَا الْآجَالُ ، وَ يَقْطَعَانِ
بِتَعَاقُبِهَا الْآمَالُ . قَالَ بَعْضُهُمْ لَغْزًا فِيهَا:

مَا أَسْوَدَ فِي جَوْفِهِ أَيْضُ وَ أَيْضُ فِي جَوْفِهِ أَسْوَدُ
مَا اجْتَمَعَا قَطُّ وَ لَا فَرَقَا كَلَاهُمَا مِنْ ضَدِّهِ يُولَدُ
١٠ فَاسْتَعْدُوا يَا غَافِلِينَ لِلْمَوْتِ بِقَطْعِ مَرَاحِلِهَا ، فَانْهَمَا لَمْ يَزَالَا يَرْحَلَانِ بِالْخَلْقِ
بَسِيرَهُمَا حَتَّى يَفْنِيَانِهِمْ بِأَجْمَعِهِمْ . قَالَ الشَّاعِرُ:
اللَّيْلُ شَيْبٌ وَ النَّهَارُ كَلَاهُمَا رَأْسِي بِكَثْرَةِ مَا تَدُورُ رِحَالُهُمَا
يَتَنَاهَبَانِ لِحُمُونَا وَ دِمَائِنَا وَ شَحْمُونَا ذَابَا وَ نَحْنُ نَرَاهُمَا
وَ لِبَعْضِهِمْ فِي اللَّيْلِ:
١٥ اللَّيْلُ مَكْحُولُ الْجَنَاحِ كَأَنَّمَا كَحَلُ الْعْيُونِ ظِلَامُهُ بِالْإِثْمِ

(١ - ١) هذا الجزء ساقط من بر و وارد في بن .

(٢) زيد في الأصل : من ، و سقوطها واجب لوزن الشعر .

(٣) في الأصل كلمة غير منقوطة لا تقرأ .

(٤) في بر: لغز ، و الصحيح في بن كما أوردنا .

(٥) في بن : أبدأنا .

(٦) في بن : كأنهما .

و كأن أنجم ليله لما بدت^١ للناظرين مسامرا من عسجد
وقال ابن عبدون الكاتب في مرثيته التي ذكر فيها^٢ الملوك وقبائل العرب
السالفة ، و الأجيال البادية^٣ ، الذين وردوا حياض الحمام بعد أن لعبت
بهم الليالي و الأيام :

أنهاك أنهاك لا آلوك موعظة^٤ عن نومة بين ناب^٥ الليث و الظفر^٥
فالدهر حرب و إن أبدى مسألة و البيض و السمريين البيض و السمير
ما لليالي أقال الله عثرتنا^٦ من الليالي و خاتها يد القدر
في كل حين لنا في كل جارحة منها جراح و إن زاغت عن البصر
تسر بالشئ لكن كي تفر^٧ به كالآيم ثار على الجاني من الزهر
قال^٨ [٢٤٦ : ب] الآيم ضرب من الحيات تختفي في ناحية من الشجرة^٩
فاذا أتى من يقتطف من ثمرها أو زهرها ثارت عليه^٩ ضربته فمات من
سمها - انتهى^٩ .

(١) ساقطة من بن .

(٢) في بن : ابدت

(٣-٢) في بن : ذكرها في . و صحتها في بن كما أوردنا بالنص .

(٤) كذا في الأصلين ، وأغلب الظن أنها « البائدة » .

(٥-٥) في بن : نومه بين ذاب .

(٦) في بن : عثرتها .

(٧) في بن : تفر .

(٨) ساقطة من بن و واردة في بن .

(٩) ساقطة من بن و واردة في بن ، وزيد عليها في الأخيرة « الحية » .

نعود إلى آخر :

كم دولة وليت بالنصر حومتها^١ فلم تدعها و سل ذكراك من خبر
هوت بدارا و فلتت عرب قاتله و كان غصبا على الاملاك ذا أثر
واسترجعت من بني ساسان ما وهبت ولم تدع لبني يونان من أثر
ه و ابتعت أختها طسبا و عاد على عاد و جرهم منها ناقض المدر
وما أقلت ذوى^٢ الهيئات من يمن ولم^٣ تراع^٤ ذوى الغايات من مضر
ومزقت سبا في كل قاصية^٥ وما التقى^٦ رانح^٧ منهم بمبتكر
وأنقذت في كليب حكما و رمت مهلهلا بين سمع^٨ الأرض والبصر
ودوّخت آل ذيان و إخوتهم عبسا و عضت بني بدر على النهر
١٠ يوم القليب بنو^٩ بدر^{١٠} فنوا و غدوا^{١١} قليب بدر بمن فيه إلى سقر
وهذه المراثية طويلة مشروحة في مجلد كبير، وسأذكر بعض ما وقفت

(١ - ١) - اقطعة من بن .

(٢) كذا في بن ، وهي في بر : خدمتها .

(٣) في بن : ذو .

(٤) في بن : فلم .

(٥) في الأصلين : تراعى .

(٦) كذا في بن ، والكلمة في بر : قاضية .

(٧) في بن : التقا .

(٨) في بن : واضع .

(٩) في بن [١٩٠ : الف] : سبع .

(١٠) في الأصلين : بنوا .

((١١ - ١١)) في بن : فتواعدوا .

عليه في^١ شرحها^٢ إن شاء الله تعالى^٣ .

قيل بينهما داود عليه السلام يسبح في الجبال إذ رأى قبرا كبيرا
وعند رأسه حجر منقوش فيه: "أنا دويسم ملك الروم، ملكت الدنيا
ألف سنة، وفتحت ألف مدينة، وتزوجت ألف بكر من بنات الملوك،
وقتل ألف جبار، فن رآني فلا يفتخر بالدنيا، فما كانت إلا كحلهم نائم،
ثم صرت إلى ما ترى، فصار التراب فراشي، والحجارة وسادي".
وقيل^٤ إن سليمان عليه السلام مر بقصر عظيم البناء، وإذا هو بنسر
على القصر عظيم الخلقة، فقال له سليمان: ما اسمك؟ قال: معمر.
قال: كم سنك؟ قال: ألف وخمسون سنة. قال: فهل رأيت أحدا
بهذا القصر؟ قال: لا يأنى الله. قال: هل تعرف له بابا؟ فقال^٥: نعم.
أعرف له بابا من الحديد الصني. فقال سليمان: وأين هو؟ قال:
ردمته الرياح بالتراب السافي عليه. فأمر سليمان^٦ الريح أن ينسف التراب
من حول القصر فتسفه^٧، فظهر له باب من الفولاذ^٨، ففتحه ودخل

(١) في بن: من .

(٢ - ٣) ساقطة من بن

(٣) في بن: قيل . وبهامش بر: نكتة .

(٤) في بن: سليمان .

(٥) في بن: فقال .

(٦) في بن: قال .

(٧) في بن: فتسفه

(٨) في بر: الفولاذ .

إلى ' القصر ، فظفر في وسطه قدياً من الرخام طوله أربعون ذراعاً ، وعند رأسه لوح مكتوب فيه :

٢ كم قد وقفت وكم قتلت وكم ركبت الصافنات ٢

كم قد أكلت وكم شربت ٣ وكم لبست الناعمات

٥ و كأنني بك قد فقدت وسيل^٥ عنك فقيلاً مات [٢٤٧: ألف]

و ذلك ' أني مت جوعاً ، فطحنا الدر ، لعدم البر ، فلم يغن عنا شيئاً ، فانا شداد بن عاد ، ركبت في ألف ألف من الأجناد . و ملكت سائر البلاد . و بنيت مدينة ارم ذات العماد ، التي ما بنى مثلها في البلاد ، فلما أتاني الموت لم يغن عني ذلك شيئاً . و ها أنا في قبري أشقى بما ألقى . قال بعضهم

١٠ في المعنى ٧ :

أين الملوك التي عن خطبها غفلت حتى سقاها بكأس^٨ الموت - اقيها

(١) ساقطة من بن .

(٢ - ٢) البيت ساقط من بر و وارد في بن .

(٣) في بر : وقفت . و صحتها في بن كما أوردنا بالنص .

(٤) زيد قبلها في بر : وكم شربت وهي زائدة و صحة البيت في بن كما أوردنا بالنص .

(٥) بمعنى « مثل » .

(٦ - ٦) في بن : انا جعنا .

(٧ - ٧) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٨) في بن : كأس .

نلهو و نأمل آمالا تُعد لنا شريعة الموت تطوينا^١ و نطويها^٢ و سيأتى ما قاله فى المروية من قتل دارا ملك فارس و من قتله ، و قد تقدم ذكر ساسان ملك فارس فأغنى عن إعادته . و سيأتى ذكر مُلك اليونان^٣ و طسم و جدیس^٤ و جرم و هم العرب العاربة . و تقدم أيضا ذكر سبأ فأغنى الإعادة ، و سيأتى ذكر كليب و مهلهل و آل ذبيان و عبس^٥ فى مواضع ذكرهم إن شاء الله تعالى^٦ .

قال بعض الصالحين : رأيت راهبا فقلت له : يا راهب كيف اخترتم لباس السواد ، و تركتم لباس البياض ؟ فقال : لأن السواد لباس أهل المصائب . قلت : و أى مصيبة^٧ عندكم ؟ قال^٨ : و أى مصيبة أعظم من ارتكاب المعاصى و الذنوب على أهلها ! فقلت^٩ : ألكم عيد ؟ قال : نعم " كل يوم " لا يُعصى الله فيه فهو عيد ، و كل يوم نصبح

(١) فى الأصلين : سريّة .

(٢) فى بر : تطرينا . وفى بن : يطوينا .

(٣-٣) هذه العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤) وردت الكلمة فى الأصل بعد «اليونان» ، فصححنا موضعها لإستقامة الجملة .

(٥-٥) فى الأصل : طسما و جديسا .

(٦) فى الأصل : عبسا .

(٧) فى بن : مصائب .

(٨) فى بن : قالوا .

(٩) فى بن : قلت .

(١٠-١٠) ساقطة من بن .

فيه ١ نقول ما نسي فيه ٢ ، و كل ليل ٣ نسي فيه ٢ نقول ما نصبح منه ٤ ،
بل نرقب الموت ، فهذه الدنيا ليس لأحد فيها بقاء ، و عاقبة أمرها للفناء .
و جاء في الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ يد أبي هريرة
و أتى إلى مزبلة فيها رؤس و خرق بالية و عذرات و عظام نخرة ، فقال :
يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا بأجمعها ، هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم ،
و تأمل كأملكم ، ثم هي اليوم عظام نخرة ، و هذه العذرات ألوان
أطعمتهم ٥ التي اكتسبوها من حيث اكتسبوها ، ثم قذفوها من بطونهم .
و هذه الخرق البالية كانت لباسهم و رياشهم ، و العظام عظام ٦ دوابهم ،
كانوا يتجمعون عليها أطراف البلاد ، فصارت كما ترى فن كان باكباً
١٠ على الدنيا فليكن ١ قال بعضهم :

نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح
لتموتن ، لو عمّرت ما عمر نوح
بين عيني كل حي عَلم الموت يلوح
فالسعيد من تهياً و عمل ١١ للآخرة ، و اشتغل بذكر الموت عن هو الدنيا

(١) ساقطة من بر و واردة في بن . (٢) ساقطة من بن .

(٣) كذا في بن ، و الكلمة في بر : يوم . (٤) في بن : فيه .

(٥) في بن : نرقب . (٦) في بن : لها .

(٧) في بن : أتى . (٨) في بن : أطعمتم .

(٩) ساقطة من بر و واردة في بن .

(١٠) ساقطة من بن [١٩٠ : ب] .

المديرة . قال النبي صلى الله عليه وسلم : أكثرُوا من ذكر هادم اللذات ، فانكم إن ذكرتموه في ضيق وسعه عليكم ، وإن ذكرتموه في غنى بقضه لكم . وقال شقيق البلخي : من أكثر ذكر القبر وجدّه روضة من رياض الجنة ، ومن غفل عن ذكره وجدّه حفرة من حفر النار .

و اعلم أن الموت لا يهجم [٢٤٧: ب] في وقت مخصوص دون وقت ، ه فيعلم ذلك فيرتقب ، لكنه يهجم بصولته ، و يأتي المرء على طمانينته و غرته ، لا يأتي في صيف دون شتاء ، فيؤمن في الشتاء ، ولا شتاء دون صيف ، فيؤمن في الصيف ، ولا في هرم فيؤمن في الشيبة . فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا التي لا تفوت ، ومثل نفسك قرب الموت وفجأته وشدائده وسكرته ، ولا تكن كالحقاه الذين يفرحون كل يوم بزيادة ١٠ أموالهم مع نقص أعمارهم ، * كما قال بعضهم :

يشرني الهلال بنقص عمري وأفرح كل ما هلّ الهلال
وأفرح كل ما يزداد مالي ولا أخشى النوائب والزوال^٦

(١) زيد في بن : انتهى .

(٢) زيد في بن : له .

(٣) في بن : شتاء دون صيف .

(٤) في بن : وسكره .

(٥-٥) في بن : كقول .

(٦) في بن : والزوال .

واعلم يا هذا أن العاقل لا يفرح^١ إلا بزيادة علم أو عمل 'صالح يعمل' فأنهما رفيقاه يصحبانه^٢ حين^٣ يتخلف عنه أهله وماله وولده . واعلم أنك إن نظرت في المال ، فالمال غاد ورائح ولا أصل له ، ففي اليهود والنصارى من هو أكثر مالا منك ، وإن طلبت العلو ونفاذ الكلمة ه والامر ، ففي إجلاف^٤ الأتراك وحقاقة الأكراد من استولى عليك وجاهه أعظم من جاهك ، وإن تمتعت في الأكل فالحمار أكثر أكلا منك ، وإن تمتعت^٥ بالوقاع^٦ فالخنزير أكثر وقاعا منك ، وإن طلبت القناعة فهذه رتبة لا يساهمك فيها إلا الأنبياء والأولياء ، فانظر لنفسك أن تقتدى بمن لا دين له ولا عقل ، أو بمن هو أعز عند الله تعالى .

١٠ الله در القائل حيث يقول^٨ :

ولو كانت الدنيا ثوابا لمحسن إذا لم يكن فيها معاش لظالم
فقد جاع فيها الأنبياء كرامة وقد شبع فيها بطون البهائم

(١) زيد في بن : أبدا .

(٢ - ٢) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٣) في بن : يصحبناه .

(٤) في بن : حيث .

(٥) في بن : اخلاف .

(٦) في بن : تمتعت .

(٧) كذا في بن . وهي في بر : في الوقاع .

(٨ - ٨) في بن : قال بعضهم .

و لبعضهم :

فضول العيش أكثرها هموم . وأكثر ما يضررك ما تحب .
فلا يغررك زخرف ما تراه . وعيش لئلين الأعطاف رطب .
إذا ما بليغة جاءتك عفوا . نخذها فالغنى مرعى وشرب .
إذا اتفق القليل وفيه سلم . فلا ترد الكثير وفيه حرب .
و قال ابن الفارض :

يظن القى لذات دنياه نعمة . ما هي إلا نعمة في الحقيقة
٢ إذا رأيت سعة الدنيا عند أهل المعاصي فاعلم أنها حظهم والآخرة
عند ربك للثقلين ١٢

عن الضحاك ٣ بن سفيان ٤ الكلبي قال قال رسول الله صلى الله .
عليه وسلم : [٢٤٨ : الف] يا ضحاك ما طعامك ؟ قلت : اللحم والابن .
قال : ثم يصير إلى ما ذا ؟ قلت : إلى ما قد علمت يا رسول الله . قال :
فان الله ٥ جعل ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا . قال بعضهم في
الدنيا وطلبها :

يا خاطب الدنيا دنا فراقها . زواجها أقرب أم ٦ طلاقها ١٥

(١) في بن : اتفق .

(٢-٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٣) بهامش بر : نكتة .

(٤) في بن : سفين .

(٥) زيد في بن : تعالى .

(٦) في بن : من .

وكل من يطلبها قرينه يا ويحه قد بينه صداقها
 وقال بعضهم: لو قيل للدنيا صني نفسك ما تعدت هذا البيت:
 ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خاتته فزوج الأصابع
 قال بعضهم: الدنيا مغارة لا تصلح للتوطن. إن اليدر إذا... حمل
 ٥ إلى دار الإقامة. الدنيا كامرأة فاجرة لا تلبث مع زوج ولذلك عيب
 طلاقها، فكلما تزوجت الدنيا بزواج طلقها الموت، فالدنيا من الموت
 طالق من ينقض عدتها. شعر:

ميّزت بين جمالها وفعالها فاذا الملاحه بالخيانة لم تف
 حلفت لنا أن لا تحون عهودها فكأنها حلفت (لنا) ألا تني
 ١٠ الدنيا قنطرة على نهر الهلاك، نخذ بالحزم في تعلم السباحة قبل الجواز
 فتأمن عثور قدم ولا عاصف قاصف آمن ما يكون منها فانتظر حزنها
 أسر ما يكون بها. صاح على بن أبي طالب بالدنيا: طلقتك لا رجعة لي
 فيك. وقد كانت تكفي طليقة واحدة. ولكنه أكد طلاقها لئلا يتصور
 الهوى جواز المراجعة وطبعه الكريم يأنف من المحل ٢.

١٥ دخل الامام غفرالدين الرازي^٣ المتقدم ذكر ترجمته^٢ على الملك صاحب

(١) ساقطة من بن.

(٢-٢) هذا الجزء ساقط من بر و وارد في بن، أدرجناه بالنص رغم ما في
 بعض عباراته من غموض. ثم أضفنا كلمة « لنا » في الشطر الثاني من البيت
 الثاني لإحكام ميزانه [بن ١٩٠ : ب - ١٩١ : الف].

(٣-٣) ساقطة من بن [١٩١ : الف].

خوارزم ، فسأله الملك أن يعظه ، فوعظه ' بوعظ ' قال في خلاله :
يا سلطان لا سلطانك يبقى ولا تليس الرازي وإن مرتدنا إلى الله .

عن عبد الله بن مسعود^٣ رضى الله عنه^٢ عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : إن بني إسرائيل استخلفوا خليفة عليهم بعد موسى عليه السلام ،
فقام ليلة يصلى فى القمر فوق بيت المقدس ، فذكر أموراً كان ضيعها ،
فخرج فندلى بسيب* ، فأصبح السيب معلقاً وقد ذهب ، قال فانطلق
حتى أتى قوماً على شط البحر ، فوجدهم يضربون لبناً أو يصنعون لبناً ،
فسألهم كيف يأخذون على هذا اللبن . قال فأخبروه فلبن معهم ، يعنى
صنع معهم الطوب ، فكان يأكل من عمل يديه^٦ فإذا كان حين الصلاة قام
يصلى ، فرفع ذلك العمال إلى دهقانهم ان فينا رجلاً يصنع كذا وكذا ،
فأرسل إليه فأبى أن يرائيه^٨ ثلاث مرات . ثم إنه^٩ جاءه^٧ يسير على

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) فى بن : بوعظة .

(٣-٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤) كذا فى بن ، والكلمة فى بر : فقال .

(٥) فى بن : بسبب . مطموسة جزئياً .

(٦) فى بن : السبب .

(٧) فى بن : يده .

(٨) فى بن : يأتبه .

(٩) مطموسة جزئياً فى بن .

دأبته ، ايعنى الدهقان^١، فلما رآه فرمته ، فاتبعه الدهقان فسقه ، فقال :
أنظر أكلمك . قال فقام حتى كلمه ، فأخبره خبره ، وأنه كان ملكا ، وأنه فر
من رهبة ربه . قال الدهقان : إني لأظننى^٢ لاحقا بك . قال فاتبعه فعبدا الله
حتى ماتا^٣ برميلة مصر . قال عبد الله بن مسعود : لو انى كنت ثم لاهتديت
٥ إلى قبريهما ، من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى وصف لنا^٤ .
خرجه البزار

وقال أمير المؤمنين هشام^٥ بن عبد الملك : أكلت الحلو والحامض
حتى ما أجد لها طعما^٦ ، وشممت الطيب حتى ما أجد لها ريحا^٧ ، وأتيت
النساء حتى ما أبالى أحائطا أتيت أم امرأة . فقيل له : ما بقى من لذتك
١٠ وسرورك^٨ ؟ فقال : محادثة الإخوان على التلال العفر فى الليالى القمر ،
ولما دخل محمد بن واسع سيد العباد [٢٤٨ : ب] فى زمانه على بلال بن أبى
بردة أمير البصرة ، وكان ثوبه إلى نصف ساقه . قال له بلال : ما هذه
الشهرة يا ابن واسع . قال له : أنتم شهرتمونا . هكذا كان لباس من

(١ - ٢) العبارة ساقطة من بن .

(٢) فى الأصلين : لأظننى .

(٣) مطموسة فى بن .

(٤) الخليفة الأموى وخلافته ١٠٦ - ١٢٦ هـ = ٧٢٤ - ٧٤٣ م .

(٥) فى بن : طعاما .

(٦) فى بن : بنخاشيمى رائحة .

(٧) فى بن : وسورك .

مضى ، فانما أتم 'طولتم ذبولكم' ، فصارت السنة بينكم' بدعا وشهرة .
وقال الشيخ أبو بكر الطرطوشي ٣ رحمه الله ٣ : لما دخلت على سلطان
مصر ، وهو الأفضل ابن أمير الجيوش ، فقلت : السلام عليك' ورحمة الله
وبركاته ، فرد السلام على نحو ما سلمت ردا جميلا ، وأكرم إكراما جزيلا ،
فأمرني بدخول مجلسه ، وأمرني بالجلوس . فقلت : أيها الملك إن الله ه
سبحانه وتعالى قد أحلك محلا عاليا شامخا ، وأنزلك منزلا شريفا باذخا ،
وملكك طائفة من ملكه ، وأشركك في حكمه ، ولم يرض أن يكون
أحد فوق أمرك ، فلا ترضى أن* يكون أحد أولى بالشكر منك ، وليس
الشكر باللسان ، ولكنه بالفعل والإحسان ، قال الله تعالى : "اعملوا
"ال داود شكرا"٦ . واعلم أن هذا الذي أصبحت فيه من الملك إنما ١٠
صار إليك بموت من كان قبلك ، وهو خارج عن^٢ يدك ، بمثل ما صار
إليك ، فاتق الله سبحانه وتعالى فيما حولك من هذه الأمة ، فإن الله

(١-١) في بر : طولكم ذيركم . وصحتها في بن كما أوردنا بالنص .

(٢) في بن : فيكم .

(٣-٣) في بن : رحمة الله عليه .

(٤) في بن : عليكم .

(٥) في بن : بأن .

(٦) قرآن كريم ٣٤ : ١٣ .

(٧) في بن : من .

يسألك عن 'نقتيل' و'التقير' قال الله تعالى: "فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون" . وقال: "إن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حسين" . واعلم أيها الملك أن الله سبحانه تعالى قد آتى الدنيا بحذاقها سليمان بن داود، فسخر له الإنس والجن و"الشياطين" والطير، والوحش و"الهائم"، وسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، ثم رفع عنه حساب ذلك جمع فقال له هذا عطاؤنا ومن أمسك بغير حساب، فوالله ما عدها نعمة كما عدهتموها، ولا حسبتها كرامة كما حسبتموها، بل خاف أن يكون استدراجا من الله تعالى ومكر، فقال هذا من فضل ربي أيلوئي أم أشكر أم أكفر، فن شكر الباري ورجب عليه شكره وذوقه لشكره، هذا شكر "شكر" فافتح الباب، وسهر الحجاب، انصر المظلوم، أعانك الله على نصر المظلوم، رجعت لكها

(١) في بر: يسألك .

(٢-٢) في بن: التقير و'نقتيل' .

(٣) قرآن كريم ١٥: ٩٢ - ٩٣ .

(٤) قرآن كريم ٢١: ٤٧ .

(٥) في بن: سليمان .

(٦) في بن: عدها .

(٧) مطموسة في بن مع بعض ما سبقها وتبعها من الكلمات .

(٨-٨) العبارة ساقطة من بر و'واردة في بن' .

(٩) في بن [١٩١: ب]: كهذا .

لللهوف . و أمانا للخائف - انتهى .

نعود إلى ما قيل في الموت 'إن شاء الله تعالى' . اعلم أن الموت معلوم فينا بالضرورة ، فإن قيل لم ٢ صار الإنسان يموت . قيل لأن الموت عند بعضهم إنما هو الحكم الطبيعي . هو فساد الحار الغريزي ، أو تبديل الروح واستيلاء حكم البرودة . اليومة على طبيعة الروح ، . هي الحرارة ٥ والرطوبة وسوء مزاج يلحق بقلب [٣٤٩ : الف] أ. هيئة مخرجة المزاج عن حده الطبيعي . ٣ أو فساد المركب بالجملة ، أو تحليل الرصوبة المائكة و نمو ضدها . ٤ التحلل الأعضاء الرئيسية ، ثم ما يقطع حجاب قلب ، أو يضر بجوهر الدماغ ، أو قطع نخاع . ٥ جملة الأمر عند طائفة من الحكماء أن الموت طبيعة خامسة معادة للحياة . من شأنها أن تخرج ١ المزاج الذي به كان الحياء إلى حد لا يمكن به التحريك ولا التنفس ولا الغذاء . ٦ يحسن معه لأرباب ثلاثة . ٧ يفسد بجواهره . ٨ وذلك لفساد تنوى حتى لا يشبه الخل لأول ولا ينسبه لوجه ٩ .

[الجسم والنفس والروح والعقل]

علم أنه لا موت للنفس ، وإنما الموت للجسم ، فتن رأينا الميت ١٥

(١-١) عبارة سائطة من بن .

(٢) في بن : كيف .

(٣-٤) في بن : وفساد . (٤) في الأصل : الرئيسة .

(٥) سائطة من بن .

(٦) في بن : بوجه .

قلنا فيه : هذا تركته النفس ولم تستعمل شخصه ، وذلك لأجل فساد الهيكل لافساد النفس ، فان النفس تكون تتخلص و تصعد إذا علمت ، وتنحط^١ و تنكس إذا جهلت . و أيضا أن الإنسان مركب من نوعين فاسد وغير فاسد ، فبعض الإنسان يفسد ، وبعضه لا يفسد ، وبعضه الفاسد هو جسمه ، وبعضه الذي لا يفسد هو روحه ،^٢ فبعض الإنسان يفسد وروحه لا تفسد^٣ . قال ابن سينا في النفس :

هبطت إليك من المحل الأرفع و رقاء ذات تحجب^٤ و تمنع محجوبة عن كل مقلة ناظر و هي التي سفرت^٥ و لم تبرقع وصلت على كره إليك و ربما كرهت فراقك و هي ذات تفجع^٦ أنفت و ما وصلت فلما واصلت ألفت مجاورة الخراب^٧ البلقع^٨ وهي طويلة^٩ . و النفس تطلق^{١٠} على الذكر و الأنثى . قال أبو عمرو بن الحاجب المالكي^{١١} في مختصره في الفروغ^{١٢} : شرط المرضعة أن تكون

(١) مطموسة في بن .

(٢-٣) العبارة ساقطة من بن .

(٣) في بن : تعزر .

(٤) مطموسة جزئيا في بن .

(٥) كذا في بن ، و الكلمة في بر : الغراب .

(٦-٧) في بن : تنطلق .

(٧) مطموسة في بن .

(٨-٩) ساقطة من بر و واردة في بن .

آدمية أثى . قال ابن عبد السلام فى شرحه 'المختصر المذكور': فان قيل هلا استغنى ابن الحاجب عن قوله أثى بقوله آدمية فان المعلوم قطعاً أن الآدمية أثى؟ قلت: لا نسلم أنه معلوم لاحتمال أن يريد نفساً آدمية، والنفس تطلق^٢ على الذكر والأنثى^٣ - انتهى .

نعود^٤ - ولا خلاف بين العلماء أجمع على بقاء النفس الناطقة بعد الموت، هـ والأنبياء والفلاسفة يقولون بذلك، وهو مشهور فى الكتب المنزلة والدواوين الفلسفية، والقرآن نطق بذلك والتوراة^٥ والإنجيل والزبور والصحف . قال الله تعالى: "لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد^٦" . وقال النبي عليه السلام: الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا .^٧ وقال بعض الصالحين: ١٠

/ ما ذا يشاهد ذو العنين من عجب عند الخروج من الدنيا إلى الله^٨ [٢٤٩: ب] وقال بعضهم .^٩

وما الموت إلا رحلة غير أنه من المنزل الفانى إلى المنزل الباقي

(١ - ١) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٢) فى بن: تنطلق .

(٣) بهامش بر: «هذا الجواب فيه شيء» . لأن الرضاع لا يكون إلا من الإناث

فلا يتوهم دخول الذكور، ولو قيل ذكر ذلك لزيادة إيضاح المكان أحسن .

(٤) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٥ - ٥) فى بن: التورية .

(٦) قرآن كريم ٥٠: ٢٢ .

(٧ - ٧) ورد النبى فى بن قبل الحديث الذى سبقه .

(٨) العبارة من عما لى قوله « ويموت ليحيى » سقطت من بر و وردت فى بن .

فينبغي للحكيم أن يقيم بالحياة و يفرح بالموت لأنه يجي ليموت و يموت
ليجي ١ . و في الإنجيل : النفس الصالحة تعرفني وأنا الحق ، و غير الصالحة
لا تعرفني و هي من الشيطان ، و الشيطان في غضبي . و في التوراة : يا موسى
تقرب إلىّ بالذي لا يفني فاني خلقتة للخلود ، فان آمن وعمل صالحا
رضيت عنه ، و إن كفر وعصاني سخطت عليه . و في الزبور : يا داود
أصلح نفسك تصعد للسعد الخالد ، و لا تحمل أمرها تنزل للذل الأكبر .
قال ابن الفارض :

هي النفس إن تآقت هواها تضاعفت قواها و أعطت فعلها كل ذرة
قال أبو الحسن الشاذلي ٣ : مراكز النفس أربعة : مركز في الشهوة للطاعات
١٠ . و مركز في الميل إلى الراحة ، و مركز العجز عن أداء المفروضات
و مركز الميل للمعاصي و الخطيئات . فاقتلوا المشركين كافة ، و خذوهم
واحصروهم و اعدوا لهم كل مرصد ، و إن من أعظم القربات عند الله
مفارقة النفس بقطع إرادتها ، و طلب الخلاص منها بكل ما تهوى لما يرجى
من حياتها . و إن من أشقى الناس من يجب أن يعامله الناس بكل

(١) انتهى ما سقط من بر .

(٢) في بن : التورية .

(٣-٣) بهامش بر : مراكز النفس أربعة .

(٤) في بن : في انطاعات .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) مطموسة في بن .

(٧) الكلمة ساقطة من بر و واردة في بن [١٩٢ : الف] .

(٨) في بن : أشقا .

(٩) كذا في بن ، و الكلمة في بر : ان .

ما يريد . فطالب نفسك باكرامك لهم و لا تطالبهم باكرامهم لك ، لا تكلف
إلا نفسك . و إن أردت جهاد النفس فاحكم عليها بالعلم في كل حركة ،
و اضربها بالخوف عند كل خطرة ، و اسجنها في قبضة الله أين ما كنت ،
و اشكُ عجزك إلى الله كلما غفلت ، فهي التي لم تقدروا عليها ، قد أحاط الله بها
فان سخرت لك في قضية ما فجدد بآن تذكرنا نعمة ربكم ، ” و تقولوا ٥
سبحن الذي سخر لنا هذا و ما كنا له مقرنين ٢ “ - انتهى ٣ .

نعود ٤ - و في الصحف : نفس المؤمن في رحمتي ، و رحمتي دائمة ،
و نفس الكافر في عذابي ، و عذابي لا انقطاع له . و قال ابن الفارض :
و لو كان لا يحزى مسيء بفعله و لا يحسن ضاقت أمور بهرية
و ما كان في الأحياء و الموات حكمة و كان محالا حكم كل شريعة ١٠
و مستبعد إحيائنا و مماتنا سُدّاً لا لمعنى فيه سر مشيتي
أحسن أن تبني قصور مشيدة بأحسن أوضاع و أجل زينة
و تهدم عمدا لا لمعنى و إنه ليقبح هذا في العقول السليمة
و ذلك شيء فعله عبث و ما يدبر هذا الكون بالعبثية

(١) في بن : خطوة .

(٢) قرآن كريم ٤٣ : ١٣ .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) هذا القسم بما فيه من تائية ابن الفارض ساقط من بن . و يبدأ السقط من
هنا ثم يستأنف الكلام في كل من بن و بر على السواء بعبارة : و قالت الحكماء
الجسد كثيف و لطيفه - الخ .

فلم يبق إلا أن يدبر حكمه حكيم محيط العلم عدل الحكومة
[٢٥٠ : الف] وقال أيضا يلوم النفس على قبيح فعلها :

أيا نفس ما هذا التغافل والجفا إلى ما التمادى في غرور و غفلة
ألم يأن أن تستقبحي ما عملته قبيحا و أن تستقرعي باب مئة
٥ أغرك قوم جاهلون تلبسوا بدار غرور و هي منهم تعرت
و إن أعلقوا فيها كؤف مؤمل تنامت كفعل الباخل المتعنت
رأيت لهم خضراء حلوا مذاقها مبهرجة تبدو بحسن و بهجة
تبلغ آمالا و تعطى مآربا و تجمع إخوانا و تدنو بمنية
و تعقب ذى الأوصاف كلا بضده و تأتى يبعد بعد قرب و وصلة
١٠ متى وهبت برت و إن أقبلت نأت و إن أفرحت جاءت بحزن و ترحة
فليت كفافا حزنها و سرورها و ياليت ما مئت به عنك منت
لقد نصحت ذا العقل لما تكدرت و بالرويق المسلوب ذا الجهل غرت
و قد فضحت لولا الغاورة و العمى و لاحت مساو بالغرور تغطت
فكم أبعدت إلغا و كم كدرت صفا و كم جددت من ترحة بعد فرحة
١٥ كذا وضعت كيما تفر إلى العلا فتكديرها من سر لطف و حكمة
فلو جعلت صفوا شغلت بحبها و لم يك فرقا بين ديا و جنة
فما هي لا تصفو و أنت معانق لها بوداد فعل جهل و شقوة
كذا فعلت بالأولين فأصبحوا رهان حدوث و هي عنهم تخلت

إلى كم خداع أيها النفس قد كنى
أزحزحها نحو العلا فرددني
وأطلب منها جاهدا ضد طبعها
تقضي زمانى والأمانى بعيدة
وقد ذهبت باكورة العلم فى الهوى
وسئل الشيخ أبو العباس
ضياحك فى لهُو زمان الشبية
بأفعالها السوء إلى أرض قطعة
وذوتعب من رام ضد الجبلّة
وقد ضاع عمرى فى الحظوظ الدنية
وضيعتها ما بين حظ وشهوة ٥
المرسى عن الروح والنفس ، فأنشد
يقول :

إن كنت سائلنا عن خالص المن
وعن تشبها بالخط قد ألفت
وعن بواعثها بالطبع مائلة
وعن تنزّلها فى حكمها ولها
/وعن حقيقتها فى أصل معدنها
فاسمع هديت علوما عز سالكها
قصدا إلى الحق لا تخفى شواهدا
يا سائل عن علوم ليس يدركها
لكن بنور على جامع خدت
خذها إليك بحق لست أجهله
عن الحقيقة خذ علم الأمور ولا
تطور النفس سر لا يحيط به
لكنها برزت بالحكم قائمة
وكى يقال عبيد قائمون بما
وعن تتألف ذات النفس بالبدن
أدرانها فعدت تشكو من العطن
تهوى بشهوتها فى ظلمة الدجن ١٠
علم يفرقها فى القبح والحسن
لا ينتهى وصفها منها إلى وثنى [٢٥٠:ب]
عن العيان ولا يغرك ذو لكن
قامت حقائقها بالأصل والفن
ذو فكرة بفهوم لا ولا فطن ١٥
له العقول وكل الخلق فى وسن
والأمر مطلع والحد قيدنى
يحجبك صورتها فى عالم الوطن
عقل تقيد بالأوهام والدرن
حتى تألفها السكان بالسكن ٢٠
ألقى من الأمر قبل الخلق والمحن

والنفس بين نزول في عوالمها كآدم وله حواء في قرآن
والروح بين ترقّ في معارجها وهي المواقف للتعريف والمن
مثالها في العلا مرآة معدنها أظافها خفيت كالسر في العن
زيتونة زيتها نور لشاربها مدت هدايتها في الكون والكين
هـ والكل أنت بمعنى لا خفاء به والنور يحجبه كالماء في اللبن
والعبد محتجب في عز مالكة دقت معارفه في الدهر والزمن
وقال أيضا: الروح متوسط بين السر والقلب، والنفس متوسطة بين
العقل والجسد، فالسر غيب الروح والقلب شهادته، والعقل غيب
النفس والجسد شهادتها، فاذا مال الروح إلى السر خفي وإلى القلب
١٠ ظهر، وإذا مالت النفس إلى العقل خفيت وإلى الجسد ظهرت -
انتهى .

واعلم أن الله تعالى خلق العالم من نوعين، شخص وروح .
وجعل الجسد منزلا للروح لتأخذ زادا لآخرتها من هذا العالم، وجعل
لكل روح مدة مقدرة تكون في الجسد، وآخر تلك المدة هي أجل
١٥ تلك الروح من غير زيادة ولا نقصان . فاذا جاء الأجل فرق بين
الروح والجسد . وقالت الحكماء الجسد كثيف ولطيفة روحه

(١) من هنا يستأنف الحديث في بن أيضا وكلمة « قالت » وردت هناك
بسقوط الواو - وقبل ذلك أورد ناسخ بن مايل وهو غير وارد في بر: قال
الأصمعي حدثنا أبو رجاء عن النيمي قال: النفس معلقة بالروح مثل صنارة
المغزل، فترسل الروح فتذهب هاهنا وهاهنا، ثم تطوى فتجىء فتدخل فيها . =
و بالروح

و بالروح يخف ، و الجسد يتكون من امتزاج الروح و النفس ، و هما يتكونان من العناصر العلوية ، و تتكون العناصر العلوية من ' الطبايع الأربعة و هي النار و الهواء ٢ و الماء و التراب . فللنار الحرارة ، و للهواء ٣ [٢٥١ : الف] الرطوبة ، ' و للماء البرودة ' ، و للتراب اليبس ، و الطبايع من كلمة الخالق تعالى التي هي علة العلل و هي الأصل . ه و ذلك قوله * عز و جل : ” انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون * ” . فالعلة هو الذى كان السبب ٦ لشيء آخر ٦ ، و المعلول هو الذى لوجوده سبب ٧ من الأسباب ، و العلم صورة المعلوم فى نفس = قال ابن الجوزى : يا بلابل الى متى فى قفص ... (هنا كلمة مطموسة) ... الحسن ، اكسروا قفص الطبع ، و اسرحوا فى مسارح القدمين ، فالركون الى وكر النفس يمنع طيب العيش (الكلمة مطموسة جزئيا) لما قطع القوم ظلمات الهوى و تفوا على عين حياة القلوب ، فشرّبوا ماء العانى فكل منهم حضر . (الكلمة مطموسة جزئيا - و بالعبارة غموض على كل حال) .

(١-١) ساقطة من بن و آخرها مطموس .

(٢) فى بر : الهوى . و الكلمة فى بن : الهواء .

(٣) فى بر : للهوى . و فى بن : الهواء .

(٤-٤) فى بن : و الماء للبرودة .

(٥) قرآن كريم ٣٦ : ٨٢ .

(٦-٦) فى بن : للشيء الآخر .

(٧) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : سببا .

العالم، وبارى البرايا هو علة كل شيء وسبب كل موجود في العوالم بأسرها. والعوالم^١ جمع عالم^٢، والعالم في اللغة كناية عن كل موجود فيه علامة يمتاز بها عن غيره من أنواع المخلوقات حتى يقال: عالم السماء وعالم الأرض وعالم البحر وعالم الحيوان. فجمع الله المفقوق^٣ في استعمال العرب بقوله تعالى: "الحمد لله رب العالمين"^٤، أى خالق كل من تسمونه عالما. والحمد من الألفاظ المشتركة لأنه يطلق^٥ ويراد به الثناء على المحمود على ما أولاك من نعمه، يقال له^٦ حمدت الرجل على دينه، وحمدته على ما أعطاني. والشكر الثناء على النعمة فقط، والحمد الثناء على الكمال والنعمة، فتقول على هذا كل شكر حمد،^{١٠} ولا تقول كل حمد شكر. لأن الحمد أعم، والشكر أخص، والأعم يحمل على الأخص إذ يكون صادقا، ولا يحمل الأخص على الأعم إذ^٧ يكون كاذبا^٨، فقايسة^٩ الحمد إلى الشكر كمقايسة^٩ الحيوان إلى

(١) في الأصلين: والعالم.

(٢) في بن: عوالم.

(٣) في بن: المتفق.

(٤) قرآن كريم ١: ١.

(٥) في بن: يذكر.

(٦) الكلمة ساقطة من بن.

(٧-٧) مطموسة في بن.

(٨) في بن: فتناسبة.

(٩) في بن: كناسبة.

الإنسان فكما تقول كل إنسان حيوان ، و لا تقول ^١ كل حيوان إنسان ،
فكذلك تقول ^٢ كل شكر حمد . و لا تقول كل حمد شكر ^٣ و كما
[لا ^٤] تقول كل حيوان إنسان ، فلا تقول كل حمد شكر ^٣ لكذبه
فالشكر يراد به الحمد في أحد نوعيه و لا يراد به عموما - انتهى .

(١) في بن : تقل .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) ساقطة من بر و لزومها واضح من السياق .

(٥) زيد هنا في بن [١٩٢ : الف - ب] : نعود ، واعلم أن النفس لها حالتان
لا ثالث لها - حالة عافية وحالة بلاء . فإذا كانت في بلاء الجزع والشكوى
و السخط و الأعراض و التهمة للحق عز وجل ، لا صبر و لا رضى و لا موافقة ،
بل سوء الأدب و الشرك بالخلق و الأسباب و الكفر ، و إذا كانت النفس في
عافية فالشر و البطور و اتباع الشهوات و اللذات ، كل ما نالت شهوة طلبت
أخرى ، و اشتغرت بما عندها من النعم من ما كول [١٩٢ : ب] و مشروب
و منكوح و مسكون و مركوب ، فيخرج لكل واحدة من هذه النعم عيوبها
(كذا) و نقصا ، و تطلب أعلا منها و أشنى مما لم يقسم لها ، و تعرض عما قسم لها
فتوقع الإنسان في تعب طويل لا غاية له و لا منتهى في الدنيا ثم العقبى ، ولهذا
قليل لمن أشد العقوبات طلب ما لم يقسم ، و إذا كانت في بلاء لا يتحنى سوى
انكشافه و تنسى كل نعيم و شهوة و لذة لا تطلب شيئا منها ، فإذا عوفيت منه
رجعت إلى رعونتها و شرها (في الأصل : و اشرها) و بطرها و إعراضها عن طاعة ربها
عز وجل و إنهاكها في معاصيه و تنسى ما كانت فيه من البلاء و ما حل بها من
الويل . فتد إلى شر ما كانت فيه من البلاء و الضر عقوبة لها لما قد اجترمت =

١ نعود - تقول العرب إذا كرهت الشيء تشبهه بالموت ، وإذا وصفوا الشيء فكروهه إلى الموصوف ما هو إلا الموت . قال الشاعر :

فأني أنا الموت الذي هو واقع بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله

قال ثعلب : سألت ابن الأعرابي عن قوله « الحو الموت » . قال : هذه كلمة تقولها العرب مثلاً كما تقول « الأسد الموت » ، أى لقاءه الموت .

و كما تقول « العدو الأزرق » ، أى هو مثل الزرقه التى هى كالحداد على مصيبة الميت ، أى و كما تقول « السلطان ناراً » ، أى مثل النار ، والمعنى احذروه كما تحذروا الموت . قوله تعالى : ” و ياتيه الموت من كل مكان ” وما هو بميت^٢ “ أى مثل الموت فى الشدة و الكراهة ،

١٠ ولو أراد نفس الموت لكان قد مات . قال عمير بن فهير : [٢٥١ : ب]

ولقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

= و ركبت من العظام نها (الكلمة مطموسة) و كفا عن المعاصى فى المستقبل إذ لا يصلح لها العافية و النعمة بل حفظها فى البلاء و البؤس ، فلو أحسنت الأدب عند انكشاف البلاء و لازمت الطاعة و الشكر و الرضا بالمقسم لكان خيراً لها دنيا و أخرى و كانت تجدد زيادة فى النعيم و العافية . - و اعلم أن النفس جوهر بسيط - الخ .

(١) من هنا إلى قوله « و العقل و الأعضاء » بأكله ساقط من بن ، و حل محله ما أوردناه فى الحاشية السابقة من الزيادة بها ، و بعض عبارات المؤلف فيها تكاد تكون غير واضحة و لكننا أوردناها على ما هى عليه فى الأصل ، و منطوقها العام مفهوم .

(٢) قرآن كريم ١٤ : ١٧ .

و في حديث ابن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إياكم
و الدخول على النساء . فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أرأيت
الحمو . قال: الحمو الموت ، معناه النهي أن يدخل على المغيبة صهر ولا
غيره خوفا من الظنون و نزغات الشيطان ، لأن الحمو قد يكون من
غير ذى المحارم . قال الطبري: الحمو عند العرب من كان من قبل ه
الزوج عَمًا كان أو خالا أو أبا، فهم الإخفاء ، فأما أم الزوجة فكان
الاصمعي يقول هي حمة الرجل - انتهى .

فلنرجع إلى ذكر ما قيل في النفس و العقل و الأعضاء^١ . اعلم^٢ أن
النفس جوهر بسيط روحانية بالذات علامة بالقول^٣ ، و هي أضعف من العقل،
و العقل الفعال هو أول ما ابتدعه الباري عز وجل ، و هو جوهر بسيط نوراني^٤ .
غير ذى نهاية . و العقل الإنساني هو^٥ الذي حصل به التمييز لهذه الصورة .
قال أبو الحسن الشاذلي: إن الله تعالى كما خلق الأرض^٦ فأرسلها^٦
بالجبال^٧ ، فقال عز وجل « و الجبال أرسنها^٨ » ، كذلك لما خلق
النفس فأرسلها^٩ بجبال العقل . و قال أيضا: العاقل من عقل عن الله

(١) انتهى هنا ما سقط من بن .

(٢) في بن: و اعلم .

(٣) في بن: بالقوة . - و جائز أن تكون أصبح من بر .

(٤) « هو » مكررة في بر .

(٥) في بن: النفس (مطموسة جزئيا) .

(٦) في بن: فأرسلها .

(٧-٧) ساقطة من بن .

(٨) قرآن كريم ٧٩: ٣٢ .

ما أمر به ومنه شرعا ، والذي ' يريد الله ' بالعبد أربعة أشياء ، إما
 نعمة أو بلية أو طاعة أو معصية ؛ فإذا كنت بالنعمة فالله تعالى يقتضى
 منك الشكر شرعا ، وإذا أراد بك بلية فالله تعالى يقتضى منك الصبر
 شرعا^٢ ، وإذا أراد بك الطاعة^٣ فالله تعالى ' يقتضى منك شهود المنة
 ه و رؤية التوفيق منه شرعا ، وإذا أراد بك معصية فالله تعالى يقتضى منك
 التوبة و الإنابة شرعا ، فمن عقل هذه الأربعة عن الله و كان فيها بما
 أحبه^٤ الله منه شرعا ' فهو عبد على ' الحقيقة بدليل قوله صلى الله عليه
 وسلم : من أعطى فشكر ، و ابتلى فصبر ، و ظلم فغفر . و ظلم فاستغفر
 . . . ثم سكت . قالوا : ما ذاك يا رسول الله . قال : أولئك لهم
 ١٠ الأمن و هم مهتدون . و قال أيضا : يقول الله عز و جل : ابن آدم ،
 خلقت الأشياء كلها من أجلك . و خلقتك من أجلى ، فلا تشتغل بما
 هو ' لك عن من ' أنت له . و قال أيضا : الأكوان كلها عبيد مسخرة ،

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢-٢) مطموسة في بن .

(٣) ساقطة من بن و واردة في بن .

(٤-٤) العبارة ساقطة من بن .

(٥) في بن : أحب .

(٦) في بن : يرسل .

(٧) في بن : ما .

و أنت في الحضرة . ١ قال بعض الصالحين :

ولما أتيت الربع و القلب ذاهل بسلى و نار الحب في القلب تشتعل
و قد لاح من بين الخيام جمالها تنامت به العشاق و الستر مسبل
وقفت فنادت الطلول مسائلا و قلبى على نار الآسى يتعلمل
أسائل عن سلى فهل من مخبر يكون له عليها ١ و ينزل ه
فنادتنى الأكوان و الله ما لنا بهاتيك علم إنا منك أجهل
فو الله ما في الكون من مخبر و لا من لذيالك الحى يتوصل - انتهى .

[ما قيل في القلب]

نعود إلى ذكر ما قيل في القلب : ذكروا أن القلب هو جسم
محيط بالعالم ، و العالم ٢ ما ٣ حواه الفلك . قال النبي صلى الله عليه و سلم : ١٠
لَقَلْبُ ابن آدم أشد انقلابا من القَدْر إذا غلت . و قال عليه السلام :
[٢٥٢ : الف] مثل هذا القلب مثل ريشة بفلاة من الأرض تقلبها
الريح ظهرا لبطن . و قال الشيخ أبو العباس المرسى : قلب ابن آدم
بالنسبة إلى جسده كليلة القدر بالنسبة إلى سنتها ، و قلب كل مؤمن ليلة
قدر جسده ، و ليلة قدر كل سنة قلب عامها . قال في ١ ذلك القائل : ١٥
ما ليلة القدر المعظم قدرها إلا إذا عمرت به أوقاتي

(١-١) هذا الجزء ساقط من برو و وارد في بن .

(٢) مطموسة بالأصل .

(٣) في بن : و ما .

(٤) ساقطة من برو و واردة في بن .

[في أعضاء الجسم البشري]

و سأذكر ' ما قيل في ' الأعضاء إن شاء الله تعالى ' . اعلم أن
 الحدقتين مرأيا الجسد ، و هما نقطتان من الماء صافيتان محبوبتان بين ٣
 غشاوين^١ شفافتان ، و ماؤهما^٢ صالح^٣ لحفظ شحمهما^٤ من التغير . و الأنف
 ه ماؤه كره لاستنشاق^٥ الروائح . و القم ماؤه حلو لاستطعام الطعام^٦
 ' و الماء جسم لطيف سيال شفاف لونه لون إنائه^٧ . و قد يحصل
 لبعضهم تنن القم ، و ذلك إما لعفونة في اللثة و أصول الأسنان ، ' أو
 لمزاج ' رديء في وسط القم و مجارى الخنك من ' رطوبات عفنة ،
 أو لخلط ١٣ غفن في فم المعدة ١٣ . و قد يتنن القم من قرحة الرئة و الصدر .

(١) في بن : قال المصنف رحمه الله تعالى فلنذكر الآن .

(٢-٣) في بن : أعضاء أعضاء (مكررة) الإنسان .

(٣) مطموسة في بن .

(٤) كذا في الأصولين ، و لعل الكلمة « غشاوتين » .

(٥) في بر : و ماؤه . و صحتها في بن كما أوردنا بالنص [١٩٣ : الف] .

(٦) في بن : صالح .

(٧) في بن : شحمتهما .

(٨) في بن : الاستنشاق .

(٩) في بن : الطعوم .

(١٠-١١) الجملة ساقطة من بر و واردة في بن .

(١١-١٢) في بن : و لمزاج .

(١٢) في بن : مع .

(١٣-١٤) ساقطة من بن .

والكرفس يطيب النكهة ويذهب البخر، والأذنين ماؤهما^١ مر
يحفظهما^٢ من هوام تدخلهما^٣، وأيضا لاعوجاج مسالكهما،^٤ وإذا
قطر الخل في الأذن بزيت يسخن نفع من ثقل السمع والدوى
فيها^٥. وأعضاء الإنسان^٦ ثلاثة عشر وهي^٧ الرأس والرقبة والصدر
والبطن والحقوان واليدان والقدمان والفخذان والمرارة والمعدة^٨
والمعاء^٩ والكليتان والأشبان.

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: في الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلا، على كل مفصل
صدقة، وإمطة الأذى عن الطريق صدقة. قالوا: يا رسول الله من
يطبق ذلك؟ قال: النخاعة^{١٠} تدفنها^{١١} صدقة، وإمطة الأذى عن الطريق^{١٢}
صدقة، وركعتا الضحى تكفر ذلك - خرج الزار. وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: مر رجل بغصن شوك على ظهر طريق فقال:
والله لأتحين ذلك عن المسلمين لا يؤذيهم، فأدخل الجنة - خرج مسلم.

(١-١) كذا في بن. وفي بر: لحفظهما.

(٢) في الأصلين: يدخلها.

(٣-٣) العبارة ساقطة من بر وواردة في بن.

(٤-٤) كذا في بن، وفي بر: هي (فقط).

(٥) كذا، ولعل المقصود «الأمعاء».

(٦) في بن: يرسل.

(٧) كذا في الأصلين.

(٨) في بن: تدفنها.

و قال ' صلى الله عليه وسلم : لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة ' في شجرة نخاعا من الطريق كانت تؤذى الناس - خرجہ مسلم . و قال ' أبو برزہ ٣ : قلت يا رسول الله علمني شيئا أتفع به . قال : اعزل ' الأذى عن الطريق . خرجہ البخارى - انتهى .

٥ نعود * - و الأبواب ٦ التى فى الجسد اثنا عشر بابا و هى العينان و الأذنان و المنخران و السبيلان و الفم و السرة و الثديان . و من لطف الله تعالى بعباده جعل الليل و النهار لأن الإنسان مضطر إلى الحركات فى أعماله لمعاشه . [٢٥٢ : ب] و لا ينفك ٨ عن كلال ، فعند ذلك يغلب عليه النوم ، و لا بد له من ذلك لزوال الكلال . و كما ٩ ١٠ قال تعالى : " و من رحمته جعل لكم " الليل و النهار لتسكنوا فيه و لتبتغوا

(١) زيد فى بن : رسول الله .

(٢) مطموسة فى بن .

(٣) كذا فى بن ، و هى فى بر : بررة .

(٤) فى بن : يا نبى ، و فى بر : يرسول .

(٥) فى بن : فلنذكر الآن أبواب الجسد و لطف الله تعالى بعباده .

(٦) فى بن : الأبواب .

(٧) فى بر : اثني . و صحتهما فى بن كما أوردنا بالنص .

(٨) فى بن : بد لقواه .

(٩) فى بن : كما .

(١٠) قرآن كريم ٢٨ : ٧٣ .

(١١) ساقطة من بن .

من فضله". فعين ١ وقتا للنوم ينام فيه كلهم ، وقتا للعاش يعمل فيه كلهم ، ولولا ذلك ٢ لأفضى إلى عسر قضاء حوائج ٣ الناس ، لأن أحدهم إذا طلب غيره وجده نائما - انتهى .

[في وظائف الأعضاء]

نعود ٤ - والقوى ٥ سبعة وهي الجاذبة والماسكة والحاضمة والدافعة ٥ والغاذية ٦ والمنمية والمرئية ٧ . وترجمان النظام خمسة: العين والأذن واللسان والأنف واليد ٨ . وإن صورة الإنسان ٩ تنقسم على أربعة أرباع: الرأس واليدان ٩ والبدن والرجلان . ثم عظامه ١٠ منقسمة إلى مائتي عظم وثمانية وأربعين عظما ، ففي الرأس اثنان وأربعون عظما ، وفي

(١) في بن : فتعين .

(٢) مطموسة في بن .

(٣) في بن : الحوائج .

(٤) زيد في بن : إلى ذكر القوى . وبهامش بر : القوى سبعة .

(٥) في بن : القوى (بدون واو العطف) .

(٦) كذا في بن ، وهي بر : والعادية .

(٧) بدون نقط في بر ، ويأوها الثانية منقوطة في بن فأضفنا الهمزة على الأولى

وهي تحذف عادة في الأصل .

(٨-٨) في بن : والصورة الإنسانية .

(٩) في الأصلين : اليدين .

الربع الثاني وهو 'اليدان اثنان وثمانون' عظمًا، وفي الربع ٢ الثالث وهو البدن أربعون عظمًا، وفي الرابع وهو الرجلان أربعة وثمانون ٣ عظمًا. ثم خلق الله سبحانه لهذه العظام رباطات تمسكها بعدة عروق ٤ للشكل الإنسانى ٥ ثلاثمائة ٢ وستون عرقًا، وبهذه العروق تكون الحركة والقبض ٥ والبسط، فرأس هذه العروق فى الفؤاد، وهو ٦ العرق المسمى بالثياط ٥ والآهر ٧، ومنزله مع القلب بمنزلة الحاجب لللك ٨، يلتقف ٩ أمره، ثم يخرج به إلى الخدمة، ثم هذا العرق متصل بالمعدة يمتص منها قوة الطعام والشراب اللذين ١٠ يدخلها ثم يقسمها بين الكبد والمرارة ١١ والطحال. وخلق العرق الآهر مستبطن الصلب، وهو آخذ من مجمع

(١-١) مطموسة فى بن .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) فى بن : وثمان .

(٤) فى بن : بعد .

(٥-٥) فى بن : الشكل للإنسان .

(٦) فى بن : وهى .

(٧) بهامش بر : العروق .

(٨) كذا فى بن . والكلمة فى بر : لال .

(٩) فى بن : يلتقف .

(١٠) فى بن : اللذان .

(١١) فى بن : والمرارة .

الكامل^١ إلى مجمع الوركين إلى^٢ مجمع الحالبين إلى مجمع الصدر^٣
 بين الترقوتين ، و هو نهر الجسد الأعظم^٤ ، و هو مقسوم لأربعة عروق
 لأجزاء الجسد الأربعة ، لكل جزء منها عرق^٥ ، فللرأس منها عرق يتفرق
 إلى مائة عرق ، واليدين كذلك ، وللطرف عرق (يتفرق^٦) إلى
 ستين عرقا ، وللظهر كذلك ، وللرجلين عرق يتفرق إلى مائة عرق . هـ
 والجزء الأول من النهر الأول و هي أربعة أنهار يتفرق^٧ منها عرقان من
 مجمع السكاهل يسقيان العنق ، و يتفرق من مجمع الصدر بين الترقوتين
 عرقان يصعدان إلى العنق و هما الودجان ، ثم يتفرع من كل واحد منهما
 عرقان ، ثم جميع^٨ هذه العروق ينبعث منها^٩ الغذاء إلى كل عضو في
 الرأس من الشفتين وغيرها ، و أما عروق اليدين من الربع الثاني و هو أحد ١٠
 الأنهار الأربعة [٢٥٣ : الف] من النهر الأعظم يتفرق منه عرقان^{١٠} ،
 فان لكل يد عرقا^{١١} من مجمع^{١٢} الصدر بين الترقوتين إلى بين المنكبين

(١) في بن : الكامل .

(٢) في بن : و إلى .

(٣) في بر : الصدرين . و صحته في بن كما أوردنا بالنص .

(٤) ساقطة من بن .

(٥-٥) في بن : فالرأس لها .

(٦) ساقطة من الأصلين و ذكرها لازم لاستقامة المعنى .

(٧) في الأصلين : تنفرق .

(٨) في بن : فيها . (٩) في بر : عرقا .

(١٠) في الأصلين : عرق .

وهما الإكحال^١، ثم يتشعب من كل واحد منهما أربعة^٢ عروق سواهما،
 فتسقى العضدين وأجزاءهما، وذلك عشرة عروق، لكل يد خمسة عروق،
 ثم يفترق^٣ من كل واحد من العشرة أربعة تسقى الساعدين، فذلك خمسون
 عرقاً، لكل ساعد خمسة وعشرون عرقاً، وعرق آخر يسقى الكفين
 هـ والأصابع. وأما الجزء الثالث فالبطن يفترق منها عرقان من مجمع
 الحالبين إلى اليد^٤، يفترق من كل واحد منهما تسعة وعشرون^٥ عرقاً
 سواهما يدفعان^٦ إلى كل جزء حصته، فليلدين أربعة وثلاثون، ولسائر
 البطن ستة وعشرون، للمعصص عرقان. وأربع عروق للذاكير،
 واثنان للكليتين، واثنان للثانة، واثنان للامعاء، واثنان للكبد،
 ١٠ واثنان للطحال، واثنان للفؤاد، واثنان للبرادة، واثنان للرئة، وثلاثون
 للأضلاع^٨، لكل ضلع عرقان، واثنان للثديين^٩.

(١) في بن: الإكل.

(٢) ساقطة من بن.

(٣) مطموسة في بن.

(٤-٤) الجملة ساقطة من بن.

(٥) كذا في بر، وهي في بن: البدن. - وجائز أن يكون ذلك الصواب.

(٦) في بن: وعشرين.

(٧) في الأصلين: يدفعون.

(٨) في بن: للامتناع.

(٩) في الأصلين: للثديان. - وقد زيد هنا في بن ما يلي: قال ابن الجوزي: يا هذا

تدبر وتيقن أنك سكب من صلب صلب على رياض أرض الشهوة... =

فلنذكر الآن ما قيل في الرضاعة ١ . جاءت لليث ٢ بن سعد امرأة
فقلت له : أريد الحج وليس لي محرم . فقال : اذهبي إلى امرأة رجل
ترضعك من ثديها ، فيكون زوجها أباك من الرضاعة ، فتحجبن
معه ٣ . واحتج بما في الصحيح من حديث عائشة ٤ قالت : دخل عليّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي رجل قاعد فاشتد ذلك عليه ، هـ

= (مطموس) ... حلتها يد القدرة ، شق سمعها وبصرها وهي دم مطموس
في دم الحيض من غير ملامسة ... (مطموس) ... النطفة ... (مطموس)
... كن الصلب حركتها أنامل الشهوة بإيقاع لذة الواقع فوقعت في طابق
المطابقة في مجلس الرحم خلعت عليها ... التقدير خلعة علقه ثم ردتها برداء مضغة
ثم نسجتها يد القدرة على منوال التطريز ثم خرجت من حمل ... لقد خلقنا الإنسان
في أحسن تقويم فينما هو في لطف طفل درج به مدرج إنسان فإذا هو خصيم
مبين كم دار في تدوير أدواره من فلك وكم سبج في تطوير أطواره من ملك
وكم نطقت في معناه في المعاني وكم ذهلت في افئان معناه من ألسنة المعاني لكي
اطروس الغفلة ما يسمع هذه لحظة ... وصف الظاهر فكيف له ... معنى
الباطن . انتهى (وقد اكتفينا بنسخها حرفيا على قدر المستطیع بما فيها من
غموض لفظي) .

(١-١) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٢) في بن : الليث .

(٣) هامش بر : تف على هذا الحكم العجيب والنقل الغريب .

(٤) ساقطة من بن .

فأبى الغضب في وجهه . قالت : ١ فقلت يا رسول الله إنه أخى
من الرضاعة . قالت فقال : انظرن أخواتكن من الرضاعة فإن
الرضاعة من المجاعة . وقالت عائشة ٢ : جاءت سهلة ٣ بنت سهيل إلى
النبي صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله إني أرى الغضب في وجه
هـ أبي حذيفة تعني زوجها من دخول سالم وهو حليفه ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : ارضعيه . قالت : وكيف أرضعه وهو رجل كبير .
فقبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد علمت أنه رجل كبير .
وفي رواية : ارضعيه تحرمي عليه ويذهب الذى فى نفس أبى حذيفة .
و احتج من قال إن الكبير ليس بمحتاج للرضاعة ، فانه ليس لها فى
١٠ ذلك تأثير كما أنه أبى سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخلن
عليهن أحدا بتلك الرضاعة ، و قلنا لعائشة : والله ما نرى هذه إلا رخصة
أرخصها لسالم خاصة ، فما هو ٧ داخل علينا ٦ أحد بهذه الرضاعة ولا رأينا -
اتهى .

(١-١) فى بن : قات رسول .

(٢) زيد فى بن : رضى الله عنها .

(٣) ساقطة من برو واردة فى بن .

(٤-٤) ساقطة من برو واردة فى بن [١٩٤ : الف] .

(٥) فى بن : بأنه .

(٦-٦) فى بن [١٩٤ : الف] : كما روى أن أبا سالم (بياض)

أزواج النبي الخ . - ولغظة « كما » فى برو لما .

(٧-٧) فى بن : بداخل عليها .

نعود^١ - وأما الجزء الرابع وهما^٢ الرجلان ففيهما الوتين عرق
يفترق منه عرقان وهما عرقا "فخذين"، لكل فخذ عرق من^٣ مجمع الوركين
يسقيان الفخذين وأجزاءهما. [٢٥٣: ب] ويفترق^٤ كل واحد منهما أربعة
عروق^٥ ثم يفترق من الأربعة خمسون^٦ عرقا. يفترق من الساقين كل ساق
خمس^٧ وعشرون عرقا. واعلم أن "غذاء" إذا استقر في المعدة طبخته الكبد
وهي حارة رطبة لاصقة للمعدة^٨ من الجانب الأيمن. تمتص منها من صفو
الغذاء كل حار رطب لمشاكتها^٩. فتصفيه بجوهرها وفيها أنابيب كالمصفي^{١٠}
فتجذبه العروق فتقله و تسرى فيها إلى حيث ما تقدم. وأما المرارة فهي
معدن يخلط (كذا) يقال له لمرة الصفراء. وهي حارة يابسة لاصقة بالمعدة
من الجانب الأيمن مما يلي الكبد تمتص منه من صفو الغذاء كل حار يابس^{١١}.
للاشاكلية، فتصفيه بجوهرها، ثم تجذبه "العروق" كما ذكرناه. والخلط

(١) زيد في بن: إلى ذكر بقية أجزاء ابن آدم.

(٢) في بن: وهو.

(٣) في بن: يمتد إلى.

(٤) زيد في بن: من.

(٥) مطموسة في بن.

(٦) كذا في بن، وهي في بر: خمسين. وبهامش بر: الغذاء إذا استقر في المعدة.

(٧) في بن: بالمعدة.

(٨) في بر: لمشاكتها. وأغلب الظن أن الصواب ما أوردنا في النص عن بن.

(٩) ساقطة من بر، وهي في بن: كالمصفا.

(١٠) بهامش بر: المرارة. (١١) في بن: تجذبه.

الثاني المرة السوداء ومعدنها الطحال ، وهو بارد يابس لاصق بالمعدة^٢
 من الجانب الأيسر فيمتص من الغذاء كل ما يشاكله . والخلط الثالث
 البلغم وهو بارد رطب ، ويلى الرئة عرق يمتص من الغذاء ما شاكلها^٣
 والخلقوم رأس الرئة على طبيعة الطحال ، وهو معدن النفس ، والمنخرة^٤
 ه رأس الخلقوم مغطاة بطبق واللهاث^٥ مدلات عليه . والخلقوم مجرى
 النفس ، والمرئى مجرى الطعام والشراب . والقلب^٦ فى الجانب الأيسر
 تحت الثدي الأيسر^٧ . قال الشيخ أبو العباس المرسى : لو صفت القلوب
 والأسرار ، لشاهدت الجنة والنار . وأما الرحم^٨ فهو فى الجانب الأيمن
 ملاصق لعروق^٩ الفؤاد ، وهو معدن الشهوة ، والمعدة معتدلة المزاج
 ١٠ كالقدر ، وتلك الأوعية لها كالآثافى ، ولها فنان مدخل ومخرج ، وهو

(١) كذا فى بن ، وهى فى بر : المرارة .

(٢) كذا فى بن ، وهى فى بر : ومعدنه .

(٣) ساقطة من بن واردة فى بر ، وبهامش بر : الأخلاط .

(٤) فى بن : يشاكله ، وبهامش بر : الرئة والخلقوم .

(٥) فى بن : الجرية .

(٦) فى بن : والمنجده .

(٧) فى بن : واللهاة .

(٨-٨) مطموسة فى بن .

(٩) بهامش بر : الرحم .

(١٠) فى بن : بعروق .

مسلك المرئى إلى الفم ، والفم الثانى من تحتها يخرج منه الأثقال^١ وتخدم^٢ أربع قوى^٣ إحداها جاذبة ، والثانية ممسكة ، والثالثة هاضمة ، والرابعة دافعة . فأما الجاذبة^٤ فهي حارة رطبة تقوى الدم وتجذب^٥ الطعام و الشراب من^٥ الفم إلى المعدة ، وكل ما شاكلها تصيره دما ، وهى منحدره من أسفل المعدة إلى أسفل البطن^٥ : فتخرج غير متغيرة المشم تشارك ريح الجنوب . •
وأما الماسكة فباردة يابسة تقوى المرة السوداء ، وتمسك الطعام و الشراب فى المعدة ، ولا^٦ سيل إلى المعدة^٦ أن تمسك شيئا دونها ، فتخرج متغيرة المشم تشبه الريح^٧ الشمال ، وهى على مضادة الجاذبة فبدلك يعتدلان .
وأما الهاضمة فتقوى المرة الصفراء ، فتستقر فتعضم الطعام بالحر ، وتعينها الكبد فتصفية فى المعدة إلى الفم متغيرة^٨ المشم ، وهى حارة يابسة ١٠
كريح الدبور . وأما الدافعة [٢٥٤ : الف] فباردة رطبة تقوى البلغم وتدفع الطعام و الشراب من المعدة إلى الأمعاء إلى الأعفاج إلى الأرض

(١) فى بن : الأثقال .

(٢) كذا فى بن ، والكلمة فى بر : وتحرم .

(٣) بهامش بر : القوى .

(٤) زيد فى بر : فهي جاذبة . - ولا وجود لها فى بن وهو الصواب .

(٥) مطموسة فى بن .

(٦-٧) العبارة ساقطة من بن .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

(٨) فى بن : فتغيره .

وهي باردة معادلة لريح الصبا . وإذا كان في الفؤاد رياح ودود ونخمة
يؤخذ ١ من السنا المكي أوقية ومن الشمار أوقية ٢ أنسون أوقية ٣ ومن
الشيح نصف أوقية وعرق سوس نصف أوقية ٣ ، زر ورد درهم ،
٣ مصطكي نصف درهم ، عود ريج درهم . كمن أبيض نصف أوقية .
٥ يدق الجميع ويخلط بمثل نصفه سكر ، ويستعمل بعد ذلك سفوفا ، يؤخذ
منه عند النوم قليلا ، وعلى الريق قليلا ، نافعا مجربا .

واعلم أن الغذاء لا يصير جزءا من المتغذى حتى يعمل فيه عدة من
الملائكة ، ومعنى التغذى أن يصير جزءا من الغذاء جزءا من المتغذى ،
فإن الغذاء لا يصير دما ولحما وعظما بنفسه ، كما أن القمح بنفسه لا يصير
١٠ طحينا وعجينا وخبزا حتى تعمل فيه الصناعات ، فصناع الظاهر أناس ،
وصناع الباطن ملائكة ، فقد أسبغ الله عليك يا ابن آدم نعمة ظاهرة

(١) في بن : يؤخذ .

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة في بن [١٩٤ : ب] .

(٣-٣) العبارة ساقطة من بن .

(٤) في بن : سكر .

(٥) في الأصلين : جزءا .

(٦) في الأصلين : بنفسها .

(٧-٧) في بن : فظاهر الصناعات الناس .

(٨) في بن : فكيف .

(٩) زيد في بن : تعالى .

و باطنة ، فانه لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم و العظم ، فان
الغذاء لا يتحرك بنفسه ، ولا بد من ثان يمسكه حتى تعمل فيه الحرارة
بغير ما ، ثم لا بد من ثالثة^١ تكسبها صورة الدم^٢ ، ثم لا بد من رابع^٣
يدفع القدر الفاضل عن الغذاء ، ثم لا بد من خامس يميز العظم واللحم
و العروق و ما^٤ يليق بها ، ثم لا بد من سادس للصق^٥ ما اكتسب صورة هـ
العظم بالعظم و ما اكتسب هـ صورة اللحم باللحم ، ثم لا بد من سابع
يراعى المقادير في الأالصاق ، فليحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته ،
و بالعريض ما لا يبطل^٦ عرضه ، و بالمجوف ما لا يبطل^٧ تجوفه ، و يحفظ
على كل واحد مقدار حاجته و يدفع الزائد ، فانه لو جمع على الأنف
^٨ من الغذاء مقدار^٩ اللحمه للفخذ تشوهت الصورة ، بل ينبغي أن
يسوق^{١٠} إلى الأجفان رقيقها ، و إلى الحدقة صافها ، و إلى الأنف
غليظها ، و إلى أعظم صلبها ، مع مراعاة القدر و الشكل و إلا بطلت

(١) في بن : ثالث .

(٢) مطموسة في بن .

(٣) كذا في بن ، و الكلمة في بر : دافع . - و هي جائزة أيضا .

(٤) في الأصلين : لمضيق ، و هو خطأ فني لا ينسجم مع سياق الحديث يتضع

من عبارات قادمة في النص .

(هـ-١) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦-٧) في بن : مقدار . و هي مطموسة جزئيا .

الصورة ، فلو لم يراع^١ هذا الملك^٢ الموكل به هذا القسط فساق الغذاء إلى جميع البدن ولم يسق إلى رجل واحدة مثلاً فتبقى تلك الرجل كما كانت في أيام الصغر وكبر جميع البدن ، فترى^٣ شخصاً في ضخامة رجل وله رجل كأنها رجل صبي صغير ، فلا ينتفع بنفسه ألبتة فإعادة هذه الهندسة هـ 'مفوضة إلى هذا الملك ، فهذا^٤ حال بعض الملائكة الموكلين بيدن بني آدم مشغولين بك وأنت في النوم [٢٥٤ : ب] أو تتردد في الغفلة ، وهم يصلحون بذلك .

روى أبو أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : وكل بابن آدم مائة وستون ملكاً يذبون عنه كما تذبون^٣ الذباب عن قصعة ١٠ العسل في اليوم العاصف - انتهى .

نعود - وصلاح الأمزجة وفسادها تابع^٦ لما تقدم^٦ بين^٧ الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة . والعلم الطبيعي لإصلاحها هو فائدته وغرضه . واعلم أن الغضب جرة في القلب ، أما رأيتم حمرة في عينه وانتفاخ أوداجه ، فمن أحس بشيء من ذلك فليصق بالأرض والنفس

(١) في الأصلين : يراعى .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) مطموسة في بن .

(٤-٤) العبارة مطموسة في بن .

(٥) في بر : وفساد . وصحتها في بن كما أوردنا بالنص .

(٦-٦) في بن : لها تعد .

(٧) في بر : من . والأصح في بن ما أوردناه بالنص .

يكسب 'بمجاورته من الطبايع' ملكة أى قوة عند غلبة السوداء إلى غير ذلك كما يتشبه 'الرفيق من رفيقه' ، ومتى كانت هذه الطبايع جارية على اعتدال كانت النفس أخرى إلى السلامة ، وجميع هذا كله بتقدير الله سبحانه وتديره ، ففى تأمل ٣ هذا القصد المحكم ، والترتيب المنظم ، ومعادلة بعض القوى لبعض ، وكيف خلقت اليد للبش ، واللسان ه للكلام ، والحدقة للرؤية ، وكيف خلقت على شكل ملائم . و خلقت ' ماء جامدا فى أغشية لطيفة مكثفة * بالأجفان . وجعل للأجفان أهداب تقيها المغيرات والنور الكثيف أن يغشاها ، وكل ذلك دال على أن هذا 'الصنع العجيب' ، والأمر الغريب . مدبر ' دبره ' و عالم ' ألقنه ، وأن الصانع هو المخترع لتلك الصورة ، فتبارك الله ' تعالى لا إله إلا هو ١٠ سبحانه لا إله غيره ' .

(١-١) مطموسة فى بن .

(٢) فى بن : رفيقه .

(٣) فى بن : تؤمل .

(٤) فى بن : تفلقت . - وبهامش بن : العينين .

(٥) فى بن : مكثفة .

(٦) فى بن : لهذا .

(٧) فى الأصلين : مدبرا .

(٨) فى بن : يدبره .

(٩) فى بن : وعلمها . وفى بن : وعلاها .

(١٠-١١) فى بن : سبحانه لا إله إلا هو .

[حمد الله على ثمانية]

فيجب على الإنسان أن يحمد الله تعالى من ثمانية^١ أوجه : الأول
 ان^٢ أوجده من^٣ العدم ، الثاني أن خلقه حيوانا ولم يخلقه جمادا ،
 الثالث أن خلقه ناطقا ولم يخلقه غير ناطق ، الرابع^٤ أن خلقه ذكرا
 ه ولم يخلقه أنثى ، الخامس أن^٥ خلقه مسلما ولم يخلقه كافرا^٦ ، السادس
 أن جعله سنيا ولم يجعله بدعيا^٧ ، السابع أن جعله من أهل العلم ولم يجعله
 من أهل الجهل ، الثامن أن جعله لمعرفة هذه الرتب أو^٨ كلاما ذا معنى .

[وظيفة العين و الأذن و اللسان]

واعلم أن العين^١ خلقت لتهتدى بها في الظلمات ، وتستعين بها في
 ١٠ الحاجات و تنظر بها إلى عجائب ملكوت الأرض و السموات ، و تعتبر بما
 فيها من الآيات و الأذن خلقت لتسمع بها كلام الله^٢ و سنة نبيه و حكمة
 أوليائه و يتوصل باستفادة العلم إلى الملك المقيم و النعيم الدائم . قال الشيخ

(١) بهامش بر : يجب على العبد أن يحمد الله تعالى من ثمانية أوجه .

(٢ - ٣) مطموسة في بن .

(٣ - ٣) في بن [١٩٥ : الف] : جعله مسلما ولم يجعله بدعيا .

(٤ - ٤) العدد السادس ساقط من بن .

(٥ - ٥) مطموسة في بن ، وفي بر الكلمة الأخيرة : معناه .

(٦) من بن ، وفي بر : العينين .

(٧) زيد في بن : تعالى .

أبو العباس المرسى رحمه الله: إذا تكلم العارف بكلمة غاب^٢ فيها [٢٥٥: ألف] وجود المستمع لأن الكلام ذكر والسمع أثنى^١، والرجال قوامون على^٣ النساء، لو تنفس العارف^٤ في بلدة ثبت أيمان^٥ كل عبد فيها^٥. وأما اللسان فانه خلق لتكثر به ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه، وترشد^٦ به خلق^٢ الله تعالى إلى طريقه، وتظهر به ما في ضميرك من حاجات دينك^٥ ودنياك واعلم أن الألسنة ثلاثة: لسان نقل عن لسان، ولسان نقل عن قلب، ولسان نقل عن غيب. فالناقل عن لسان حال، والناقل عن قلب عالم، والناقل عن غيب عارف. فلسان اللسان هواء^١ عن هواء^١، ولسان القلب داع إلى هدى^٦، ولسان الغيب يشير إلى عالم المحو والفناء^٧. انتهى^٤.

١٠. [ما قيل في الأزمنة والطبائع]

فلنذكر الآن ما قيل في الأزمنة والطبائع إن شاء الله تعالى اعلم أن الأزمنة أربعة: الربيع والصيف والخريف والشتاء. فالزمان الأول

(١ - ١) ساقطة من بن . (٢) مطموسة في بن .

(٣) ساقطة من بر واردة في بن . (٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥) في الأصل: يرشد . (٦) في بن: الهدى .

(٧) في بن: الفناء .

(٨) هذا القسم ابتداء من « فلنذكر الآن » [بن ١٩٥ : ألف] لغاية « وقد يستفرغ البلغم بالقيء » فيما بعد ساقط بأكله من بن ويستأنف الكلام في كلا الأصلين عند « اعلم أن أفعال القوى » [بر ٢٥٦ : ألف] وقد حاولنا نسخ هذا الجزء حرفياً كما هو في المخطوط وهو مملوء بمشكلات مواصفات الطب القديم التي لا علم للناشر بها .

الربيع ، و هو طيبة الدم حار رطب . و الزمان الثانى الصيف و هو حار يابس سلطانه المرة الصفراء . و الزمان الثالث الخريف و هو بارد يابس سلطانه المرة السوداء . و الزمان الرابع الشتاء و هو بارد رطب سلطانه البلغم . ف شبه فصل الربيع بفصل الطفولية حار رطب ، و فصل الصيف بالشباب حار يابس ، و الخريف بالكهول بارد يابس ، و الشتاء بالشيخوخة بارد رطب . و للدم و الصفراء و السوداء و البلغم علامات . فان غلب الدم فنعاس و ثاؤب و تمطط و حك مواضع الفصد و ظهور بتور دموية و حلاوة الريق و الرؤيا فى المنام و اللهوء و الطرب و الألوان الحمر ، و الرعاف الكافور المذاب فى ماء الورد و ماء الخيار و يسعط به ١٠ فانه يقطع الرعاف . و إن غلبت الصفراء فحرارة القم و العطش و خشونة اللسان و جفاف الأنف . و استلذاذ النسيم البارد و ضعف شهوة الغذاء و نارية البول و ظهور آثار الصفراء فى القيء و البراز و رؤيا الطيران و النيران فى المنام . و إن غلبت السوداء فتمحل البدن و كمودته و احتراق المعدة و قوة شهوة الغذاء و سهر و وسواس و رؤيا الآيات و المخاوف . ١٥ و إن غلب البلغم فيياض البول و كثرة الريق و ضعف الهضم و الجشأ الحامض و الترهل و كثرة النوم و رؤيا المياه و الثلج . يؤكد هذه العلامات الفصل و البلد و السن ، فتمى غلب الدم وحده أو مع غيره فاستفراغه بالفصد أو الحجامة ، فان تخلف بعده سوء المزاج حار رطب

(١) فى الأصل : الالهو .

فيعدل [٢٥٥ : ب] باستعمال المبردات القائمة مثل شراب الورد الطرى والقراصيا والحماض والليمون أو التمرهندى أو الحصرم أو الرمان أو الهندبا أو العناب أو السكنجيين أو التفاح. وإن كانت الطبيعة لينة جدا فشراب الآس أو السفرجل أو الورد الأزرار، وإن كانت مصقلة فشراب الورد المكرر بمائه وبماء النوفر، ويحذر من الشديد المحوضة حيث يكون ٥ الصدر أو العصب أو الأمعاء ضعيفة، وعند السعال بالخس و الهندبا بالحل و السكر أو الرجلة و هى البقلة الحماة و سويق الشعير بالسكر أو فروج بماء الحصرم أو بحب الرمان ١، وإنما تستعمل الفرائج عند ضعف القوة، ومتى غلبت الصفراء فيستفرغ بمطبوخ الفاكهة و صفته : إجاص أوقيتان، قراصيا و عناب و تمرهندى من كل واحد أوقية، زهر بنفسج و سنامكى ١٠ من كل واحد خمسة دراهم، خطمية مقشورة أربعة دراهم، ينقع ليلة و يغلى و يلقى عليه سبع زهرات نيلوفر و سبع زهرات ورد نصيينى إن وجد، و يصنى على عشرين درهما شيرخشك و عشرة دراهم ترنجبين أو ثلاثين درهما ورد نصيينى مكررا و ثلاثين درهما سقر بنفسج، و إن احتمل الحال أكثر من ذلك، فيصنى عليه خمسة عشر درهما لب ١٥ خيار شنبه ممروش بدرهم دهن لوز حلو، و يصنى على أوقيتين سكر، و يشرب سحرا و يفرك عليه خروبينى محمودة لتقوية فعله و إسراعه، و إن تأخر عمله يحرك بماء أغلى فيه شمار أخضر و خطمية مقشورة وحده أو مع سكر و يتقيا عند منتهى فعله، و يغسل الوجه و الأطراف بماء بارد

(١) فى بر: بالحب رمان .

مع نصف درهم بزر قطونا صحيح ، و يغتذى بعد ساعتين بمزورة رشتا
 دقيقه خميرا و بسويق شعير مغسول محلى بشراب ورد طرى . و متى غلبت
 السوداء استفرغ بمطبوخ الأفيمون و هو مطبوخ الفاكهة يزداد عليه
 بسفانج مجرود مرضوض ستة دراهم ، إهليلج كابل مرضوض أربعة دراهم
 ٥ غاريقون مقطع مثقال ، و يلقى عليه في آخر الطبخ ستة دراهم أفيمون
 اقريطشى مبسوس بدهن لوز حلو في صرة كتان رخوة ، و يدر على وجه
 القدح نصف مثقال راوند و نصف درهم حجر أرمنى مصول ، و يفرك
 عليه المحمودة أو يستفرغ بسفوف السوداء ، يؤخذ منه سبعة دراهم مقواة
 بخروبتين محمودة ، و يحرك و يقطع كما تقدم ، و يغتذى [٢٥٦ : الف]
 ١٠ بدجاجة سمينة مصلوقة . و متى غلب البلغم فيستفرغ بمثقال غاريقون
 أو درهمين وحده ، اما أن يلقى بشراب الليمون ، أو يعمل حبا يلع بحلاب
 و يحرك بعد بلعه بمغلى من عرق سوس مجرد مرضوض و شمار أخضر
 و خطمية مقشورة . و يصنى على سكر ، و يستفرغ بمثقالين أيارج لوغاذيا
 مقواة بمثقال غاريقون و خروبتين محمودة و يحجب بدهن لوز ، و يلسع
 ١٥ بحلاب سحرا ، و يحرك بالمغلى المذكور ، و يتقيا عند منتهى فعله ، و يقطع
 بأوقيتين شراب تفاح بماء لسان ثور مع نصف درهم بزر ريحان صحيح ،
 و يغتذى بدجاجة مصلوقة ، و قد يستفرغ البلغم بالقيء .

و اعلم^١ أن أفعال القوى الطبيعية هضم الغذاء و استمراؤه^٢ و دفع

(١) هنا يستأنف الكلام في كل من بر و بن معا .

(٢) كذا في بن ، و الكلمة في بر : و استمواره .

فضلاته . 'و البول يدل على ١ هضم السكيد و العروق ، 'و أجود البول ما كانت ١ أجزاؤه كلها متشابهة في اللون و القوام ، و أجود أبوال المرضى ما أشبه بول ٢ الأصحاء ، و البول الصحي ٣ هو الأصفر اللون المعتدل ٣ القيام ' الذي يظهر فيه رسوب محمود و هو الأبيض الأملس المستوى غير كرية الرائحة ' الذي يبال كدرا و يبقى على حاله ، ثم الذي ٥ يبال صافيا و يتكدر ، و أزكاها الرقيق الشبيه بالماء الذي يبقى ١ على حاله . و كل بول غير الأبيض و الأصفر و الأحمر دال على الهلاك . 'و أعلم أن الإنسان دائما في الدنيا سائرة إلى الموت . قال الشاعر :

و من عجب الأيام أنك قاعد على الأرض في الدنيا و أنت تسير
تسير الليالى بالفتى لا يحسها من الناس إلا عاقل و بصير ١٠
فإن آدم في الدنيا مثله كمثل فرخ في عشه ' ، فإذا استوى ريشه طار

(١-١) مطموسة في بن .

(٢) في بن ابوال .

(٣) الكلمة مطموسة في بن .

(٤) في بن القوام - و ربما كانت الأصح .

(٥) زيد في بن : ثم .

(٦) في بن : سارا .

(٧) في بن : عش .

و تركه بطيرانه إما لصلاحه أو لفساده ، و ما يعلم ما يراد به ، ابل دخل الدنيا مضطرا ، و عاش فيها حائرا ، و خرج منها كارها مع ما يقاسى في دنياه من الهموم و الأتكال ، و ما يبلغه من القول في فتنة الموت و فتنة ٢ القبر و الحساب و المعاد ٣ . قال أبو العلاء ٢ المعرى ٤ :

٥ نعذب في البطون و ما جنينا ٢ و يذبح في حشا الأم ٦ الحوار
و ننظر الرزايا و البلايا و أما بالوعيد لنا انتظار
فكانت نعمة لو أن كنا نخير ٧ بعد ذا أو نستشار ٨

(١-١) العبارة مطموسة في بن .

(٢) الكلمة مطموسة في بن .

(٣) في بن : في المعاد .

(٤) في بر : المعزى .

(٥) مطموسة في بن ، و في بر : يربح .

(٦) في بن : الأيام .

(٧) في بن : نخيرو .

(٨) زبدت هنا في بن [١٩٥ : الف - ب] العبارة الآتية آثرنا إدراجها بالهامش

نظرا لما فيها من خيل و لأنها على هامش موضوع الكتاب : و اعلم أن أزواج المؤمنين يتعاهد (كذا) بعد الموت بحفرة صاحبها عند كل مساء فيما فيه من لطيف القدرة ، يعلم الميت بزائره ، و يجد التمتع في قبره ، و أرواح المؤمنين في قناديل تحت العرش يرون أهلها على قدر منزلته من الله في صورة طائفة ، و منهم من يزور في كل جمعة ، فيستر عنه القبيح ، و يبرز له الحسن ، فيسره . و قيل أوصى الله تعالى إلى داود عليه السلام : يا داود حيثنى إلى عبادى . فقال الهى =

[حكاية تشتمل على فرج بعد حرج]

حكاية تشتمل على فرج بعد حرج ، و حدوث حزن بعد سرور^١ .
 حكى [٢٥٦ : ب] أن الإفرنج^٢ حين ظفروهم بالإسكندرية قبض بعضهم
 على جماعة نسوة ، حملوا كل امرأة منهم كارة مما نهبوه ، و صاروا يسوقونهن
 بين أيديهم ، و على رأس إفرنجي منهم كارة كبيرة أثقلته ، فصادفوا مسلما ه
 قبضوه وحملوه ما على رأس الإفرنجي ، و صاروا طالين باب البحر ، فارتخت
 الكارة التي على رأس المسلم من ثقلها في بعض الشوارع منعت نظر الطريق^٣ ،
 فقال للإفرنج : قد انحلت هذه الكارة و ارتخت فاربطوها حتى أسير بها ،
 'فأنزلهما عنه الإفرنج' و اشتغلوا بعقدها ه و ربطها ، فقر المسلم هاربا ه ،
 و رمت امرأة من النسوة ما على رأسها و تبعته ، فتركها^٤ الإفرنج لما هم أهم ١٠

= و سيدى وكيف أحبك إلى عبادك ؟ فقال : ذكرهم نعمتى عليهم ، و إحسانى
 إليهم . قلت : يا رب هذه رحمتك للأحياء فما الذى أعددت للوتى ؟ فأوحى الله إليه :
 يا داود لم اكن (مطموسة) . . . عنهم وهم أحياء يرزقون ، وكيف
 أنساهم وهم تحت أطباق الثرى و مغبون ؟ يا داود لو أجاب لأهل القبور في
 جوابك لأخبروك أن لطفى بهم بعد مماتهم أعظم من لطفى بهم في حياتهم - انتهى .

(١) زيد في بن : و ظفر .

(٢) في بن : الفرنج .

(٣ - ٣) الكلمة مطموسة في بن .

(٤ - ٤) في بن : فأنزلوها . و في بر : « فأنزلتها » موضع « فأنزلها » .

(٥ - ٥) مطموسة في بن .

(٦) في الأصل : فتركها .

به منها^١، فصادف^٢ مدرسة مفتوحة الباب، دخلها^٣ وتوصلا إلى مبيضتها^٤، واختفيا بيت ماء غلس بها، وكانت المرأة^٥ عليها ملاءة^٦ ملتحفه، فنظر الرجل وإذا عليها ثياب حرير وقلائد ذهب وعنبر وفي يديها أساور الذهب^٧، فراودها عن نفسها فامتنعت بالعفاف^٨ والصون^٩، وقالت: أنا بنت بكر لا أعرف الرجال أبدا. فسألها عن أمرها^{١٠} فقالت: لبست ما تراه على، وقصدت الهروب به مع النسوة^{١١} التي رأيتهن قاصدات باب البحر لتنجوا من الأسر فوقعنا فيه بمصادقة الإفرنج^{١٢} لنا، فلما استأسروا حملونا ما كنا حاملينه^{١٣}، وهذا الذي تراه على شورني به أبي، وليس لأبي غيري^{١٤} ولا لي غيره ولا أدري أحي هو أو قتل أو أسير. قال الرجل: فتعجبت ١٥ من أمرى وأمرها في الخلاص من الأسر، وأقننا خائفين بقية يومنا

(١) الكلمة مطموسة في بن .

(٢) في بن : فدخلها .

(٣) في بن : مبيضاتها .

(٤ - ٤) ساقطة من بر: و واردة في بن .

(٥) في بن : بالورع والعفة .

(٦) ساقطة من بن .

(٧ - ٧) في بن مطموسة .

(٨) في بن : الإفرنج .

(٩) في بن : حاملينوه .

(١٠) في بن : غير .

من يدخل علينا من الإفرنج ليستأسرونا^١ أيضا . فلما دخل الليل خرجنا من المدرسة ، و مضينا في^٢ الظلمة نعثر في القتل إلى أن خرجنا من باب رشيد ، اذ هو كان مفتوحا قد خرج^٣ المسلمون منه ، و^٤ لم تفهمه^٥ الإفرنج بعده عنهم في الجهة الشرقية من الإسكندرية ، و اشتغالهم بنهب الجهة الغربية . قال فرنا حتى أتينا خليجها الذي بظاهرها ، فجلسنا مستأنسين^٥ بمن وجدناه هناك من المسلمين الشاردين ، فقلت^٦ لها : ما^٧ جمع الله بيني وبينك إلا^٨ لا^٩ كون زوجك^{١٠} . فقالت : ان قدر الله ذلك سيكون . فلما أصبح أصبح^{١١} أبصرت البنت شيئا فنادته^{١٢} فأتى إليها ورمى^{١٣} بنفسه عليها^{١٤} يا^{١٥} كيا فيبكت هي^{١٦} أيضا و قالت : يا أبت الحمد لله الذي جمعك عليّ فلقد احترق قلبي^{١٧} لفقدك . فسألها^{١٨} عن أمرها ، فحدثته^{١٩} خبرها و خبري^{٢٠} و أثنت [٢٥٧ : الف] عليّ خيرا . و قالت : لم يمسنى سوء . بل أنا من فضل الله^{٢١} تعالى كما تحب^{٢٢} و ترضى في نفسي^{٢٣} نفسي و مالي^{٢٤} . فحمد الله

(١) في بن : يستأسرونا . (٢-٣) مطموسة في بن .

(٣) في الأصليين : خرجت . (٤) في بن : الفرنج .

(٥) ساقطة من بن . (٦) في بن : قال فقلت .

(٧-٨) في بن : جمعني الله عليك .

(٨) زيد في بن : ان شاء الله تعالى .

(٩) الكلمة مطموسة في بن .

(١٠) كذا في بن ، وهي في بر : رمى - بسقوط واو العطف .

(١١) في بن : فأخبرته .

(١٢-١٣) في بن : النفس و المال .

تعالى وشكره^١ على جمع شمله بابتته^٢ وصيانتها وحفظ ما هو عليها^٣. فنظر عند ذلك أبوها إلى^٤ وقال: سأزوجك بها إن شاء الله تعالى. قال فأقننا نهارنا وأنا مسرور بقول أبيها ذلك، والناس يمجون من كثرتهم، فاختلطا بهم فلم أعرف أين أخذا، فلا أدري هل اختفيا مني أو لم يعرفا. مكاني، فتألمت لفراق تلك البنت الجميلة التي طمعت أن تكون^٥ لي زوجة حليلة^٦، فخاب أملى، وضافت^٧ حيلتى، وعيل صبرى، وتحيّرت فى أمرى و^٨ قال بلسان حاله^٩، لعدم^{١٠} احتياله:

شكر الله لأيام^١ الوصال^٢ ^٣ فلقد كان^٤ به العيش صفاء
و رعى الله لياليه^٥ التى كن فى جيد الليالى كاللآلى
١٠. إن أوقاتنا بوصل قصرت بعد أيام من الهجر طوال
^٦ فوزت عني الغواني وجهها^٧ عن قلأ لا عن^٨ تيجن وملالى

(١) الكلمة ساقطة من بن.

(٢-٣) فى بن: والصيانة.

(٣) ساقطة من بن: و واردة فى بن.

(٤-٥) فى بن: زوجتى.

(٥) فى بن: وضاعت.

(٦-٧) فى بن: و قلت بلسان حالى.

(٧) مطموسة فى بن [١٩٦: الف].

(٨-٩) فى بن: لقد كنت.

(٩-١٠) فى بن: فوزت عين الغواني.

ثم 'بكي و اشتكى' و تفرحت أجفانه بالبكاء ، و لسان حاله يقول :
كل من أهوى يفارقني ذاك من شؤمي و من نكد
لو هويت الشمس في بلد حجت عن ذلك البلد
ثم إنه ٢ داوم تنواح ، ٣ و زال عنه الإنشراح ، ٤ من هيامه بها ، فصار
محبب العقل بسببها ، فصار يتكلم بالفضول ، و لسان حاله يقول :
من المعين على خود بليت بها فبالمعونة تستكني البليات
حوت فؤادي فلا يفديه من أحد لواظ و عيون بابليات
إذا الظباء رعت أحوى الحشيش في غزالة قدرعت مني الحشاشات
ثم إنه صار لفقدائها ولها ، كثير البكاء و الأحزان . قوله من المعين
على خود ، الخود المرأة الحسنة الخلق و الغادة الناعمة و الصيدا المنثية .
من اللين ، و الخفرة الحنية ، و كذلك الخريدة و العروب المتحبة إلى

(١-١) في بن : بكا و اشتكا .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) ساقطة من بن و واردة في بن .

(٥) في بن : أخرى .

(٦-٦) مطموسة في بن .

(٧-٧) في بن : و إذ قد ذكرنا الخود فلنذكر ما قيل فيها و في غيرها .

(٨) في بن : الحسن ، و صحتها في بن كما أوردنا بالنص .

(٩) مطموسة في بن .

زوجها ، و الغانية صفة تمدح بها المرأة ، و الأصل في الغانية أنها ذات الزوج ، و حنة الرجل زوجته ، و هي أيضا حليته و عرسه و ظمئته و بيته ٢ و قعيدته و زوجته ٣ ، و قد يعمل على المرأة العفيفة و ترمى بقول الزور و ينجيها الله تعالى بكرمه من ألم الشرور .

[حكاية قاض من بني إسرائيل]

حكى أنه كان في بني إسرائيل قاضيا من قضاتهم ، وكانت له زوجة بديعة الجمال ، كثيرة الصون و العفة و الجمال . فأراد القاضى [٢٥٧ : ب] النهوض إلى بيت الله الحرام بسبب الحج ، فاستخلف أخاه على القضاء و أوصاه بزوجته . و كان أخوه سمع عنها جمالا فائقا و حسنا بديعا ، ١٠ فكلف بها كلفا عظيما . فلما سافر أخوه ، وَّجه إليها ، و راودها عن

(١) ساقطة من بن .

(٢) مطموسة في بن .

(٣) زيد في بن : « قال بعضهم في التشبيهات :

خلوت بها و الروح ثالثة لنا و جنح ظلام الليل قد مد و انقلب
فتاة نعد الا يقربها فهل في ابتغاء العيش و يحك من - (رج)
كانى و هى الكأس و الخمر و الدجا حياة و تر . . . التبر و الشبج »
و الأبيات أغلبها مطموس و غير واضح فأثرنا تركها بالهامش بعد قراءة ما
استطعنا قراءته منها .

(٤) هذا القسم من بر بما فيه حكاية قاضى بني إسرائيل برمتها ساقط من بن .
و يستأنف الكلام في كليهما ابتداء من « حكاية تشتمل على فراق الأحبة بالأسر
و القرية » .

نفسها ، فاستعصمت بالورع ؛ فلما يئس منها ، خاف أن تخبر أخاه بصنيعه
إذا قدم ، فاستدعى شهود زور ، ورفع أمرها إلى ملك ذلك الزمان
بأنها زنت و قد حكمتُ برجمها ، فقال الملك : إن كنت حكمت برجمها
فارجمها ، فحفر لها حفيرة ، و أقعدت فرجمت حتى غطتها الحجارة ، و قال :
تكون الحفيرة قبرها . فلما جُن الليل صارت تنئن لشدة ما نالها ، فر ٥
رجل يريد قرية ، فسمع أنينها ، فقصدها وأخرجها و حملها إلى زوجته
و أمرها بمعاناتها حتى استقلت ، و كان لامرأته ولد فدفعته إليها ، فصارت
تكفله و تبيت به في بيت ثانٍ ، فرآها أحد اللصوص فطمع فيها ،
و راودها عن نفسها ، فامتنعت فعزم على قتلها ، و أهوى بالسكين إليها ،
فوافق الصبي فذبحه ، فلما علم أنه ذبح الصبي أدركه الخوف و خرج من ١٠
البيت ، فأصبحت المرأة و الصبي مذبوح بين يديها ، و جاءت أمه فقالت
لها : أنت ذبحت ولدى ، و ضربتها ضربا وحيدا ، وجاء الرجل فقال
لزوجه : و الله إنها لا تفعل ، و هذا شيء جرى من غيرها . فأذققها
منها ، فخرجت المرأة فارة بنفسها ، لا تدري أين تذهب ، و لا أين
توجه ، و عندها بعض دربهات مربوطة على وسطها من حين رجمها . ١٥
فرت بقرية من القرى ، و الناس مجتمعون ، و رجل مصلوب على جذع
نخلة . فقالت : يا قوم ما خبر هذا المصلوب ؟ فقالوا لها : إنه أصاب
ذنبا لا يكفره إلا قتله أو صدقة كذا و كذا دراهم ، و لم يوجد له

(١) في الأصل : ثانی .

دراهم . فقالت : يا قوم خذوا منى هذه الدراهم . وخلصوه . فأخذوها منها و أطلقوا سبيله ، فتاب على يديها . فألى على نفسه أن يخدمها حتى يموت . فابتنى لها صومعة ، و صار يحطب الحطب يبيعه و يأتيتها بقوتها ، و ينام تحت صومعتها ، و اجتهدت فى العبادة حتى كانت لا يأتيتها مريض أو مصاب أو ذو عاهة و تدعو له إلا شفاء الله . و كان قد أنزل الله بأخى زوجها القاضى عاهة بوجهه . و أنزل بالمرأة التى ضربتها برصا . و امتحن السارق بأن أقعد و صار مُكْسَحًا . و جاء القاضى زوجها من حجه ، فسأل أخاه عن زوجته . فقال : إنها زنت و رجعت إلى أن مانت فأسف عليها [٢٥٨ : الف] زوجها ، و احتسبها عند الله تعالى . و قال :

١٠ عجب من تلك المرأة العفيفة كيف زنت حتى رجعت ، لا قوة إلا بالله . ثم أنه وجد أخاه كسيحا مقعدا فتألم له . قال و تسمع الناس بخبر تلك المرأة حتى كانوا يأتونها من أطراف البلاد تدعو لهم فيحصل لهم الشفاء . فقال القاضى لأخيه : لو قصدت هذه المرأة الصالحة ، لعل الله أن يجعل لك على يدها فرجا و شفاء . فقال : يا أخى احملى إليها .

١٥ قال و سَمِعَ بها زوج المرأة البرصاء الذى ذبح ولدها ، فحملها زوجها إليها ، و سمع بها السارق الذى ذبح الصغير فصار إليها . و اجتمع الجميع عند باب صومعتها ، و لا يراها أحد ، و انتظروا خديمتها حتى وصل ، فرغبوا إليه بأن يستأذن عليها ففعل ، فتنقبت و وقفت على باب الصومعة لزوجها و أخيه و اللص و المرأة ، فعرفتهم و هم لا يعرفونها ، فقالت لهم : يا هؤلاء !

(١) فى الأصل : فابتنى .

إنكم لا تستريحون حتى تعترفوا بذنوبكم السالفة . فان العبد إذا اعترف
 بذنبه تاب الله عليه ، وأعطاه منه ما قصد فيه . فقال القاضي لأخيه :
 تب إلى الله ولا تصر على عصيانك . قال : يا أخى الآن أقول الحق
 فعلت بزواجك وصنعت . وقالت المرأة : كانت عندى امرأة نسبت إليها
 ما لا أعلمه فضربتها عمدا ونفيتها تعديا . وقال اللص : دخلت على امرأة ه
 راودتها عن نفسها فامتعت ، فذبحت صيدا كان بين يديها . ففتحت
 المرأة عند ذلك صومعتها . وأبدت إليهم وجهها . فغرفوها وخضعوا
 بين يديها ، فقالت : اللهم كما أريتهم ذل المعصية فأرهم عز الطاعة . فشفاهم
 الله تعالى من مرضهم . فرجع إليها زوجها ، ولزم الجميع خدمتها حتى
 أتاهم الموت . قال بعضهم :

١٠

أيا نفس للعين الأجل تطلبي وكفى عن الدار التي قد تقصّصت
 لعمرك ما الدنيا بدار أخى حجا قتلها بها عن دار فوز وعزّت
 عن الموطن الأسنى عن القرب واللقا عن العيش كل العيش عند الأحبة
 فر الله لولا ظلمة الذنب لم يطب لك العيش إلا دون مىّ وعزة
 ولم ترتضى إلا الأجيرع مربعا وما دمت معنى دون سلع ورامة ١٥
 مواطنك الأولى مرابعك الآلى تشاغلتن عنها بالأمور الخسيسة
 مواطن أنس كلها دار ذكرها تسامى إلى لقاءها كل همتى
 أيا رب هذا منهج الحق قد بدا وقد وضحت للنفس سبل الهداية
 أيا رب بالهادى البشير محمد صفيك فى الدارين خير الخليفة
 أعنى على نفسى وحب لقاك لى وبغض لى الدنيا وعجل بتوبى ٢٠

[٢٥٨: ب]

و كن مؤنسى فى وحدتى وملقتى إذا سأل السؤال يارب حتى
وخذيدي وارحم من العجز وصفه ولا تخزنى يارب يوم الفضيحة
وهب لى علما نافعا أهتدى به إليك واسلك نى سواء الطريقة
وسدد مقالى والفعال وعافى إلهى فى الدارين من كل محنة
و صل و بارك ما تغرد طائر على خير مبعوث إلى خير أمة ٥

[حكاية تشتمل على فراق الأجنة]

١ حكاية تشتمل على ١ فراق الأجنة بالأسر والغربة . حكى أن
٢ الإفرنج دخلوا ٢ دارا بالإسكندرية حين ظفروهم به ، فوجدوا امرأة
بارعة الجمال ، فاختارها كبيرهم لنفسه . كانت أمها ساكنة بدار تقابل
١٠ دارها . فلما رأت الإفرنج هجموا دار ابنتها . ٣ خرجت من دارها
و دخلت دار ابنتها ٣ من ٤ حرقها عليها ، و توهمت ٥ أنهم يقتلونها ٦
ولا يحيوها ٧ . فجعلت تقول : اقتلوني ولا تقتلوها . فقال كبيرهم : لسا
نقتلك ولا نقتلها . بل نحسن لك ولها . ٨ و أنما أنا فقد أحبتها وأريد (ان ٩)
(١-١) مطموسة فى بن ، و بهامش بر : حكاية و هنا يستأنف الكلام فى كل
من برو بن .

(٢-٢) العبارة مطموسة فى بن .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : فمن .

(٥) فى بن : توهمت .

(٦) فى بن : يقتلوها . والصواب فى بن كما أوردنا بالنص .

(٧) فى بن : يبقوها .

(٨-٨) فى بن : وأتى قد .

(٩) لأ وجودها بالأصلين . و أضفناها لاستقامة الجملة و السياق .

أحملها معي تقيم ١ عندى سنة ٢ وأردھا ٣ إليك ، ولا أتمكن أحدا من
نهب دارك ٤ ولا دارها إكراما لها . قال لها ذلك ، وابتها ٥ اتعد من
خوفها منهم ٦ وابتعد عنهم ، فتقدم ٧ الإفرنجى إليها سكن روعتها ، ومسح
بأنامله ٨ عبرتها ٩ وقال لها : لا تخافى ١٠ لا تخزنى ١١ ، سوف أردك بالهدايا
إلى أمك . ثم قال لأمها : افتحى كفك ١٢ . فعد لها فيه خمسة وعشرين ١٣
دينارا استجلابا لقلبها ، و لسان الحال يقول :

إن • الهدايا حلوة • كالسحر تجتذب القلوبا

تدنى البعيد من الهوى حتى يصيره قريبا

و لسان الحال أيضا يقول :

١٠ الهدايا للناس ١ بعضهم بعض يولد فى صدرهم الوصالا

و يزرع فى القلوب هوى وردا ٢ و يكسوهم إذا حضروا جمالا

ثم قال ٣ : لا تخشى عليها ٤ و حلف بدينه ٥ أنه يرسلها إليها . قالت ٦ :

(١-١) مطموسة فى بن .

(٢) فى بن : بيده .

(٣) فى بن : دمعنها .

(٤) فى بن : يدك .

(٥-٥) فى بن : الهدية الحلوة .

(٦) زيد فى بن : الفرنجى لأمها .

(٧) فى بن : فقالت له إذا .

فاذا أخذت منى^١ ابنتى ، ما تكون حيلتى إذا نهوتى أصحابكم ، وقتلوني
بعد رواحكم^٢ ، فدفع^٣ لها شنيارا يعرف به وقال : اجعليه^٤ فى رأس
قنطارية^٥ . [٢٥٩ : الف]^٦ وأظهرى الشنيار^٧ من طاق دارك ، تأمنى
به ممن يقصد شارعك جميعه . فأخذت منه ذلك الشنيار ، وفى قلبها^٨
هـ من فراق ابنتها لهب النار . ثم إنها ودعت ابنتها وتباكيا ، ولسان
الحال^٩ يقول :

النوى قد أضرمت جرة فى أضلعى
فترانى بعدم مستهما لا أعى
مقلّى سحى دما بعد فيض الأدمعى
كيف آوى بعدم فى ديار بلقى
يا لبالينا ارجعى ثم عودى وارجعى

(١) ساقطة من بن .

(٢-٢) فى بن : وذهبت جاء غيرك من الفرنج بعدك نهينى و قد (حوى) .

(٣) الكلمة مطموسة فى بن .

(٤) فى بن : ضعيه .

(٥) فى بن : رمح .

(٦-٦) فى بن : وأظهره .

(٧) فى بن : حالها .

و اجمعى' شمل على شمل أحبابى معى
ثم أن البنت ٢ صارت حين مضىها معهم ٣ تلفت إلى أمها ، و تأوه من
همها و غمها ، و لسان حالها يقول :
و صائلى بمزعجى عن ٣ وطنى ما ضاق بى جانبه و لا نبا
قلت القضا ما لك أمر الفقى من حيث لا يدرى و من حيث درى ٥
لا بد ما يلقى امرء ما خطه ذو العرش مما هو لاق و رجا
ثم أن أمها' لزمت ٣ الدار ، و أظهرت ٣ من الطاقه الشنار ، فأمنت
هى و جيرانها' من معرة الكفار. فلما أمن' المسلمون بوصول' النجدة
من مصر ، و تحصنت الإفرنج' بمراكبها فى البحر ، أتى زوج ابنتها
فلم يحدها بداره ،'' و التهب بلهب ناره'' . فسأل أمها عنها ، فأخبرته بما ١٠
جرى ، فانطرد عن جفنه الكرى ، و صار يضرب على صدره'' يديه .

- (١) فى بن : فجمعى .
- (٢-٢) فى بن : سارت معهم و هى .
- (٣-٣) مطموسة فى بن .
- (٤) فى بن [١٩٦ : ب] أم الصية .
- (٥) فى بن : كوة دارها .
- (٦) فى بن : و أهل شارعها .
- (٧) فى الأصلين : أمنت .
- (٨) الكلمة مطموسة فى بن .
- (٩) فى بن : الفرنج .
- (١٠-١٠) ساقطة من بر و واردة فى بن .
- (١١) فى بن : وجهه و صدره .

ودمعه اسائل على خديه ١٠ و لسان حاله يقول :

تقطعت الأوصال بالهجر و البين و سحت سحاب الدمع من أبحر العين
و ذاب الحشى من لوعة البعد و النوى و صاح غراب البين بالهجر و البين
ألا يا عذولى ٢ كم تلوم متيما رماه الجفا و الوجد حقا بسهمين
٥ أيسلوهم من أنحل الحب جسمه يودّ بأن يسعى إليهم على العين
و يبذل ثم الروح فى حضرة اللقا يوفى ندورا ٣ و النذور ٣ من الدين
ثم إنه ٤ هام بوجدده . و غاب ٤ عن رشده . و لسان حاله يقول :

زاد الغرام ٥ و هاج الشوق من ٥ حرقى فالقلب فى لطف ٥ و الجفن فى أرق
و لؤلؤ الدمع فوق الخد متثر شبه العقيق بدا من أبحر الحدق
١٠ و صارم الهجر فى الأكباد قطعها ٥ البين يرمى ٥ بسهم منه مرتشق
ركبت بحر الهوى غرا فصادقنى عواصف الريح ٥ أشرفنا على الفرق

[حكاية العجوز النصرانية]

حكاية تشتمل ٥ على نهب مال و عدم أسر و قتل ٥ . حكى ٥ أن ٥ عجوزة
نصرانية [٢٥٩ : ب] كسيحة غنية تعرف ٥ بنت القسيس ٥ جرجس بن فضائل تسكن
١٥ دارا حسنة ٥ البنان ٥ عالية الأركان ، مجاورة لكنيسة موضع يعرف بالإسكندرية

(١ - ١) فى بن : جار من مقلتيه على خديه .

(٢) فى بن : يا عذولى .

(٣) فى بن : و النذر .

(٤) الكلمة مطموسة فى بن .

(٥) بهامش بر : حكاية .

(٦ - ٦) مطموسة فى بن .

بقلزى^١ . فكسرت الإفرنج^٢ حين ظفروهم بها بابها^٣ ، و دخل لها عشرون^٤
 علجا على كواهلهم القسى الموتورة^٥ . و بأيديهم السيوف المشهورة^٦ ، فلما
 رأتهم جوار النصرانية و وصفانها فروا^٧ هربا منهم^٨ إلى سطوح الدار ،
 و لتلك^٩ الدار أبواب^{١٠} مجالسها منقوشة ، و أصحها بأنواع الرخام مفروشة^{١١} .
 فأرأوا العجوز جالسة مستقبلية الشرق . فقالوا لها : من تكونى ؟ قالت : ه
 عجوز^{١٢} نصرانية ذمية مقعدة^{١٣} . ثم أنها صلبت^{١٤} على وجهها باصبعها .
 فعلبوا أنها صادقة^{١٥} فيما قالت^{١٦} ، ثم قالوا لها : أين الذهب و الفضة ؟

(١) انظر مجلة آثار لإسكندرية عدد ٣٤ ص ٧٣ في تعريف الكلمة اليونانية

Ekklysia = Ekkiysia بمعنى كنيسة و قد ورد في « نهاية الأرب » للنويرى

(ج ١ ص ٣٨٢) : و من لباني القديمة القليس و هى كنيسة كانت باليمن ، بناها
 أبرهة بن الصباح ملك اليمن بصنعاء .

(٢) مطموسة فى بن .

(٣) فى بن : باب دارها .

(٤) فى بر : عشرين و فى بن : العشر .

(٥) فى بن : الموترة .

(٦-٧) فى بن : هاربين .

(٧) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : تلك .

(٨-٨) مطموسة فى بن .

(٩-٩) فى بن : و صلبت .

(١٠-١٠) فى بن : فى قولها .

فقلت : افي هذا الصندوق الذى ترونه . و رمت لهم مفتاحه ٢ ، قالت ٣
فوضعوا قسيهم إلى جانب حائط المجلس وفتحوا الصندوق أخذوا ما فيه
من ذهب وفضة وقماش ، ثم قالوا : وأين ٤ بقية ٥ المال أيضا؟ فقلت :
ليس عندى سوى ٦ ما أخذتموه ، و صرت لأخذكم ٧ له فقيرة ٨ من فقراء
النصارى . قالوا ٩ : ومثل هذه الدار لك وتكونى فقيرة ؟ قالت ١٠ : هي
حبس على هذه الكنيسة المجاورة لها ، ولا يحل لى أن أرجع ١١ فيما حبسته ١
ولا أيعها بسبب فقرى خوفا من غضب المسيح على ١٢ . فحينئذ انظر بعضهم
إلى بعض وتركوها وخرجوا ١٣ من الدار بما أخذوه ولم ١٤ يأسروا أحدا من ١٥
عائنه من جواربها ووصفانها ١٦ الذين صعدوا هربا منهم ١٧ .

(١ - ١) مطموسة في بن .

(٢) في بن : مفتاحه .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : أين .

(٥) ساقطة من بن و واردة في بن .

(٦) في بن : غير .

(٧ - ٧) في بن : فقير .

(٨) في بن : فقالوا .

(٩) في بن : فقلت .

(١٠) في بن : ولا .

(١١) في الأصلين : مما .

(١٢ - ١٢) في بن : الذين هربوا إلى السطح .

[حكاية تشتمل على غنى بعد فقر]

حكاية^١ تشتمل على غنى بعد فقر ، و خلاص بعد أسر . حكى
 أن الإفرنج لما ظفروا بالإسكندرية ، دخلوا إلى دار وجدوا بها امرأة
 لم يكن عندها شيء يرضيهم أخذه ، وكان معهم شيء من النهب فوضعه
 في دارها ، وخرجوا ينهبون^٢ دور جيرانها ، وكل ما تحصل^٣ لهم شيء^٤ .
 أتوا به إليها ، فجلوها كالحارسه لهم ، وقد انطبعت معهم بالكلام
 والمساعدة في تناولها منهم ، وفي شيل هذا وحط هذا ، كأنها تنصحهم ،
 فركنوا إليها لباشتها لهم^٥ ، وقولها لهم : إني أحبة لكم وخذوني^٦ معكم
 انشرح في بلادكم ، وإن في ديار الإسكندرية المال الكثير^٧ ، والخير
 الغزير^٨ ، فاجعوا^٩ وأتوا به واحملوني^{١٠} معكم ، وأصير جارية لكم^{١١} ،
 وحارسه لامتعتكم . فخرجوا من عندها طامعين في مقالتها . ففتشت المرأة

(١) بهامش بر : حكاية .

(٢) في الأصلين : ينهبوا .

(٣) في بن : حصل .

(٤) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) في بن : محبتكم نخذوني .

(٧) في بن : الكثير .

(٨) في بن : الكثير .

(٩-٩) مطموسة في بن .

(١٠-١٠) في بن [١٩٧: الف] : وأصير لكم جارية .

التهب بعد خروجهم ، فوجدت خريطين مملوءتين مالا ، فحملتها و نزلت
بهما من مكان بأعلا دارها إلى خربة بجوارها اختفت بها فلم^١ [٢٦٠: الف]
تزل^٢ مقيمة بتلك الخربة^٢ إلى أن أمنت^٣ على نفسها بدخول المسلمين^٣
البلد ، فزال عنها بعد ذلك النكد ، و رجعت بما معها إلى دارها ، فصار لها^٤
هـ بذلك المال^٤ أحسن حال ، و أنعم بال ، فكانت مكيدتها^٥ ، بسبب
حسن مخاطبتها ، وكانت حراستها سبب سعادتها ، وكانت حيلتها بمكرها
و هربها سببا لعدم أمرها^٦ .

[حكاية حرجة مؤلمة مزعجة]

حكاية^١ حرجة^٢ مؤلمة مزعجة . حكى أن نسوة اجتمعن بدار و معهن
١٠ رجلان^١ حين ظفر الإفرنج^{١١} بالإسكندرية . وكان رجل له زوجة
بتلك الدار^{١١} . فأتى إليها يخرجها معه من باب البر ، فرأى الإفرنج^{١٢} حالوا

(١) في بن : و لم .

(٢-٢) في بن : مخفية بها .

(٣-٣) في بن : الناس بدخولهم .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) زيد في بن : في .

(٦) عن بن ، و الكلمة في بر : ملائتها .

(٧-٧) في بن : و حراستها سبب سعادتها .

(٨) بهامش بر : حكاية .

(٩) في الأصلين : رجلين .

(١٠) في بن : الفرنج .

(١١) في بن : النسوة

بينه وبين الدار، فنجنا بنفسه هرباً^١ منهم. فلما اطمانت الناس، عاد إلى الدار^٢ فلم يجد فيها غير^٣ زوجته مطروحة^٤ وهي^٥ عريانة مجروحة وشتم بالدار. رائحة كرمه، فستر زوجته ببعض ثيابه وسألها عن حال^٦ الرجلين والنسوة فأشارت إلى جهة بالدار، فمشى ونظر فإذا^٧ الرجلان قتيلا^٨ ورأس امرأة مطروحة وجثتها كذلك، وقد علت^٩ رائحة تلك الجيف وايفخت^{١٠} وأزرق، فعاد إليها وقال: أخبريني ما اتفق لكم. فقالت: دخلنا^{١١} الإفرنج^{١٢} بأيديهم السيوف المسلولة، فأتى أحدهم إلى^{١٣} فلانة حبسك يدها، فثرت^{١٤} يدها منه وقالت: ما أوحش وجهك، فرمى رأسها مريفاً: بسيفه لقيظه من كلامها له^{١٥} واحتقارها إياه^{١٦}، فوقع رأسها بحجر فلانة، وتزمت بقية الإفرنج رأس الرجلين^{١٧}، فارتعن^{١٨} النسوة مما شاهدن ورأين^{١٩} وأخذونا^{٢٠} سبائا بعد أن ربطواكم الواحدة بكم الأخرى، واستأقونا^{٢١} أيديهم. فدخلوا بنا^{٢٢} دار الصناعة، فقتلوا رأس بقر هناك^{٢٣} وبضنوا^{٢٤} لحمها^{٢٥}،

(١) في بن: هاربا.

(٢-٣) مطموسة في بن.

(٣) ساقطة من بن.

(٤-٤) في الأصلين: الرجلين قتيلين.

(٥) في بن: علينا.

(٦) مطموسة في بن.

(٧) في بن: فتنشت.

(٨-٨) ساقطة من بن.

(٩) في بن: فارتعب.

وأَتُونَا بِقَدْرٍ ، فَسَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ لَحْمِهَا . فَأَكَلُوا وَرَجَعُوا إِلَى الْبَلَدِ
يَنْهَبُونَ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ وَإِذَا بَطَائِفُ أُخْرَى أَتَوْا إِلَيْنَا ، فَأَخَذَ كُلُّ
وَاحِدٍ امْرَأَةً مِنْهُ ، وَأَخَذَنِي ٢ مِنْهُمْ آخَرٌ ٣ . وَصَارُوا يَسْتَحْثُونَا فِي الْمَشْيِ
يُرِيدُونَ ٢ الْمَرَاقِبَ ، فَتَضَجَرْتُ مِنْ عَنَفِهِ لِي بِسُرْعَةِ الْمَشْيِ ، وَكَانَ قَدْ شَقَّ بِي
هـ بَيْنَ قَتْلِ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا رَأَى وَلَوْلْتُ وَتَسَخَّطَ حَتَّى عَلَى وَضْرِي
بَسِيفِهِ جَرَحَنِي ، فَوَقَعْتُ عَلَى وَجْهِهِ هـ بَيْنَ الْقَتْلِ ، فَعَرَانِي مِمَّا ٦ كَانَ عَلَى
وَتَرَكَنِي وَمَضَى ، ٧ وَصَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْإِفْرَاجِ ٨ يَمْرُونَ عَلَى ٩ وَيرجعون ١٠ ،
فَلَمْ أَزَلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ إِلَى أَنْ رَأَيْتُ طَائِفَةً مِنْ هـ الْمُسْلِمِينَ يَمْرُونَ مُتَعَجِّبِينَ
مِنْ قَتْلِ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِذَا يَدْوِي عَلَى فَرَسٍ هـ فَصَحْتُ ١١ [ب : ٢٦٠] بِهِ
١ صِلَاحًا خَفِيًّا ، فَشَعَرْتُ بِي ، فَتَقَدَّمْتُ إِلَى وَكَلَمَنِي فَكَلِمَتُهُ ، فَتَزَلْتُ عَنْ فَرَسِهِ
وَلَفَقِي بِبِكَسَاهُ ، وَاسْتَوْصَفَ هـ مَنِي دَارِي هـ فَوَصَفَتَهَا لَهُ ، فَأَرَدْتُ خَلْفَهُ
وَسَارَ بِهِ إِلَى هُنَا ، فَأَنْزَلَنِي وَأَخَذَ مِنِّي الْكِسَاءَ وَمَضَى إِلَى حَالِ سَيْلِهِ . وَهَذَا أَنَا

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : يَنْهَبُوا .

(٢-٢) فِي بَنٍ : وَاحِدٌ مِنْهُمْ .

(٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : يَرِيدُوا . وَزَيْدٌ فِي بَنٍ : بَنًا .

(٤) كَذَا فِي بَنٍ ، وَالْكَلِمَةُ فِي بَرٍ : حَتَفٌ .

(٥-٥) مَطْمُوسَةٌ فِي بَنٍ .

(٦) فِي بَنٍ : مَا .

(٧-٧) فِي بَنٍ : فَصَارَتْ الْفَرَجُ .

(٨) سَاقِطَةٌ مِنْ بَرٍّ وَوَارِدَةٌ فِي بَنٍ .

(٩) سَاقِطَةٌ مِنْ بَنٍ .

(١٠) مَطْمُوسَةٌ فِي بَنٍ .

كما ترائى . فتعجب زوجها عما اتفق لها ولاطفها ، فأقامت أياما يسيرة ، وانتقلت بالوفاة إلى رحمة الله تعالى .

[حكاية تشتمل على فرج بعد أسر]

حكاية^١ تشتمل على فرج بعد أسر ، وفقر بعد غنى ، وضلالة بعد هدى . 'قال الشيخ' أبو الحسن الشاذلى : المؤمن فى الدنيا^٢ أسير هـ ولا فكاك للأسير إلا باحدى ثلاث . إما بالحيلة ، وإما بالعناية . وإما^٣ بالقديّة مأخوذ من^٤ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدنيا سجن المؤمن وشأن المسجون التحديق بعينه ، والأصفا بأذنيه ، ليعمل الحيلة فى فكاك نفسه منها .

حكى أن امرأة من أسارى الإسكندرية أخبرت عن نفسها أن ١٠ الإفرنج^٥ استأسرتها حين ظفروهم بالإسكندرية ، فلما كانت ليلة الأحد ثانى ليلة الواقعة ، اجتمعت جماعة من الإفرنج^٦ فى مغارة بالجزيرة ظاهر باب البحر معهم النسوة الأسارى ، قالت فكنت من جملة تلك النسوة ، فأتوا بدجاج وأمروا النسوة^٧ بطبخها فطبختهن^٨ وأكلواهن^٩ وهن^{١٠} منها ، وأحضروا

(١) هامش بر : حكاية .

(٢ - ٣) مطبوعة فى بن .

(٣) مطبوعة فى بن .

(٤) فى بن : الفرنج .

(٥ - ٥) فى بن : بسلقها فسلقتها .

(٦) فى بن : ونحن .

الخير فشرّبوا ، وعبثوا بالنسوة ، وورقدوا سكارى^١ ، تعابا ، قالت المرأة :
وكننت أتذكر^٢ حيلة أعملها لأتخلص من الأسر ، فعابنت هناك قفة^٣
فرزتها فوجدتها ثقيلة ، فحملتها ثم تخطيتهم وخرجت من المغارة ، وكانت
الشموع بها مركوزة تقد . قالت : فلما صرت خارجها رأيته ليلة مظلمة
مدلّمة ، فاخترقت الجزيرة في تلك الليلة المطيرة ، وأنا خائفة^٤ من أن
يدركنى^٥ منهم أحد . فطلبت باب البحر ، فصرت اعثر في جثث القتلى
إلى أن صرت داخل الإسكندرية . فلم أزل^٦ ماشية بشوارعها إلى أن
أتيت دارى^٧ ، فلم أجد فيها شيئا عما كان بها ، فجلست في أحد أركانها
إلى قريب الفجر . خفت أن يأتى أحد من الإفراج^٨ يستأسرنى ثانيا .
ففتحت القفة وجسيت ما فيها ، وإذا^٩ هى دراهم في خريطة كبيرة ، فحفرت
ودفتها ، وخرجت أنظر مكانا خربا أختفى به ، فوجدت فرنا قد كسر
بابه ، فدخلته و قصدت بيت النار ، فوجدته باردا وغطاؤه عليه ، فزحزحت^{١٠}
الغطاء ودخلته وسددته بغطائه كما كان ، فلم أزل مقيمة به إلى أن سمعت
صوت^{١١} المؤذنين يؤذنون ، فعلت أن أهل الإسكندرية رجعوا^{١٢} إليها ؛

(١) فى بن : سكارا .

(٢) فى بن : مفكرة فى . (٣) مطموسة فى بن .

(٤ - ٤) مطموسة فى بن . (٥) فى بن : الفرج .

(٦) فى بن ١٩٧ : ب : فاذا .

(٧) فى بن : فزحفت .

(٨) فى بن : أصوات .

(٩) فى بن : عادوا .

فخرجت مسودة الثياب [٢٦١ : الف] جائعة الكبد ، فتمشيت إلى أن
 أتبت دارى لآخذ من تلك الدراهم المدقونة شيئاً أشتري به ما تبلغ به
 ٢ فوجدتها محفرة^١ الأرض ، ولم أجد الخريطة ، فحمدت الله تعالى وشكرته
 على السلامة من الأسر و الاسترقاق و البعد عن مديار الكفر^٢ و الإقامة
 بدار الإسلام ، و قلت الذى خلصى^٣ من الأسر لم يضيعنى ، فوقع فى ٥
 أهل البلد الوباء من رائحة^٤ تغير الهواء و رائحة^٥ جيف القتلى و فراغ
 الآجال ، فصار^٦ يموت فى كل يوم^٧ ما يزيد على المائة نفر^٨ ، فصرت
 غاسلة أغسل النسوان ، فحصل لى بذلك من المال ما^٩ استغنيت به^{١٠} عن
 ذل السؤال .

١٠ [حكاية المرأة المرتدة]

قال المؤلف : اعنى الله عنه و غفر له^١ : أخبرنى الشيخ أبو عبد الله^٢

(١) فى بر : شيء . و هى مطموسة فى بن .

(٢ - ٣) فى بن : فوجدت الأرض قد حفرت .

(٣ - ٣) فى بن : ارض الكفرة .

(٤) مطموسة فى بن .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بر : الهوى . و فى بن : الهواء .

(٧) فى بن : برائحة .

(٨ - ٨) مطموسة فى بن .

(٩) فى بن : نقص .

(١٠ - ١٠) فى بن : رحمه الله تعالى .

ابن يوسف البغدادى معلم دار الطراز بالإسكندرية قال : قدم ' كتاب من قبرس عند قدوم رسل القبرسى إلى الإسكندرية مع بعض الأسارى اللذين ' أرسلهم صاحب قبرس ٣ بسبب الصلح ٢ أرسلته امرأة من أسارى الإسكندرية ' وهى تقول لأمها فيه ' : إني مقيمة بقبرس و أن المصاغ الفلانى دفنته ٥ فى المكان الفلانى من الدار ، فاحفرى عليه و اتفعى به ، و لا تطمعى برجوعى ' إلى الإسكندرية أبدا ' ، فانى وجدت راحتى بها ، . فقرحت أمها بوجود المصاغ الذى كانت تيقنت أنه أخذ ' كما أخذت ' ابتها ' لتسديه ' فقرها و جوعتها ، و حزنت ' على ترك ابتها لدين ' الإسلام و دخولها فى دين الكفرة اللثام ' . و عدم رجوعها إلى الإسكندرية مع ١٠ الأسارى ، و رضيت لنفسها الإقامة ' ' بين النصارى ، فصارت ١٢ باكية

(١) فى بن : ورد .

(٢) فى الأصلين : الذى .

(٣-٣) ساقطة من برو واردة فى بن .

(٤-٤) فى بن : لأمها وهى تقول .

(٥-٥) مطموسة فى بن .

(٦-٦) فى بن : مع .

(٧-٧) فى بن : سدت بثمنه .

(٨) فى بن : و جرعت .

(٩) فى بن : دين .

(١٠) فى بن : الطغام .

(١١) فى بن : بالإقامة .

(١٢) فى بن : فارت .

العين ، حزينة القلب على فراق ابنتها وكفرها بغربتها ١ .
 وسيأتي فيما يرد من هذا الكتاب سبب ارسال القبرسي تلك
 الأسارى إلى الإسكندرية إن شاء الله تعالى . فانظر رحمك الله إلى المرأة
 الأولى كيف سعت في خلاص نفسها من النصارى الذين كانوا بالمغارة
 ٢ وخرجها منها هربا منهم بسعيها في ظلام الليل الممطر ، وتغريرها
 بنفسها من يلحقها منهم يقتلها ، ودوسها في القتل ، ٣ وإخفائها نفسها
 في فرن قد ٤ تضمخت بسواده ٥ حتى نجت من الكفرة الطغاة ٦ لتصير
 باقية على دين الإسلام . وانظر إلى المرأة الثانية كيف رغبت في دين
 الكفرة ٧ ومعاشرة الفجرة ٨ ، واختارتهم على دينها وأما وطنها لغرضها
 الفاسد ، ولعبها الزائد ، وإرادتها الفجور ، وشرب الخور ، وسماع حس ٩ .
 الناي والطبور ، وركونها إلى النصارى ، وعدم رجوعها [٢٦١ : ب]

(١) في بن : في غربتها .

(٢ - ٣) مطموسة في بن .

(٣) ساقطة من بر واردة في بن .

(٤) كذا في بن ، وهي في بر : بسوادها .

(٥) في بن : اللثام .

(٦) في بن : الكفار .

(٧) في بن : أشرار الفجار .

(٨) في بن : مع شرب .

(٩) كذا في بن ، والكلمة في بر : حسن .

مع الآثام، فصارت مرتدة ضالة بين الآثام . نعوذ بالله من الضلال والآثام، ونسأله الوفاة على الإسلام، وما جاء به نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

[حكاية المرأة المهتدية]

٥

و سأذكر هنا^٢ ضد حكاية هذه المرأة المرتدة إن شاء الله تعالى^٣. قال سيدي^٤ إبراهيم الخواص : طالبتني نفسي في وقت من الاوقات بالخروج إلى بلاد الإفرنج^٥ فخوفت نفسي فلم تكف ، وعملت على^٦ القاء الخطر^٧ فلم تنف^٨، فخرجت اخترق^٩ ديارها ، وأجول أقطارها ، والعناية تكنفني ، والرعاية تلحفني ، لا ألقى نصرايا إلا أغض ناظره عني ، وتباعد مني إلى أن أتيت مدينة من مدنها ، فاذا عند باب المدينة رجال معهم الأسلحة والمقامع ، فلما رأوني قاموا إلى وقالوا : أطيب أنت ؟ قلت : ما تريدون ؟ قالوا^{١٠} : ابنة الملك ضعيفة تدأويها . فقالوا^{١١} عرفوه الشرط قبل أن تحملوه إليها . فقلت : وما

(١-١) واردة في بن وساقطة من بر .

(٢) ساقطة من بن .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) كذا في بن ، وهي في بر : سيد الخواص .

(٥) في بن : العلوج .

(٦-٦) مطموسة في بن .

(٧) في بن : تنته .

(٨) مطموسة في بن .

(٩) كذا في بن [١٨٩ : الف] ، وفي بر : قال .

(١٠) في بن : فقال بعضهم .

هو الشرط ؟ فقالوا : قد أصابها اعتلال شديد ، وقد أعيا الأطباء علاجها ،
و ما من طبيب دخل عليها و عالجها فلم يقد علاجه إلا قتله الملك ، فانظر
لنفسك . ثم إنهم حملوني إليها و قرعوا الباب التي هي داخله ، فاذا هي
تنادى : ادخلوا بالطبيب . ففتح الباب ، فاذا بيت مبسوط بالرياحين ،
و إذا ستر مضروب في زاوية البيت ، و من خلفه أنين ضعيف ، يخرج ٥
من هيكل نحيف . قال : فقعدت بازاء الستر ، و أردت أن أسلم فذكرت
قول النبي صلى الله عليه و سلم « لا تبدوا اليهود و النصارى بالسلم ،
و إذا لقيتهم في طريق فاضطروهم إلى ضيق » فامسكت عن السلام ،
فنادت من داخل الستر : أين سلام التودد و الإخلاص ، يا إبراهيم
الخواص . فعجبت من ذلك و قلت : من ٢ أين عرفتني ؟ فقالت : إذا ١٠
صفت القلوب و الخواطر ، أعربت الألسن عن مخيلات الضمائر سألت ٢
البارحة رب العزة أن يقيض ٤ لي وليا من أوليائه ، يكون لي على يديه
الخلاص ، فتوديت إنا ٢ سترسل إليك إبراهيم الخواص . فقلت : بما خبرك ؟
فقلت : إن لي أربع سنين قد لاح لي الحق المبين ، فهو المحدث و الأنيس
و المقرب و الجليس ، فظن بي أهلي الظنون ، و نسبوني إلى الجنون ، فإنا ١٥
دخل على منهم طبيب إلا أوحشني ، و لا زائر ٥ إلا أدهشني . قال : فبينما

(١) في الأصلين : أعياء .

(٢) مطموسة في بن .

(٣) في بن : الطريق .

(٤-٤) الجملة مطموسة في بن .

(٥) في الأصلين : زائرا .

أنا أكلها، إذا دخل شيخ قسيس موكل بها قد دخل عليها . فقال :
 ما فعل طيبك ؟ فقالت ^١ : عرف ^٢ العلة و أصاب الدواء ^٣ . فظهر عليه
 السرور، و قابله ^٤ بالخطاب المبرور ^٥ ، و مشى ^٦ إلى الملك و أخبره ^٧ فأمره
 باكرامى ^٨ ، فبقيت أختلف إليها [٢٦٢ : ألف] سبعة أيام . فقالت ^٩ :
 يا أبا إسحاق الهجرة إلى دار السلام ، لاستريح من رؤية الكفار الطغام ^{١٠} ،
 فقلت : و كيف يكون خروجك ^{١١} ، و من يتجاسر عليه ؟ فقالت : الذى
 أدخلك على ، و ساقك إلى . فقلت : نعم . فلما كان من الغد ، خرجت أنا
 و إياها على باب المدينة ، فحجب عنا حجب العيون ، من إذ أراد أن يقول
 للشيء كن فيكون . فما رأيت أصبر منها على الصيام ، ولا أدوم على القيام ،
 ١٠ و جاورت بيت الله الحرام، سبعة أعوام ، ثم قضت نحبها، و كان بمكة قبرها .
 فانظر إلى هذه المرأة من تلك المرأة الأسيرة ^{١١} المسلمة التى أقامت بقبرس ^{١٢}

(١) مطموسة في بن .

(٢) في بن : قالت .

(٣-٣) الجملة مطموسة في بن .

(٤) في بن : على القسيس .

(٥-٥) كذا في بن ، و في بر : بالبرور .

(٦) في بن : و مضى .

(٧) في بن : فأخبره .

(٨) في بن : يا ابراهيم .

(٩) كذا في بن ، و في بر : الطغاة .

(١٠) ساقطة من بن .

(١١-١١) ساقطة من بر و واردة في بن .

كيف تخلت عن دين الإسلام ، و اختارت دين الكفار الطغاة ١ ،
و إلى هذه المرأة كيف ٢ رغبت في الدين القويم ، و اهتدت إلى الصراط
المستقيم ٣ : ” من يهد الله فهو المهتد و من يضلل فلن تجد له ولبا مرشدا ٤ “ .

(١) في بن : اللام (اللثام !) .

(٢) في بن : التي .

(٣) مطموسة في بن .

(٤) قرآن كريم ١٨ : ١٦ - كذا في بر ، و الآية في بن : « انك لا تهدي من
احببت و لكن الله يهدي من يشاء » و هي من سورة القصص ٢٨ : ٥٦ . و
زيد هنا على بن ما يلي [١٩٨ : الف - ب] :

روى أن عيسى عليه السلام مرّ برجل عند قبر و كان يراه كلما مر به
جالسا فقال : يا عبد الله أراك تكثر الجالوس بهذا القبر . قال : يا روح الله هو
قبر امرأتى كان من جمالها و موافقتها لى كيت و كيت و لى عندها وديعة . قل :
أتحب أن يحييها الله تعالى ؟ قال : نعم ، فصلى ركعتين و دعا الله تعالى ، فاذا رجل
أسود قد خرج من القبر كأنه جذع محترق ، فقال له : من أنت ؟ قال : يرسل الله
أنا في عذاب مقدار أربعائة سنة ، فلما كان في هذه الساعة قيل لى : أجب فأجبت
ثم قال قد مر على من أليم العذاب ما (مطموس) . . . الله تعالى أعطيه
عهدا أن لا أعصيه فادع الله تعالى لى . فرق له عيسى و دعا له ، ثم قال له :
امضى . فمضى . قال صاحب قبر المرأة : يرسل الله قد غلظت بالقبر ، و أنما قبرها
هذا . فدعا عيسى ربه فخرجت (مطموس) . . . جميلة ، فقال : هذه
امراتى ، فأخذ بيدها حتى انتهى إلى شجرة فنام تحتها و وضع رأسه في حجرها ، فمر بها
ابن الملك فنظر إليها و نظرت إليه فأعجبها و أعجبته ، فوضعت رأس زوجها =

[حكاية مروءة مع تغرير بالنفس]

حكاية تشتمل على مروءة مع تغرير بالنفس . أخبرني بعض المشايخ
 قال ١: لما دخلت الإفرنج الإسكندرية حين ظفرهم بها ، قفلت^١ داري ،
 و خرجت من باب السدرة بعيالي ، و ذلك قبل تمكنهم من البلد ، فكفرت
 ه في نفسي ، و قلت ٢ من المصلحة رجوعي إلى الدار أحرسها ٤ ، فإن
 كان^٣ بقي في أجلي^٥ فسحة^٦ سلمت و سلمت الدار من النهب ، و إن
 فرغ أجلي مت شهيدا^٧ سعيدا ، قال فرجعت أنا و صهرى أوثقنا الباب من
 داخله بالأقفال ٨ و أركزنا خشبة خلفه ، و نقلنا حجارة ضخمة^٩ ركزناها
 وراه ، و صعدنا^{١٠} إلى سطح الدار ، نقضنا^{١١} من ستائره^{١٢} حجارة صارت^{١٣}

= على حجر و تبعته ، فاستيقظ زوجها ، ففقد و طلبها فرآها فتنازع هو و ابن
 الملك فيها ، فبينما هو كذلك طلع عيسى فقص عليه القصة ، فقالت : أنا جارية هذا
 الفقي ، تعنى ابن الملك ، و لا أعرف هذا ، تعنى زوجها . فقال عيسى لزوجها :
 رد علينا ما أعطيناك . قال : قد فعلت . فسقطت المرأة ميتة . فقال عيسى : هل
 رأيتم رجلا أماته الله تعالى كافرا ثم بعثه قأمن و امرأة أماتها الله تعالى مؤمنة
 ثم أحياء فكفرت .

(١) مطموسة في بن .

(٢) في بن : فغلقت .

(٣) في بن : قفلت .

(٤) في بن : لأحرسها .

(٥ - ٥) في بن : في الأجل .

(٦) في بن : و اتخذنا .

عدة زمرى بها من يأتينا منهم^١ ، فيينا نحن كذلك ، و 'إذا بالإفرنج'^٢
 قصدوا باب الدار و هو^٣ في زقاق اغـير نافدا ، فرميناهم من طاقين^٤
 بالحجارة على أعلى^٥ بابها ، فتركونا و مضوا من تتابع الحجارة عليهم .
 ثم عاودونا فعاودنا الرمي عليهم ففضوا آيسين منا بعد أن صاروا ينظرون^٦
 هل يحدون^٧ مسلقا يتسلقون^٨ منه إلينا ، فلم يحدوا مكانا لعلو الدار .^٩
 قال^{١٠} : فكان رجوعنا إلى الدار سببا لسلامتها من الإفرنج^{١١} و العرب
 النهاية التي تنهب^{١٢} من الديار ، ما فضل عن الكفار ، و سلم^{١٣} بسينا من^{١٤}
 كان حولنا من^{١٥} الحار^{١٦} ، و رجعت العيال إلينا سالمين ، فصرنا لربنا

(١) الكلمة مطموسة في بن .

(٢-٣) العبارة مطوسة في بن .

(٣) في بن : و عى .

(٤-٤) في بن : على بابها بالحجارة .

(٥) في الأصل : أعلا .

(٦) في بر : ينظروا ، و في بن : يتأملوا .

(٧) في الأصليين : يحدوا .

(٨-٨) في بن : مسلكا يتوصلون .

(٩) ساقطة من بن .

(١٠) في بن : الفرنج .

(١١) في بن : نهبت .

(١٢) في بن الجيران .

حامدين و شاكرين^١ ، فلو أن أهل الإسكندرية أقاموا بديارهم ، و رموا
على^٢ الإفريج بحجارهم ، كما فعل الشيخ و صهره ، و كما فعل ابن نخالة المتقدم
ذكره بشارع الحججة ، ما كانت الإفريج^٣ تصل منها إلى^٤ بيضة عجة^٤ ،
و كان قد^٥ سلم من الأسر النساء و الرجال ، و الاماء^٦ و الأطفال ،
هـ إذ كانت عدة^٦ [٢٦٢: ب] الإفريج^٣ على ما قيل ستة عشر ألفا^٧ ، و أهل
الإسكندرية نحو مائة ألف ، و الكثرة بعون الله تعالى تغلب النقلة^٨ . و كما^٩
قال الشاعر :

لا تقابل بواحد أهل بيت فضيفان يغلبان قويا^٩

لكن أهل الإسكندرية لم يتقدم لهم قبل ذلك الوقت مع الإفريج قضية ،
١٠ بل كانوا مدة^{١٠} طويلة هم و آبائهم^{١٠} في عافية ، فلما رأوا ما حل بهم

(١) في بن : شاكرين .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن الفرنج .

(٤-٤) في بن : شيء .

(٥) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٦) في بن : هذه .

(٧) في الأصل : ألف . و في بن : ألف نفس .

(٨) في بن : القوة .

(٩-٩) مطموسة في بن .

(١٠-١٠) في بن : سنين كثيرة .

من الداهية ١ ، ٢ فزعوا فتركوا ٢ ديارهم مقفولة ، حين ٣ رأوا سيوفهم ٤
مسلولة ، و شرد كل أحد من البلد فازع ، و عقله من الخوف جازع ،
فخرجوا من الابواب شارين ، و إلى البر طالين ، فتمكنت من نهب
دورهم الإفرنج ٥ الكافرون ٦ . ٧ و قتلوا من وجدوه بها مقيم ٨ ، من
الرجال و الحریم ، و كان ذلك بتقدير العزيز العليم . و لله در القائل ٥
٨ حيث يقول :

قالت ٨ أبحت بسرّ كنت تكتمه و صار سرك بين الناس مبذولا
فقلت يا هذه دعى أباح به ليقضى الله أمرا كان مفعولا
فانظر إلى أرباب المروءات ، كيف يلقون أنفسهم للهلكات ، كفعل الشيخ
و صهره ، إذ حى كل ٩ واحد منهما ظهر الآخر بظهره ، فالشجاع يحمى ١٠
نفسه و جاره ، و الجبان تقتله الأعداء و تهب داره .

(١) زيد بن : الدمياء .

(٢ - ٣) في بن : تركوا .

(٣) في بن : لما .

(٤) في بن : سيوف الفرنج خلفهم .

(٥) في بن : الفرنج .

(٦) في الأصلين : الكافرين .

(٧ - ٧) في بن : و اسروا من وجدوا منهم . و حجة بر « مقيما » تركناها للسجع .

(٨ - ٨) ساقطة من بن .

[حكاية تشتمل على قوة قلب و تعزيز بالنفس]

حكاية تشتمل على اقوة قلب و تعزيز^١ بالنفس . حكى أن
 بعض المغاربة أقام هو و عياله بداره حين ظفر الإفرنج بالإسكندرية . فبينما
 هم كذلك و إذا^٢ بالإفرنج ٣ ٤ أتوا بشارعهم^٤ ، فصادفوا فيه رجالا من
 المسلمين قتلهم^٥ ، و كسروا أبواب^٥ دور به^٥ نهيوها غير دار المغربي
 لاستغنائهم عما أخذوه من تلك الدار^٦ . فحمل كل واحد منهم^٧ ما أثقله
 حمله و مضوا^٨ . فقال المغربي : ^٩ 'إن كنا سلمنا من هؤلاء لم نسلم من
 غيرهم ، و كان ينظر إلى فعلهم من تابوت^{١٠} خشب بطاقة بداره^{١١} ، فنزل
 عند مضيه فتح باب داره^{١٢} و جر قتيلا^{١٣} مسلما ألقاه^{١٤} بدلهين داره^{١٥} ،
 و جر قتيلا آخر ألقاه على عتبة^{١٦} بابها ، و ترك باب الدار مفتوحا ،
 و دخل و غلق باب قاعة الدار عليه و على عياله . و صعد ينظر^{١٧} إلى

(١ - ١) العبارة ساقطة من بن .

(٢) مطموسة في بن [١٩٩ : الف] .

(٣) في بن : بالفرنج .

(٤ - ٤) في بن : قد أتوا إلى شارعهم .

(٥ - ٥) في بن : دويرة .

(٦) في بن : الدور .

(٧) ساقطة من بن و واردة في بن .

(٨) ساقطة من بن .

(٩) في بن : فلا .

(١٠ - ١٠) في بن : بالدار .

(١١ - ١١) في بن من تلك القتيلا ألقاه .

الشارع من ١ التابوت الخشب المحرم ، فصارت الإفرنج^٢ تمر عليه ٣ بالشارع ، فيجدون باب تلك الدار مفتوحا والقتلى به ، و في الشارع أيضا قتلى مطروحة ، والأبواب مفتوحة^٤ ، فيتوهموا أنه لم يبق بذلك الشارع داره إلا^٥ وقد نهبت^٦ ، ولا رجال إلا^٧ وقد قتلت^٨ ، فيتركونه و يمضون إلى شارع^٩ غيره . فلما اطمأن المغربي [٢٦٣ : الف] بدخول المسلمين ٥ البلد ، ألقى تلك القتلى التي بدليل داره و على بابها ١ في الشارع ١٠ و سلم هو و عياله من القتل و الأسر و النهب و الفرار مع من^٩ و من أبواب البر .

[حكاية تشتمل على فرج و جزع و فرج بعد شدة]

حكاية تشتمل على فرج و جزع و فرج بعد شدة و هلع و غير ذلك من "الواردات المستطردات" . حكى أن الإفرنج ١١ لما ظفروا ١٠ بالإسكندرية ، و خرجوا ١١ منها بعد أن أوقروا مراكبهم بأموالها و أثاثها^٨

(١) مطموسة في بن .

(٢) في بن : الفرنج .

(٣) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٤) في بن : مفتحة .

(٥) في الأصلين : دارا .

(٦-٦) في بن : ونهبت .

(٧-٧) في بن : و قتلت .

(٨) ساقطة من بن .

(٩) زيد في بن : قد .

(١٠ - ١٠) في بن : الاستطردات .

(١١ - ١١) مطموسة في بن .

وأسراها، ورجعت أهلها الفارون^١ منها حين الواقعة إليها، أتى رجل منهم إلى باب^٢ داره، فوجد والدته بها^٣ صحيحة الجسم،^٢ سليمة من الجراح^٣، ومقنتها وثيابها مضمخة بالدماء، فتعجب من ذلك وقال: ما هذه الدماء التي أراها بثيابك ومقنتك التي^٤ على رأسك^٤، وليس بك جرح ولا ألم؟ فقالت: خبري عجيب، وأمرى غريب. فقال لها: أخبريني وبمالك^٥ حدثيني. فقالت: اسمع حديثا ما طرق أذنك أبدا، ولا سمعه مني إلى الآن أحد^٦. فقال: هبّيه واذكريه، وعلى يا أمّاه قصيه. قالت: نعم^٥، وذلك أن الإفريج^٧ لما أتوا إلى^٨ شارعنا، وأنا أنظر إليهم من كوة^٩ دارنا، أيقنت^{١٠} أنهم لم يتركوني^{١١}، إما أن يقتلوني^{١٠} أو يأسروني. فكسروا باب دار فلان ودخلوها، فبادرت وخرجت من باب^٢ داري، ومضيت أطلب مكانا أختفي فيه^{١١}. فدفعت باب دار فانفتح فدخلتها، وصعدت من سلمها، فتوصلت منه إلى غرفة ليس بها سوى عجوزة كبيرة السن^٨ جالسة على سرير، فلما رأتني قالت: اصعدى

(١) في بن: القارين. (٢) ساقطة من بن.

(٣-٣) ساقطة من بن.

(٤-٤) في بن: برأسك.

(٥-٥) مطموسة في بن.

(٦) في الأصلين أحدا.

(٧) في بن: الفرنج.

(٨) ساقطة من بر و واردة في بن.

(٩) في بن: طاق.

(١٠) مطموسة في بن. (١١) في بن: به.

عندى لثاني هاهنا وحدى ، وقد حصل لى ولها الرعب من جهة الإفرنج^٢
 فى الشوارع . قالت فلم يعجبني^٣ جلوسى معها على السرير ، بل^٤ انحنيت
 و دخلت تحته ، فبينما نحن كذلك و إذا بالإفرنج^٥ صعدوا إلى الغرفة .
 فحين رأوا العجوز^٦ جالسة على السرير^٧ ، ولم يجدوا^٨ بالفرقة ما يأخذونه ،
 اختطفها سيوفهم ، فصار دمها يسيل على رأسى و وجهى و ثيابى ؛ و أنا
 خائسة مرتعبة^٩ ، فلو رأونى ، كانوا بها الحقونى ، و بسيوفهم هبرونى .
 ثم أنهم ولوا راجعين ، فبقيت بمكانى جالسة مرعوبة خائفة ، لا أقدر
 على حركة ، بل صار قلبى يضطرب كاضطراب السمكة ، فلم^{١٠} أزل مقيمة
 بذلك المكان ، حتى سمعت الأذان ، فعلت أن الناس وجعوا من
 فرارهم إلى ديارهم ، فأنيت إلى دارى ، فلم أجد بها قليلا ولا كثيرا ،
^{١١} ولا جليلا ولا حقيرا^{١٢} ، فحصل لى الخوف الشديد من معاينة الإفرنج^{١٣}
 و قتلهم للمرأة و سيلان دمها على و استنشاق^{١٤} لرائحة جيفتها حين جافت ،

(١) فى بن : هجمة .

(٢) فى بن : الفرنج .

(٣-٣) مطموسة فى بن .

(٤) فى بن : يروا .

(٥) فى بن : مرعوبة .

(٦) فى بن : ولم .

(٧-٧) - اقطه من بن .

(٨) فى بن : و انتشاق .

و روي [٢٦٣ : ب] حين خرجت من تحت السرير إلى صفة ما فعل بها ، و تفكرى في أمرك^١ هل أنت^٢ قتيلا أو أسير^٣ ؟ مع حزنى على ضياع سترتنا^٤ المنهوبة من دارنا . فأى عجب أعجب مما رأيت ، و أى خبر أغرب مما وصفت ؟ فقال لها : صدقت . ثم أنه الآخر حدثها بما جرى^٥ عليه من فراره^٦ من الإفرنج مع من فر ، و هم تابعونهم^٧ بسيوفهم المجردة عند خروجهم من الباب ، و كيف كان^٨ المسلمون^٩ يدوسون بعضهم بعضا من شدة الزحام إلى أن صار بعضهم موتى ١٠ من ذلك ، مع ما أخبرها بجوعه و إفلاسه ، و حفائه لضياع مداسه ، و خطف العرب لعمامته التي على رأسه . فقالت : يا بنى ما أظن أحدا في هذه الدنيا ١١ مستريحا ١٠ و لا مريحا^{١٢} . فقال لها : و لا الرجل الذى حسد الكلب على النيع .

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) عن بن ، و الكلمة في بر : أمرى .

(٣) ساقطة من بن

(٤-٤) في بن كذلك ، و في بر : قتيلا أو أسيرا .

(٥) عن بن ، و في بر : سترتها .

(٦-٦) في بن [١٩٩ : ب] : له في فراره .

(٧) في الأصلين : تابعينهم .

(٨) في الأصلين : كانت .

(٩-٩) عن بن ، و في بر : تدوس بعضها .

(١٠) في بن : ميتا .

(١١-١١) في الأصلين : مستريح ولا مريح .

فقالت : العجب العجاب و من يحسد يا ولدى ١ الكلاب . قال ٢ : أما سمعت خبر الرجل الذي طلبه الحجاج ليقتله فهرب منه في كل الفجاج ؟ قالت : و ما ذاك حدثني بحديثه .

[حكاية عن الحجاج بن يوسف الثقفي]

قال ٣ كان الحجاج بن يوسف الثقفي أميراً على العراق . و كان ٤ هـ سفاكاً للدماء ، و يقول أكبر لذاتي سفك الدماء ٥ ، و جريها ٦ على الأرض كالماء ٧ . فقتل ٨ من الناس ٩ كثيراً . حتى من الصالحين ١٠ و العلماء ، تخاف الرجل منه حين طلبه ليقتله ، فصار هارباً منه ١١ يمينا و شمالاً ١٢ لا يستقر بقرار ، و لا يقيم بيت ١١ و لا دار ١٢ ، و لا يأوى بمكان

(١) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٢) في بن : فقال .

(٣) زيد في بن : نعم .

(٤) ساقطة من بن .

(٥ - ٥) الجملة ساقطة من بن .

(٦) في بن : و جريانها .

(٧) في بن : بجرى الماء .

(٨) عن بن . و في بر : الصالحين .

(٩) في بن : انه قتل الصلحا .

(١٠ - ١٠) العبارة ساقطة من بن .

(١١) في بن : ببلد .

(١٢) في بن : ديار .

ولا يطمئن إلى إنسان ١ ، بل صار ٢ بعيدا عن سكنه ، بعيدا عن وطنه .
 فر بـكلب بين جنتين ٣ يقطر عليه ماؤهما . فقال : ليتني كنت ٤ مثل هذا
 الكلب في الراحة والأمن . فـالبت ٥ أن مر به ذلك الكلب ، وفي
 عنقه ٥ حل وهو يحمر ، وعليه آثار الشره . فسأل عنه فقال : جاء
 ٥ كتاب الحجاج إلى ٥ الولاة والكتاب ٤ بقتل الكلاب ، في كل الفجاء
 فقال ٥ الرجل ٥ : إذا ليس في الدنيا مستريح ، وهج على وجهه في الفلأ
 خوفا ٦ أن يضرب ٦ بسيف الحجاج مندرجا ٦ في جملة القتلى ٦ . ٦ وأشد
 يقول ٦ في المعنى :

كل من أشكو له قصتي لم ألاق غير ذي قلب جريح
 ١٠ يتشكى مثل شكوايا ١٠ له بالقوى ما عليها مستريح

(١ - ١) في بن : يطمأن لانسان .

(٢) في بن : صار .

(٣) كذا في بر ، وفي بن : حسي ، ونقطها ناقص والمعنى غير واضح .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) مطموسة في بن .

(٦) في بن : الفجاء .

(٧) زيد في بن : من .

(٨) كذا في بن ، والكلمة في بر : يسير .

(٩ - ٩) في بن : فانشد لسان حاله .

(١٠) في بن : شكواي .

فقلت المرأة لولدها^١ : يا بني^٢ وكيف أن الحجاج يقتل العلماء والصالحين .
أما يخشى عقاب رب العالمين؟ قال : لو كان فيه بعض الخير^٣ ما قتل سعيد^٤
ابن جبير سيد العلماء وقدة الصالحين^٥ والأتقياء . فقلت^٥ بالله حدثني ،
وبخبره^٦ معه^٦ عرقى .

قال^٧ بلغني أن سعيد بن جبير كان عبداً لرجل من بني أسد ه
[٢٦٤ : الف] فاشتراه سعيد بن العاص في مائة عبد فأعتقهم أجمعين .
فكان سعيد بن جبير أفضل أهل المدينة^٨ فقها وزهداً . فخرج مع
عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج ، فلما انهزم ابن الأشعث إلى أصبهان
هرب سعيد بن جبير إلى مكة . فقليل لسعيد : ما أوجب خروجك على
الحجاج؟ قال : سمعته يقول - أليس خليفة أحدكم^٩ في أهله خير من
رسوله إليهم؟ يعني به أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان . فقلت :

(١) ساقطة من بن .

(٢-٢) في بن : أما كان رجل مسلم ، قال نعم هو الحجاج بن يوسف بن
الحكم بن عامر بن غروة بن مسعود صاحب النبي صلى الله عليه وسلم كان
في الحجاج خير ما قتل - الخ .

(٣) في بر : لسعيد . وهي كذا في بن .

(٤) في بن : الصلحاء .

(٥) زيد في بن : يابني .

(٦) مطموسة في بن .

(٧) زيد في بن : نعم .

(٨) في بن : الدنيا .

‘الله على لا أصلي خلفه’ صلاة أبدا ، ولئن وجدت قوما يقاتلونه لأقاتلنه معهم . قال أبو حصين فبلغنا أن خالد^٢ القسري قد أمر على مكة . فقلت يا سعيد إن هذا الرجل لا يؤمن ، وهو رجل سوء ، وأنا أخاف عليك منه . قال سعيد : يا أبا حصين قد والله^٣ فررت حتى استحييت من الله تعالى ، مرحبا بما كتب الله لي . قلت^٤ : أظنك والله سعيدا كاسمك . فكتب الحجاج إلى خالد القسري بطلبه ، وذكر عن عون بن أبي شداد قال ذكر سعيد بن جبير عند الحجاج ، فدعا^٥ قائدا من أهل الشام يقال له المتلس بن الأخوص^٦ الثقفي وعشرين رجلا من ثقة^٧ أصحابه ، وأمرهم بطلب سعيد بن جبير . وكتب معه كتابا إلى خالد القسري وهو ١٠ . إذ ذاك أمير على مكة يأمره بالقبض عليه وتسليمه إلى رسله مستوثقا به ، فطلب سعيدا فوجده قائما يصلي في الحجر ، قال المتلس^٨ : فرأيت أحسن الناس وجهها^٩ ، وأفصحهم لسانا^{١٠} له^{١١} وفرة إلى شحمة^{١٢} أذنيه .

(١-١) الجملة ساقطة من بن .

(٢) مطموسة في بن .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : قال .

(٥) عن بن ، وهي في بر : فدعى .

(٦) في بن [٢٠٠ : الف] : الأخوص (بدون نقط) .

(٧) في بن : ثقات .

(٨) زيد في بن : ابن الأخوص .

(٩) ساقطة من بر وواردة في بن .

لم أر مثل هيبة ولا مثله لرجل من أهل زماننا . قال : فأخذته فانطلقت^١ به حتى نزلنا^٢ ماء لبنى أسد . فقال : بهذا الماء جماعة من أهلي ، فإن رأيت أن تطلق عني هذا الحديد . قال^٣ فأطلقت عنه حديدة ، فقال لك الله تعالى^٤ عليّ أن أرجع إليك . فلما كان في آخر النهار ، أتاني فأوثقته بحديده ثم مضينا . قال فأدركنا المساء ، عند صومعة راهب ، ه فأشرف علينا الراهب وقال : اصعدوا الدير فإن حوله أسودا أخشاها عليكم . فصعدنا وأبى سعيد أن يدخل الدير ، وقال : والله لا أدخل بيت مشرك أبدا . قال : فانا لا ندعك^٥ فإن السباع تقتلك^٦ . قال : فان معي ربي^٧ سبحانه وتعالى سيصرفها عني ، ويجعلها حرسا حولى ، فصعدنا وتركناه ، فاذا بلبوة قد أقبلت حتى دنت منه ، فمسحت به ، ١٠ وربضت^٨ قريبا منه ، وأقبل^٩ الأسد فصنعوا به مثل ذلك^{١٠} . فلما رأى الراهب ما رأى من طاق صومعته نزل إليه وقال له : أنبي أنت ؟ قال : لا ولكني عبد من عبيد الله خاطئ مذنب . قال : فسأله عن شرائع

(١) في بن : وانطلقت .

(٢) زيد في بن : على .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) كذا في بن ، وهي في بر : الليل .

(٥-٤) في بن : تأكلك السباع .

(٦-٦) في بن : فقال إن معي الله .

(٧) كذا في بن ، والكلمة في بر : وربطت .

(٨-٨) في بن : الأسد فصنع مثله ذلك .

١ دينه . [٢٦٤ : ب] قصر^١ ذلك كله ، وأسلم الراهب على يديه .
ثم أن الرسل ساروا بسعيد حتى أتوا إلى مدينة واسط^٢ بعد أن
عرفوا بركته وحراسة السباع له ، فلما أشرفوا به على واسط^٣ قالوا :
ليتنا^٤ لم نرسل إليك ولم نرك^٥ ، فاعذرنا^٦ عند ربك . قال سعيد :
هـ ما أعذرني لكم وأرضائي بما سبق من علم الله في ، فهل لكم أن^٧ تتركوا
سبيل^٨ حتى أتزود ابقية ليلتي من الدنيا ، فخلوا سبيله^٩ ، فغسل رأسه
وبدنه ومدرعته وكساه . فلما انشق عمود الصبح ، دخلوا به على الحجاج
افقال : ما اسمك أيها الرجل ؟ قال : سعيد بن جبير . قال : بل أنت
شقي بن كسير . قال : أمي كانت أعلم باسمي منك . قال : شقيت وشقيت
١٠ أمك . ثم قال له^{١١} : لأبدلنك بدنالك^{١٢} نارا تطفى . قال : لو علمت أن
ذلك بيدك لاتخذتك إلها . قال : ما قولك في محمد ؟ قال : نبي الرحمة
ورسول^{١٣} صلى الله عليه وسلم ، ختمت به الرسل . قال : فما تقول في
علي بن أبي طالب ؟ أفي الجنة^{١٤} هو أم في النار ؟ قال : لو دخلت الجنة
عرفت من فيها . قال : فما تقول في الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل .
قال : فأيهم أعجب إليك ؟ قال : أرضاهم للخالق بعلمه الذي يعلم سرهم

(١-١) مطموسة في بن . (٢) مطموسة في بن .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) في بن : ليت أنا .

(٥-٥) في بن : تتركوني .

(٦) ساقطة من بن وروادة في بن .

و نجاواهم . قال : فأى الرجل أنا ؟ قال : أنا أهون^١ على الله من أن يطلقني على غيبه . قال : آيت أن تصدقني . قال : بل لم أرد^٢ أن أكذبك . قال : الويل لك يا سعيد . قال^٣ : الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار . فقال له الحجاج : ألم أقدم الكوفة ولم^٤ يؤم بها الأعربي فجعلتك إماما ؟ قال^٥ : بلى ! قال : ألم أوليك القضاء^٦ فضج أهل الكوفة هـ وقالوا لا يصلح للقضاء إلا العربي فاستقضيت أبا بردة بن أبي موسى الأشعري^٧ وأمرته أن لا يقتل أمرا دينك ؟ قال : بلى ! قال : أو ما أعطيتك خمسمائة^٨ درهم ففرقتها في أهل الحاجة^٩ في أول ما رأيتك ثم لم أسألك^{١٠} عن شيء منها ؟ قال : بلى ! قال : فما بالك لم تضحك قط ؟ قال : وكيف يضحك مخلوق من طين ، والطين تأكله النار^{١١} . ولا يدرى ١٠ بعد ذلك أصبح الموت أم يمسه ؟ وكان الحجاج رقا عليه ، ورجاله كل من حضر الخلاص من بين يديه . ثم قال له الحجاج^{١٢} : فما أخرجك علي ؟ قال : يعة كانت لعبد الرحمن بن الأشعث في عنق . قال فغضب

(١) في بن : اهر .

(٢) في الأصلين : اريد .

(٣) مطموسة في بن .

(٤) في بن : وليس .

(٥) في بن : مائة الف .

(٦-٧) كذا في بن ، والجملة في بر : لم أسئلك .

(٧) كذا في بن ، والكلمة في بر : الناس .

(٨) ساقطة من بن .

الحجاج حتى زال رداؤه عن منكبيه وقال ١: أو لم تتقدم في عنقك
 بيعة ٢ ٣ أمير المؤمنين ٣ عبد الملك بن مروان من قبل؟ ثم قال:
 يا شقي اختر لنفسك قتلة أقتلك. قال له: بل اختر لنفسك فان القصاص
 أمامك. قال: والله لأعجلنك إلى النار. قال: لو علمت أن ذلك
 ٥ [٢٦٥: الف] يدك لاتخذتك إلها. قال فاغتاظ عليه الحجاج وقال:
 اقلوه! قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. ثم
 ضحك، فقال: ما أضحكك؟ قال: عجبت من جرأتك على الله و من
 حلم الله تعالى عنك^٦، وأنا أسأل الله تعالى بعزته وسلطانه أن لا يسلطك
 على قتل أحد من المسلمين بعدى^٧، وأكون فداء المسلمين أجمعين، فهذه
 ١٠ دعوتى عند قتلتى^٨. قال فلما أراد قتله، استقبل القبلة وقال: "وجهت
 وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيئا وما أنا من المشركين^٩".
 قال الحجاج: حولوا وجهه عن القبلة. قال: "فإنيما تولوا فثم وجه الله^{١٠}".
 قال فأمر به فأضجع وقال: كُتبوه على وجهه. فقال: "منها خلقكم،
 وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى^{١١}". قال: اذبجوه من فقاء!

(١) في بن: قال. (٢) ساقطة من بن.

(٣-٣) ساقطة من بر وواردة في بن: أمير المعين.

(٤-٤) ساقطة من بن.

(٥) الكلمة ساقطة من بر وواردة في بن [٢٠٠: ب].

(٦) مطموسة في بن. (٧) في بن: منك. (٨) في بن: بعد.

(٩) في بن: فتلى. (١٠) قرآن كريم ٦: ٧٩.

(١١) قرآن كريم ٢: ١١٥. (١٢) قرآن كريم ٢٠: ٥٥.

قال فذبح فجرى منه دم عظيم استكثره كل من حضر و هالهم ذلك . فقال الحجاج : هذا لاجتماع نفسه و أنه لم يجرع من الموت و لا هابه ما فعلت به ، و غيره نقتله و هو مفتوق النفس ، فيقل^١ دمه لذلك . ثم أنهم^٢ قشوه فوجدوا في ثوبه ثلاثة عشر درهما ، فاختصم فيها الذى قتله^٣ و الذين جا(ءوا) ٣ به ، ففضى بينهما^٤ الحجاج للذى قتله . و اختلط^٥ عقل الحجاج فى الوقت ، فجعل يقول : " قيدونا ثم قيدونا " . فلم يعلموا ما الذى أراد ، فقطعوا ساقى سعيد من أنصافها بالقيود التى كانت عليه ، و حزوا عنقه^٦ إلى أن بان رأسه عن جسده ، و كان قتل سعيد بن جبير و هو ابن سبع و أربعين سنة .

و قيل لما بلغ الحسن البصرى قتله قال : اللهم يا قاصم الجبارة ١٠ اقصم الحجاج . فلم يعيش الحجاج^٧ بعد قتل سعيد بن جبير إلا^٨ ستة عشر يوما^٩ . و وقعت أكلة فى بطنه ، و دعى^{١٠} بالطبيب لينظر إليه ، فأخذ لحما و علقه فى خيط إريسم و شرّحه فى حلقه و تركه ساعة ثم استخرجه^{١١} و قد لصق به دود كثير ، و سلط الله^{١٢} عليه الزمهرير ،

(١) مطموسة فى بن .

(٢) ساقطة من بن .

(٣-٤) كذا فى بن و بعضها مطموس ، وإهى فى بر : و الذى جاء .

(٤) فى بن : فيها .

(٥-٦) فى بن : قيودنا قيودنا .

(٧) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : برأسه .

(٧-٧) مطموسة فى بن .

(٨) زيد فى بن : تعالى .

فكانت الكوانين تجعل حوله مملوءة نارا، وتدنئ منه^١ حتى يحترق جلده^٢، و^٣منع من النوم، فاذا همَّ أن يغنى^٤ وثب مذعورا وقال: ما لي وللسعيد^٥ بن جبير. وأرسل في طلب الحسن^٦ البصرى، فأتاه فشكى^٧ إليه ما نزل به. فقال الحسن: قد نهيتك أن لا تعرض للصالحين ه فلححت ليقضى الله أمرا كان مفعولا. وخرج الحسن من عنده فسل عنه فقال: دخلت عليه وقد تغير لونه، وغارت عيناه من^٨ السهر، واحترقت ثيابه، وتسلق جلده من حر النار في تسعة كوانين حوله، فكلمنى وقد ضعف و^٩بحج صوته ثم قال: [٢٦٥ : ب] يا حسن ألا أسألك^{١٠} أن لا^{١١} تسأل الله أن يفرج عني، ولكن أسألك^{١٢} أن تسأله أن يقتص منى، ويقبض روجى ولا يطيل عذابى، ويفعل بى ما شاء. قال فبكى الحسن بكاء شديدا. وأقام الحجاج بهذا الحال خمسة عشر يوما ومات. فقال الشاعر^{١٣}:

ومن عجب الأيام أنك قاعد على الأرض في الدنيا وأنت تسير
تسير الليالى بالفتى^{١٤} لا يحسها^{١٥} من الناس إلا عاقل وبصير
١٥ فسيرك يا هذا كبير سفينة يقوم جلوس والقلوع تطير

(١) مطموسة في بن.

(٢) في بن: يغفا.

(٣) في بن: فشكا.

(٤) كذا في بن، والكلمة في بر: أسئلك.

(٥) ساقطة من بن. كذا من بر وها مشها، ولعل الصواب: لا أسألك أن

تسأل الله أن يفرج عني ولكن الخ.

(٦-٧) مطموسة في بن.

فلا تطلب الدنيا بطول غنائها فتأني إلى الأخرى وأنت فقير
أما تنظر الحجاج من بعد ظلمه وكثرة أموال له وقصور
غدا للثرى بالذل من شؤم ظلمه وصار حديثا في الأنام نكير
ونظرت هند بنت أسماء بن خارجة زوجة الحجاج إلى الحجاج مُسَجًّا
وهو ميت فقالت :

٥

ألا يا أيها 'الجسد المسجّ' لقد قرت بمصرعك العيون
و كنت قرين شيطان رجيم ٣ فلما مت أسلمك القرين
وقيل إن هند هذه لها معه أخبار منها أنها ولدت منه ولدا، فلما رآه
ذمه بكل ذم قبيح، فأنشدته تقول :

١٠ وهل هند إلا مهرة* عريّة سليّلة أفراس تحللها بغل

فلما سمع ذلك منها طلقها لوقتها، ودفع لها صداقها مائتي ألف درهم،
ولحقت بقومها^٦، فأرسل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خطبها

(١) يمكن قراءة الكلمة في بر « مسجّا » ولكن بمقارنتها مع بن يظهر بوضوح
أنها « مسجّا » أو « مسجّى » بمعنى « مغطى » .

(٢) في بن : أيها .

(٣) في بن : مرید .

(٤) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥) كذا عن بن [٢٠١ : ألف] ، والكلمة في بر : مرأة .

(٦) زيد في بن : بعد أن يحته بأبيات منها :

- وإن جباد الخيل وهى صواهل مطايا لأبناء الحمير النوا (حق)

وفي الأصل « الحمير » وكلمة « النواهل » آخرها ضائع في الترميم، انظر النص
فيما بعد .

بعد وفاء^١ عدتها ، فأرسلت تقول له : شرطى يا أمير المؤمنين بعد صدق
 أن تأمر عاملك الحجاج أن يأخذ بزمام ناقتى من الكوفة إلى دمشق .
 فأرسل عبد الملك يقول : إن هذه المرأة شريفة فى قومها ، كريمة^٢
 فى نسبها ، وما يضرك أن تأخذ بزمام ناقتها إلينا ! فلم يجد له بدا
 ه من ذلك ،^٣ لطاعة أمير المؤمنين ولعدم مخالفة مرسومه^٤ . ثم أنها
 تجهزت ،^٥ وسارت فى محفل كبير^٦ ، وسار^٧ الحجاج قائدا • لزمام
 ناقتها • على غيظ وحق منه نادما^٨ على طلاقها ، فلما قالوا : هذه غوطة
 دمشق ، رمت من هودجها دينارا إلى الأرض^٩ وقالت : يا جمال
 أعطنى الدرهم الذى وقع منى^{١٠} . فأناخ الحجاج راحلته^{١١} التى هو راكب
 ١٠ عليها^{١٢} ونظر^{١٣} فى الأرض ، فوجد ديناراً^{١٤} ، فقال : ليس هو بدرهم ،
 وإنما هو دينار .^{١٥} وناولها^{١٦} لها^{١٧} فقالت : الحمد لله يا حجاج^{١٨} ، وقع منى
 درهم فوجدت^{١٩} دينارا . فلما سمع كلامها^{٢٠} ازداد غيظا على غيظه . ثم

(١) فى بن : انقضاء .

(٢) فى بن : حسيبة .

(٣-٣) ساقطة من برو واردة فى بن .

(٤) كذا فى بن ، والكلمة فى بر : صار .

(٥-٥) مطموسة فى بن .

(٦) فى بر : نادم . وهى كذا فى بن .

(٧) مطموسة فى بن .

(٨) ساقطة من برو واردة فى بن .

(٩) فى بن : فوجدناه .

(١٠) فى بن : مقالته تلك .

قالت تهجوه^١ : [٢٦٦ : الف]

وما كنت من أبناء جنسى فلتقى خلائقك القبحا وحسن خلائقي
'ولكن جياذ الخيل' وهي صواهل مطايا لأبناء 'الحمير النواهي'
فازداد^٢ هما على همه^٣ ، و غما^٤ على غمه^٥ . ثم لما مات عبد الملك ردّها
إلى عصمته ، فلما^٦ انتهت مدته^٧ أنشدت البيتين المتقدم ذكرهما 'و هما
« ألا يا أيها الجسد المسجى ، إلى آخرهما .

ولما مات^٨ الحجاج رثى^٩ في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟
قال : قتلنى بكل من قتله قتلة ، و قتلنى بسعيد^{١٠} بن جبير سبعين قتلة .
عن أبي موسى الأشعري ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله
عز وجل يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ : " وكذلك اخذ^{١١}
ربك إذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد^{١٢} " . اللهم إنا

(١) مطموسة في بن .

(٢-٢) الجملة مطموسة في بن .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) في بن : نعمّا .

(٥-٥) في بن : فلما .

(٦-٦) في بن : مات .

(٧) في بر : رعى . و في بن : روى .

(٨) قرآن كريم ١١ : ١٠٢ .

(٩) استبدلت العبارة الآتية في بن [٢٠١ : الف - ب] من هنا إلى قوله « سبحان الله

العظيم » بكلام طويل فيه طمس بالكتابة وخيل في العبارة وتعقيد في تسلسل السياق ، =

== فأثرنا إدراجها بالهامش على ما هو عليه من غير تحريف ولا تبديل فيها به من التلاسم، وهو كما يلي: ... (مطموس)... بأمير بني خفاجة أبو فليتة وجماعة من رؤس قومه أسارى... (مطموس)... الحجيج وهم راجعون من الحج، وغوروا المناهل التي يردها الحجاج، ووضعوا فيها بطيخ الحنظل، قيل إنه مات من العطش نحو من خمسة عشر ألف حاج، وأخذوا بقية الحجاج... رعات (كذا) لمواشيهم في أسوأ حال، وأخذوا بجميع ما كان معهم من الأجمال والأهمل، فحين أحضر الوزير نجر الدولة (في الأصل: الدوه) أبو فليتة أمير (في الأصل: أمر) خفاجة وأصحابه مأسورين سجنهم، ومنهم شرب الماء ما فعلوه مع الحجاج ثم صلبهم تلقاء نهر دجلة أحياء ينتظرون صفاء الماء ولا (يقوون على) شرب شيء منه حتى (ماتوا عطشا) في هذا الصنع، واقتدى في ذلك بحديث أنس في الرعاية) الذين كانوا في (زمان النبي صلى الله عليه وسلم)، والحديث المذكور في الصحيحين، ثم بعث الوزير نجر الدولة إلى واليك الحجاج الذي جعلتهم... (مطموس)... لمواشيهم بغيء بهم وقد تزوجت نساؤهم، وقسمت أموالهم، فردوا إلى أهاليهم وأموالهم، فينبغي لولاة الأمور ردع الظلمة عن المظلومين، ففي ذلك رضى رب العالمين. كان أبو النجم الكردي الملقب ناصر الدولة من خيار الملوك بناحية الدينور وهدان له سياسة وصدقة كبيرة، وكانت أعماله في غاية الأمن بحيث إذا أعيأ جمل أحد من المسافرين فتركه بما عليه في البرية رد إليه ولو بعد حين بما كان عليه لا ينقص منه شيء. ولما عنت أمراؤه في البلاد بالفساد، عمل لهم ضيافة حسنة، فقدمها إليهم ولم يأتهم بخبز، فجلسوا ينتظرون الخبز يأكلوا به الطعام الذي مد لهم، فلما استبطوه سألوا عن الخبز، فقال لهم: إذ كنتم تهلكون الحرث وتجورون على الفلاحين فمن أين يأتون بالخبز. ثم قال لا أسمع بأحد أفسد في الأرض إلا أركت (دمه). واجتاز مرة في بعض أسفاره برجل معه حزمة حطب وهو يبكي فقال له: ما أبكاك؟ فقال: إني كان (معى رغيفان) أريد أن أتقوت بهما فأخذهما منى بعض الجند. فقال: ==

= أ تعرفه إذا رأيته ؟ قال : نعم . فوقف به في (مضيق) حتى مر عليه الجند ، فلما اجتاز به ذلك الجندى الذى أخذ منه الرغيفين قال : هذا هو . فأمر به أن ينزل عن فرسه وأن يحمل هذه الحزمة الحطب من الحطاب حتى بلغ بها إلى المدينة فأراد أن يفتدى من ذلك بمال ، فلم يقبل منه حتى يا (دب) به الجيش كلهم . وكان له صدقات ومعروف كثير على الفقراء والأرامل والأيتام وتكفين الموتى والمجاورين بالحرمين الشريفين وعمارة المصانع وإصلاح المياه وحفر الآبار بطريق الحجاز . وما اجتاز بما في طريقه إلا وعمر عند وعمر في أيامه الخانات والمساجد في الطرقات ما ينيف على ألفى خان ومسجد . فإذا أمسى الليل في الطرقات (ت) السفار تزوا الخان وصلوا في المسجد الذى به ، واشتروا من دكان الخان ما يتعيشون به . وكان له من الخ (ل) المربعة في سبيل الله بر (م الجهاد) ما ينيف عن عشرين ألف فرس . وكان كثير الصلاة والذكر ، وكان مدة ملكه (اثنان) وثلثين سنة ودفن (بمسجد) على بن أبي طالب . فانظر إلى فعل الملك أبي النجم الكردي ، ومن أذى الحاج وتصد (مطموس) ظلمهم ، وإذ قد (مطموس) الرغيفين اللذين (أخذهما الجندى من) الحطاب ، فإذكر ما قيل في الرغيف (قال بعض الصالحين : تفكرت في هذا الرغيف (مطموس) ... (ولم يروا) أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فيخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم) صرون فالملائكة موكلون بلقاء يسوقونه إلى الأرض كما قدر الله تعالى لقوله « وبجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر » (قرآن كريم ٥٤ : ١٢) أهل الأرض موكلون بآلة الحرث فيحرثون الأرض ويرمون فيها البذر . ويوكل الله به (الملائكة يحفظونه من) الأرض وهوامها حتى ينبت ، فإذا نبت وكل الله به ملائكة يحرسونه من الطير حتى يظهر (سنبله بأمر الملك الوهاب) =

براه من جور الظالمين و ظلم الظالمين ، وإنا محبون لعدوك في الآخرة .
 فلا تبجن علينا بسخطك ، واغفر ذنوبنا إنك على كل شيء قدير . قال
 أبو الحسن الشاذلي : إن أردت أن لا يصدى لك قلب ، و لا يلحقه
 هم و لا كرب ، و لا يبق عليك ذنب ، فاكثر من قول سبحان الله
 ه وحمده سبحان الله العظيم .

[حكاية مؤلفة لقلب امرأة مسلمة]

حكاية مؤلفة لقلب امرأة مسلمة . حكى أن امرأة مغربية كبيرة
 السن توفى ولدها وترك ولدا فطيلما يتيمًا من أبيه و أمه . فوصى

= فيلحقه و لو زاد عليه شيء من الأرض لأتلفه . قال الله تعالى : « و كل شيء
 عنده بمقدار » (قرآن كريم ١٣ : ٨) . و قال الله تعالى : « و أرسلنا (الريح)
 لواقع » (قرآن كريم ١٥ : ٢٢) ثم يسخر الله تعالى البخار بالحديد حتى يعمل
 له آلة الحصد أواته وقت انتفاعه كالمنجل و المقصل و أحصد . و كل الله به
 ملائكة تحرسه من الفار ثم يدرس ثم يحمل على ظهر الأنعام ثم يخلق الله تعالى
 من يقطع الحجارة و يبنى الطواحين فيطحن و يعجن ، و من يبنى الأفران
 و يخبزها ، ثم يأتي به إليك ، فانظر ما تجدد من الرغبة . و قال بعض الصالحين :
 دخلت طاحونا في (فرأيت) الجمل يدور و عياله مغطيتان فقلت
 بلسان الحال : أراك مغطى (العينين) هذا الوقت أحب فيه فتح
 عيني كلما نظرت إلى نعمة خالقي يزداد في قلبي محبته . قال النبي صلى الله عليه
 وسلم : جبت القلوب على حب من أحسن إليها و ليس العبد يحسن غير مولاه .
 (١) في بر : مؤمنة . و صحتها في بن كما أوردنا بالحق .

الرجل والدته عليه في مرض موته ، وترك له من الدراهم النقرة ألفين ،
فدفتها المرأة بالأرض حفظا لها . فلما ظفرت الإفرنج ٢ بالإسكندرية
حملتها معها وحملت جارياتها الولد المذكور ومضوا هارين مع جملة من هرب
من باب البر . فثقلت الدراهم على المرأة وعجزت عن حملها لكبر سنها ،
فصادفت رجلا كان صديقا لولدها ٣ في حياته ٢ ، فمكنت إليه و ذكرت ٥
له عجزها عن حمل مال اليتيم ، ولم تجد دابة تكثريها لحملها ٦ وسأله
أن يحمل ذلك ٦ عنها ، ويحفظه لليتيم ٣ ، ويكون عنده وديعة إلى أن تأمن
الناس ٣ . فأخذ تلك الدراهم منها ومضى إلى حال سبيله . فلما أمنت الناس
سأله في رد الوديعة فأنكرها . وحجدها فعادت عليه السؤال وهو لا يزيد لها
على الإنكار والجحود شيئا . فقيل لها لما ٧ شكت حالها لغيرها : ما منعك ١٠
من ترك ٨ الدراهم مدفونة ٩ ، أكانت الإفرنج ٢ تعلم ما تحت الأرض ؟

(١) في الاصلين : مدفونها .

(٢) في بن [٢٠١ : ب] : الإفرنج .

(٣-٣) العبارة ساقطة من بن [٢٠٢ : الف] .

(٤) الكلمة ساقطة من بر وواردة في .

(٥) في بن : سأله .

(٦-٦) عن بن ، وفي بر : يحملهم .

(٧) في بن : حين .

(٨) في بن : ان تكون .

(٩) ساقطة من بن .

قالت: نعم، كانت الأرض أحفظ لها، لكن حملني على حملها معى
 وقعة طرابلس الغرب^٢ وأخذ الإفرنج لها^٢ وإقامتهم بها مدة أشهر،
 وحفرهم لأراضى^٢ يوتها. [٢٦٦: ب] لطول إقامتهم بها، 'حسبت
 أن الذى ظفرنا بالإسكندرية يقيم بها هو و جيشه' كما أقاموا بطرابلس،
 ٥. ويحفروا^٢ ويأخذوا الدراهم^٢ المذلورة بحفرهم ديارها المعمورة^٢
 ولو علمت أنهم أتوا لصوصا^٢ خطافة نهاية^٢، لا يلبثوا بها كما لا يلبث
 اللص بمكان سرق منه، كنت تركتها بمكانها^٢. قيل لها: فكنت تركت^٢
 الجارية تحملها^٢ لقوتها^٢ وشبابها^٢. قالت: 'يكفى الجارية حملها للولد^٢،

(١) فى بن: واكن .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) فى بن: اراضى .

(٤-٤) فى بن: فظننت أنهم يقيموا بالإسكندرية .

(٥) ساقطة من بن وواردة فى بن .

(٦-٦) الجملة مطموسة فى بن .

(٧) ساقطة من بن .

(٨) فى بن: مكانها .

(٩) كذا فى بن، والكلمة فى بن: تركتى .

(١٠) الكلمة مطموسة فى بن .

(١١) فى بن: اقدرتها على ذلك .

(١٢-١٢) فى بن: اكتنيت للجارية بحمل الولد .

و خفت أن العربان تخطف الجارية^٢ بما معها^٣ كما خطفوا غيرها،
 لأن الإفرنج^٤ كانت تنهب في^٥ البلد،^٥ والعرب ينهبون من خرج
 منها بشيء له في البر^٦، وذلك لكثرة العرب^٧ وحرصهم على خطف
 من وجدوا معه شيئا، فانهم أتوا ينصرون أهل الإسكندرية، فصاروا
 عليهم نقمة وبليّة^٨. ثم أن المرأة حملت على قلبها من أمر الوديعة^٩ ه
 والمودع المذكور، فأتت بنعمتها^{١٠} وقهره لها. فصار الصغير مع
 الجارية حائرة به، لم تجد ما يقوم بهما^{١١}. فرفعت أمرها^{١٢} للنائب السلطان^{١٣}

(١-١) كذا في بن، والعبرة في بر: من العرب الجارية (كذا).

(٢-٢) الجملة مطموسة في بن.

(٣) في بن: الفرنج.

(٤) ساقطة من بن.

(٥-٥) في بن: والعربان تنهب من قد شرده.

(٦-٦) في بن: والعربان الذين جاءوا لقتال الفرنج (فلما لم يقدرُوا) على

الفرنج صاروا ينهبوا المسلمين ويحرضوا على خطف ما وجدوه مع الناس

الخارجين من باب البر. وفي بكلمة «ينصروا» صححناها.

(٧) ساقطة من بن وواردة في بن.

(٨) في بن: قهرها. (وما تلاها من الجملة مطموسة).

(٩) في بن: بها وبالصغير.

(١٠-١٠) في بن: فرفع الأمر.

بذلك^١ ، فأدعى بالرجل و سائسه بالحد و اللين^٢ حتى أخذ^٣ لليتيم ماله بكأله^٤ .

[حكايات في الودائع]

و إذ قد ذكرت^٥ الوديعة ، فساذكر ما قيل في الودائع إن شاء الله تعالى^٦ . قيل إن رجلا أودع عند رجل كيسا محتوما^٧ فيه ألف دينار ، و سافر و رجع من سفره بعد ثمان سنين ، فطلب الكيس منه ، فأعطاه إياه بختمه كما دفعه له أولا ، ففضى الرجل به إلى داره فتحه و صبّه ، فاذا هو دراهم ، و كان المودع المذكور فتقه من أسفله ، و أخذ ما فيه من الذهب ، و جعل مكانه دراهم ، و خاطه فصار كما كان^٨ محتوما^٩ . فرفع صاحب الكيس أمره إلى القاضي ، فأحضره و سأله عن ذلك ، فقال : إنه دفع لي كيسا محتوما لم أعلم ما فيه ، و أعدته له^{١٠} بختمه ، فقال صاحب الكيس : نعم^{١١} ، وجدته محتوما بختمي ، لكن كان^{١٢} دنائيرا فوجدته دراهما^{١٣} ، و كان المودع صاحبه رجلا مشهورا بالأمانة .

(١) في بن : بالإسكندرية .

(٢-٢) في بن : فأحضر الرجل و أخذ باللين و الحد .

(٣) في بن : استخلص .

(٤) في بن : بتمامه و كأله .

(٥-٥) مطموسة في بن .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧-٧) في بن : دنائير - دراهم .

فتحير الحاكم^١ و قال : احضروا لى مشايخ الفقهاء ، فثل هذا^٢ لا يهمل^٣
 بشهرته^٤ ، أى صاحب الكيس يصدق^٥ القول بين الناس . فلما
 حضرت مشايخ الفقهاء فكلهم جعلوا القول قول المستودع ، لأن صاحب
 الكيس أقر أنه محتوم بختمه^٦ ، فقال أحد الفقهاء . و كان لا يؤبه له :
 متى أردعته إياه ؟ قال : من مدة^٧ ثمان سنين . قال^٨ لغريمه : هكذا
 تقول ؟ قال : نعم ، فقص^٩ ذلك الفقيه إظهار^{١٠} نفسه ليصير^{١١} فى درجة^{١٢}
 تلك المشايخ الفقهاء ، و قال : إن رأى مولانا القاضى أيدى الله تعالى
 و وقفه للصواب^{١٣} [٢٦٧ : الف] أن يحكمى بينهما^{١٤} سبرى ما أحكم
 به^{١٥} . قال : قد حكمتك و أمضيت ما تحكم به . قال : و أين الكيس ؟
 قال : ها هو . فقال للرجلين : أنظرا^{١٦} . فنظرا فاعترفا به . فقال : و انظرا^{١٧} .

(١) فى بن : القاضى .

(٢-٣) العبارة ساقطة من بن .

(٣) فى بن : لشهرة .

(٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥) فى بن : لصدق اللهجة و القول .

(٦-٧) فى بن : لإقراره أنه وجد محتوما بختمه .

(٧) ساقطة من بن و واردة فى بن .

(٨) فى بن : فقال .

(٩-١٠) مطموسة فى بن .

(١٠) فى بن : الصواب .

(١١) عن بن ، و فى بن : و انظروا .

إلى ١ مكان الحتم . فظراه و عترفا . فقال : وأنتما متفقان على المدة ؟
 فقالا : نعم . ففتح الكيس و جعل يقلب الدراهم و ينظر إليها و يضعها
 و ينظر إلى كل واحد منها ٢ . فقال للمستودع : اتق الله و اردد على الرجل
 دنانيره قبل أن ينتهك سرك . قال : أفغير الحق تحكم ؟ قال : لا والله
 ٥ إلا بالحق . و ما ٣ الناس كلهم . مع المستودع و قالوا : لا نصبر على الهوى .
 فقال : لا والله ولا أحكم في دين الله بالهوى ، اشهدوا على أنى ٤ قد حكمت
 على هذا الخائن برد الدنانير و إسقاط ٥ أمانته . قالوا : من أين حكمت ؟
 قال : إني سألتها بأن الودعة ما ٦ ثمان ٧ سنين . فاعترفا بذلك ٨ إلى آخره ٩
 ثم قرأت سكك الدراهم فإذا فيها ما قد ضرب من ١٠ سنة ، و منها
 ١٠ ما قد ضرب من ١١ ثلاث سنين . و منها أربع سنين . فعرفت ١١ كذبه ،

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) في بن : منها . و الكلمة صححت بغير قلم النسخ .

(٣) في بن : و تعصب .

(٤) في بن : لا .

(٥) في بن : أننى .

(٦) في بن : و إسقاط .

(٧) في بن : ثمانى .

(٨-٨) ساقطة من بن و واردة في بن .

(٩) في بن : منذ .

(١٠-١٠) ساقطة من بن [٢٠٢ : ب] .

(١١) في بن : فعلت .

فحكمت عليه بالرد والحياة^١ ، فاستحسنوا منه ذلك ، ولم يفهمها غيره ، فكرر شأنه عند القاضي ، وألحقه بدرجة الفقهاء الكبار لفهمه و حذقه ،^٢ وهم على الخائن حتى أعطى لصاحب الكيس الألف دينار^٣ - انتهى . قال مالك رحمه الله في امرأة بالإسكندرية ، كتبت وصيتها إلى ورثتها وهم بمدينة^٤ يثرب ، فلم يأت من ورثتها خبر ، فخرج رجل^٥ بتركها المودوعة عنده إليهم ، فهلك في الطريق . فهو لها ضامن من حيث خرج بها من غير إذن أربابها . فلو استودع جرارا وشبهها فنقلها نقل مثلها فتكسرت ، ضمن لأنها جناية خطأ . وقالوا فيمن وقف على بخار ليشتري منه ، فأذن له في قلب الفخار ، فأخذ آية فسقطت من يده على آية أخرى فانكسرت الآيتان^٦ معا ، لم يضمن التي سقطت^٧ من يده ويضمن الأخرى لأنها جناية خطأ .

إذا أودع رجل رجلا وديعة^٨ وقال له لا تقبل عليها الصندوق ، فقفله ضمنها . واحتج ابن عبد الحكم بأن الإقفال للصندوق إطماع للشارق فيما احتوى عليه الصندوق و حائل له على ما في الصندوق . كان عليه قفل أو لم يكن ،

(١) في بن : وخيائه .

(٢-٣) في بن : ورده على الخائن حتى أعطى لصاحب الكيس الدنانير .

(٣) ساقطة من بن . (٤) في بن : حين .

(٥) الكلام من هنا ساقط من بن ويستأنف في كل من بن و بر بالعبرة « اختصم رجلان في شاة » .

(٦) في بر : الآيتين .

(٧) في الأصل : وداعة .

والذى قاله ظاهر إلا أن يقال إن طلب السارق للصندوق المقفل أشد من طلبه لما لا قفل عليه . قال ابن عبد الحكم ولو قال رب الوديعة للودع اجعلها في قدر فخار ، فجعلها في [٢٦٧ ب] سطل نحاس ، فضاعت لضمن ' لأن السارق عينه إلى سطل النحاس أكثر من الفخار . ولو ه قال اجعلها في سطل نحاس ، فجعلها في قدر فخار فضاعت لم يضمن . ولو قال اجعلها في كمك فتركها في يده فضاعت لم يضمن ، لأنه بالغ في حفظها ، لأن كونها في يده أصون لها من كمه . إلا أن يقصد به إخفاءها عن عين الغاصب فليضمن ، لأن الكم أحرز من اليد ، ولو سعى بها الوديعة إلى مصادر ضمنها ، أى لو وشا بها إلى ظالم ، فانه ضامن بسبب ١٠ التضييع فانه إنما أمسكها ليحفظها عن مثل هذا ، فاذا أخبر ظلماً بها فذلك عين التضييع فيضمنها لربها - انتهى .

[حكاية في المخاصمة]

فلنذكر الآن ما قيل في المخاصمة و الفتيان شاء الله تعالى . اختصم رجلان في شاة قد أخذ كل واحد ٣ بأذنهما يقول هي لى . فمر رجل كان ١٥ قد ولد له ولد وليس معه ما يشتري به شاة للعقيقة ، و كلفته امرأته لشرائها وهو حائر كيف يجتمع له ثمنها ، ويقول : لم* كلفتى هذه المرأة

(١) كذا في بر ، وهذا القسم ساقط من بن .

(٢) من هنا يستأنف الكلام في كل من بر وفي بن .

(٣) في بن : رجل . (٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : قد .

لما لا طاقة لي به، و تكليف ما لا يطاق، يؤدي إلى الشقاق^١، و تلي^٢ قوله تعالى: "لا يكلف الله نفسا إلا ريسها"^٣. وهو مفكر فيما ذا يفعله، فيها هو كذلك و إذا بالرجلين^٤ قالا^٥ لآبي المولود^٦، وهما لا يعرفانه^٧: أحكم بيننا في هذه الشاة، و معها حكمت به علينا رضيعناه، فقد طال الخصام^٨ بيننا. فقال: إنكم لن^٩ رضيعيا^{١٠} بحكمي، و إني لا أحكم إلا بالحق. فقالا: ٥ رضيعنا بحكمك. قال: لا أحكم حتى تحلفا^{١١} لي بالطلاق^{١٢} و العتاق^{١٣} و الحج^{١٤} و العمرة مشاة^{١٥} حفاة^{١٦} أنكم ترضون بحكمي. ففعلوا ذلك و التزموا بالآيمان^{١٧}. فقال: حكمت عليكما أن^{١٨} تخلياها^{١٩} لي^{٢٠}، فانه ولد لي مولود، و كلفت لشرائها للعقيقة^{٢١} و لا معنى ثمن شاة^{٢٢}. و يحصل لكما^{٢٣} أجرها^{٢٤}. فقالا: خذها و امض^{٢٥} بها. فأخذها^{٢٦} و مر بها^{٢٧} و هما ينظران إليه. فقال ١٠

(١) الكلمة مطموسة في بن .

(٢) في بن: وتلا .

(٣) قرآن كريم ٢: ٢٨٦ .

(٤ - ٤) في بن: له .

(٥) في بن: يعرفان .

(٦) في بن: لم .

(٧ - ٧) العبارة مطموسة في بن .

(٨) ساقطة من بن .

(٩) ساقطة من بر و واردة في بن .

(١٠) في بن: لمن هي له منكما .

(١١) في بن: فأخذ .

أحدهما^١ لصاحبه: ضيعتها^٢ على ياطلك^٣ . لا أبرأ الله^٤ لك ذمة^٥ .^٦ ووسط عليك النعمة^٧ .

[حكاية فقيه وأعرابي بطريق مكة]

ومر بعض الفقهاء^٨ بطريق مكة^٩، فأصابه عطش شديد، فقال:
 هـ هل من ماء؟ فقال رجل من العرب: عندي قربة ماء. فقال: اسقي
 منها. فقال: إنها موقوفة للبيع، وظهر له قوة عطش^{١٠} الفقيه. فقال له
 الفقيه: بها مئ. فقال: والله لا أبيعها إلا بخمسة^{١١} دنانير. فرأى^{١٢} الفقيه
 أنه^{١٣} لا بد له^{١٤} من شرائها لشدة عطشه^{١٥}. فقال له الفقيه: اشتريت منك
 القربة بمائتها بما ذكرت. قال البدوي: نعم بعتكها بمائتها^{١٦} بالثمن المعين.
 ١٠. هات الدنانير^{١٧}. فأعطاه^{١٨} [٢٦٨ ألف] خمسة دنانير وهو متألم لخروجها

(١) الكلمة ساقطة من بن.

(٢) في بن: صنعتها.

(٣) ساقطة من برو وردة في بن.

(٤ - ٤) الجملة ساقطة من بن.

(٥ - ٥) العبارة مطموسة في بن.

(٦) في بن: العطش من.

(٧) في بن: أن.

(٨) زيد في بن: وخوفا من أن يلقى نفسه ٠٠٠٠ (مطموس) تذكر

قوله (مطموس) تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.

(٩ - ٩) العبارة ساقطة من برو وردة في بن.

(١٠) زيد في بن: الفقيه.

منه . افلما ملكها فتح فاها و شرب حتى ارتوى ، وزكا حينئذ ثم قال
للبدوى ١ : يا وجه العرب ٢ تأكل شيئا من سوق مصر ! قال أى والله
وأراك كريما تشتري الماء بالذهب ، وتسكرم فى الفيا فى المنقطعة بالزاد .
فقال ٣ : أقصد بذلك الأجر ٤ . فقال البدوى ٥ : آجرك الله ٦ على فعلك ،
هات ٧ . فأخرج الفقيه سوقا كبيرا ٨ وضعه ٩ فى قصعة ، و صب عليه سمنا ١٠
كثيرا وقال له : كل يا أخا العرب إلى أن تشبع فاغتنمها الأعرابي
و أكل ما فى القصعة جميعه . و كان ١١ الفقيه قد شرب منها حتى ارتوى
و وكأها ، فاشتد الحر ١٢ و عطش الأعرابي من شدة حر الشمس وحر السمن ،
و الماء من البدوى على مسافة بعيدة ، فقال للفقيه : اسقى شربة ماء . فامتنع .
فسأله ثانيا وهو يمتنع . فقال : تطعم العيش و لا تسقى الماء ، اسقى فقد ١٣
ألهب العطش كبدى . فقال : إن رددت على ذهى سقيتك و أرويتك ،
و إلا مت عطشا ، أما يكفيك أكل سوقى و سمنى حتى تأخذ ١٤ ذهى منى ١٥ ؟

(١ - ١) الجملة واردة فى بن و فى بر « فقال له » و بقيتها ساقطة منها .

(٢ - ٢) الجملة ساقطة من بن . (٣) زيد فى بن : الفقيه .

(٤) فى بن : انى أقصد .

(٥) زيدت فى بن جملة أغلبها مطموس و لا تؤثر على السياق .

(٦) فى بن : له .

(٧) زيد فى بن : تعالى .

(٨) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

(٩) لكلمة مطموسة فى بن .

(١٠ - ١٠) فى بن : دنانيرى .

فلم يجد البدوى^١ بدا من رد الذهب^٢ إليه، فعند ذلك سقاه حتى ارتوى^٣. ثم قال: مضت والله القرية، بأكلة و شرية، لا قوة إلا بالله،^٤ فليتني ما^٥ أكلت من قصعة، بأصابعي^٦ الخمسة^٧ و كنت فزت بالدنانير الخمسة. ومضى^٨ شعبانا ريانا، و على^٩ الدنانير مقهورا^{١٠} ٣ ندمانا.

[حكاية في تأدية الشهادة]

دخل أبو دلالة الشاعر على قاض، يؤدي عنده شهادة،^١ وخاف أن لا يقبله لمعرفته بحاله^٢، فأول ما قاله أبو دلالة:

إن الناس غطوني تغطيت عنهم وإن بحثوا عني ففهم مباحث
وإن حفروا بئري حفرت يارهم فسوف يروا ما ذا تثير النبائث^٣

(١) ساقطة من برو واردة في بن .

(٢) في بن: الدنانير .

(٣) ساقطة من بن .

(٤-٤) في بن: ليتني لم .

(٥) مطحوسة في بن .

(٦) زيد في بن [٢٠٣ : الف] : و كنت فررتها لدنانير الخمسة، لكن هذه آفة الطمع . قال الشاعر :

« و تضرب أرقاب الرجال المطامع »

(٧) في بن: ثم أنه ذهب .

(٨) في بن: لكن على ضياع .

(٩-٩) في بن: فقال له رقتي !!

(١٠) في بن: النبائب .

ففهم القاضى عنه إنه 'إن رد شهادته هجاء' ، وفى الهجو منقصة و ذلة
للرجل الفاضل ، و تذكر قول بعضهم :

لو هجا 'المسك' وهو أهل لكل مدح لصار جيفة

فسأله القاضى عن أمره . ٣ قال : تأدية ٢ شهادة . فقال : أدها ! فأداها
فقبلها منه ' و انصرف . * قال الشاعر :

٥

ما دمت حيا فدارى الناس كلهم فانما أنت فى دار المدارات
من يدر دار.... لم يدر سوف يرى عما قليل نديما للندامات *
٦ و عما قيل فى معنى شعر أبى دلالة :

يا حافر البئر على ذروة عسى لرجليك مراقيها

١٠ من يحفر البئر ولا يتقى يوقعه رب السما فيها

و عما قيل أيضا فى المعنى :

قضى الله أن تبغى بصرع أهله و أن على الباغى تدور الدوائر

/ و من يحفر بئرا ليوقع غيره سيوقع يوما فى الذى هو حافر [٢٦٨: ب]

(١-١) فى بن : بسبب أداء الشهادة و خاف إن رد شهادته هجاء .

(٢) فى الأصلين : هجى .

(٣-٣) فى بن : فقال أداء .

(٤) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٥-٥) هذا الجزء ساقط من بر و وارد فى بن .

(٦-٦) هذا الجزء ساقط من بن . و زيد فيها قبل القصة التالية : و تدفى المقتى

لأحد باحتياله لينفعه بفتاة فينفع ذلك المقتى كما قيل .

[حكاية رجل وامرأة وبعض المفتين]

جاء رجل إلى بعض المفتين فقال: إني خطبت عند قوم وقد ردوني، وأنا أحب أن أتزوج عندهم. فقال: ويحك علام ردوك. قال: ذكروا أني فقير. فقال: وما أصنع؟ فقال: قد دلوني عليك ه تحيل لي ولك الأجر. وصار يقبل يديه^١ ورجليه وبتضرع بين يديه^٢، ودموعه تسيل على خديه، فرثاله وقال: تقدر على نقدها ونفقتها. قال: نعم^٣. قال: إن^٤ كان ولا بد لك من التزويج بها، فبع إحليكم مني. قال: و^٥يم أطأها إذا أنا بعثك إياه تقطعه وأصير كالحادم النادم، هذا^٦ لا يمكن أبدا أيها العالم. قال: هذا^٧ ما أخبرتك. ١٠. وأنا أعطيك فيه ألف^٨ درهم. فقال: اتق الله. وهل يمكن ذلك؟^٩ قال: أني درهم^{١٠}. ثم لم يزل به حتى قال: أنا أعطيك به عشرة آلاف درهم. قال: لا والله لا كان ذلك أبدا. قال: فاذهب الآن

(١-١) ساقطة من بر و واردة في بن.

(٢) في بن: لا، وربما كانت الكلمة هي الصواب.

(٣-٣) مطموسة في بن.

(٤) كذا في بن، والكلمة في بر: وبما

(٥) زيد في بن: ما.

(٦) في بن: هو.

(٧-٧) ساقطة من بن.

واخطب^١ ، فان طردوك فقل لآى شىء تطردونى ، فان قالوا لأنك فقير ، فقل إن المفتى فلان يعرف حالى ، ولا تتكلم بكلمة زائدة على ما قلت لك أبدا لئلا^٢ تفسد على الحيلة . فقال : سمعا و طاعة . ومضى إليهم يخاطب^٣ ، فقالوا : إنا لا^٤ نزوجك . فقال : وما الذى كرهتم^٥ منى . قالوا : أنت^٦ فقير ولا قدرة لك . فقال^٧ : إن المفتى ه فلان يعرف^٨ حالى^٩ . فقالوا : إن عرف المفتى حالك^{١٠} زوجناك ! وأتوا إليه^{١١} فسألوه عنه^{١٢} فقال : لا أعرفه ولا أعرف حاله إلا أنى^{١٣} رأيت بعض^{١٤} الناس ساومه فى^{١٥} سلعة يملكها^{١٦} أعطاه^{١٧} فيها^{١٨} عشرة آلاف درهم وأنى^{١٩} يبعها ، وما أظنه ترك^{٢٠} يبعها إلا ويريد^{٢١} فيها أكثر من ذلك . فركنوا إليه وزوجوه ودخل بالمرأة ، فاذا هى^{٢٢} شابة جميلة^{٢٣} متمولة ، وخصوا عن أمره ، فلم يحدوا له شيئا . فعلت أنه ما وصل إليها إلا بحيلة ، فقالت^{٢٤} له : عرقى من^{٢٥} ذلك على^{٢٦} . فقال : رأيتك

(١) فى بن : فاخطب .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) الكلمة مطموسة فى بن .

(٤) فى بن : كرهتموه .

(٥) فى بن : لأنك .

(٦) فى بن : قال .

(٧) فى بن : يعرفنى .

(٨-٩) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٩-١٠) العبارة مطموسة فى بن .

(١٠) فى بر : و ابا . وفى بن : فأبى .

(١١) ساقطة من بر و واردة فى بن .

مرة^١ تنظري من طاق دارك^٢ فأحببتك^٣ ، فتحيلت عليك حتى وصلت إليك . فقالت : أذكر لي حيلتك التي تحيلت بها كيف كانت ؟ فامتنع فتسلطت عليه بالمضاجرة^٤ حتى أخبرها بما فعله المفتي معه ، فسكتت على غبن ر قهر ، و كان على باب^٥ 'درب المفتي'^٦ * دار فيها^٧ رجل^٨ يقال^٩ ه عنده ابنة بكر^{١٠} قرعا شلا زمنة كانت تعرفها و تصدق عليها ، فلما كان ثالث يوم من^{١١} قول زوجها لها تلك الحيلة^{١٢} ، لبست أنفرا ثيابها ، و تطيبت و تعطرت ، و أتت إلى منزل المفتي ، فضربت الباب ، فخرج إليها فقال : ما قصتك ؟ قالت : فتوى عافاك^{١٣} الله . قال : تكلمي . [٢٦٩ : الف] قالت : يا سيدي أنا ابنة فلان يقال الذي حانوته^{١٤} ١٠ على باب هذا^{١٥} الدرب ، و قد أعتى الحيل . و أنى^{١٦} كل من خطبنى

(١) الكلمة مطموسة في بن .

(٢) ساقطة من برو واردة في بن .

(٣) ساقطة من بن .

(٤-٤) مطموسة في بن .

(٥-٥) ساقطة من برو واردة في بن .

(٦) كذا في بن ، وفي برو : رجلا .

(٧) ساقطة من بن ، و هي في برو : بقالا .

(٨) زيد في بن : حين .

(٩) في بن : المقالة .

(١٠) في بن : أعزك .

(١١) في بن : في أبي .

منه لا يزوجني . ويعتذر باعتذارات^١ ليست بصحيحة ، يقول ابنتي
شلا اليد ، وهذه يدي - وأبرزت معصما كالجمار^٢ فيه أساور الذهب
و اللؤلؤ ، فرأى المفتي ما حيره . ثم قالت له : و يقول ابنتي قرعا -
٣ وهذا شعري ، فرأى شعرا أسود براقا حسنا . و يقول ابنتي كادومة^٣ -
و كشفت عن وجه يتلأ^٤ لا حسنا و جمالا ، فبهت المفتي لما رأى . ثم ه
قالت : و يقول ابنتي زمنة عرجاء - و كشفت عن قدميها^٥ و مشت
بين يديه مشيا سويا^٦ - و إنه لا يريد يا سيدي^٧ يزوجني^٨ ألبته ، و قد
بلغت^٩ و غيرتني البنات التي^{١٠} هن أقراني بتزويجهن^{١١} قبلي يوارى و شوم
بختي ،^{١٢} و قلة قسمتي و سوء حظي^{١٣} ، و جعلت تبكي و تلين كلامها في
بكاؤها ، فأخذت بمجامع قلب المفتي ، و حركت بسواكنه^{١٤} ،^{١٥} و كانت ١٠
امراته توفيت^{١٦} ، و هو عازب ينظر^{١٧} ١٣ في أمره ليجد^{١٨} ١٣ امرأة يتزوجها .

(١) في بن : باعذار .

(٢) في بن : كالجمار .

(٣-٣) ساقطة من برو واردة في بن .

(٤) في بن [٢٠٣ : ب] : قدم كالجمار .

(٥) في بن : مستويا .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧) في بن : تزويجي .

(٨) في بن : كبرت .

(٩) في بن : اللواتي .

(١٠) في بن : بتزويجهن .

(١١) في بن : ما هو ساكن .

(١٢-١٢) في بن : و كان قد توفيت زوجته .

(١٣-١٣) الجملة ساقطة من بن .

فقال في نفسه هذه هي ' الزوجة المطلوبة للثقة ' . ثم قال لها : هل لك ' أن أتزوج بك ؟ ٣ فما انقضى كلامه ذلك ' حتى انكبت على قدميه تقبلهما وتقول : من ٤ لي بأن أكون لك جارية وءلوكة ' و خادمة . فقال : اذهبي في حفظ الله ! فانصرفت . وطلب البقال فحضر فقال : ه زوجني بابنتك ' . فقال : الله الله في أمري ، ان ابنتي قرعا شلا كادومة زمته ، ولم تصلح ' لغلامك ، فكيف لك ؟ ٥ قال : قد رضيت بجميع ما ذكرت ، ٦ و دفع له ٧ خمسين دينارا نقدا ٨ معجلة ، و وقع العقد على ٩ 'مائة دينار ' ١٠ أخرى مؤجلة ، و شرط في نفس العقد أنه رضى ١١ بجميع العيوب التي ذكرها أبوها فيها . وقال : عجل على بها ١٢ . فلما كان المساء ، ١٣ أحضر البقال ابنته يحملها هو و عبد له ، فلما رآها المقتى قال : ويلك

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) في بن : التمتع .

(٣-٣) في بن : أتزوجك .

(٤) في بن : ومن .

(٥) في بن : ابنتك .

(٦) الكلمة مطموسة في بن .

(٧) في بن : بك .

(٨-٨) في بن : و أعطاه .

(٩) ساقطة من بر و واردة في بن .

(١٠-١٠) مطموسة في بن .

(١١) كذا في بن ، و الكلمة في بن : راضى .

(١٢) في بن : بسناها (!) .

ما هذه ؟ قال : ابنتي التي زوجتك ^١ بها ^٢ ، عافاك الله ^٣ ، وهي على ما وصفت و شرطت لك بحضرة العدول و رضيت بها . فقال : وبلك ^٣ أحق ما تقول ؟ قال البقال : أمها ^٢ طالق ثلاثا إن كان له ابنة ^٢ سواها ، فعند ذلك طلقها ^٢ المفتي بالثلاث وقال ^٤ : ارددها إلى منزلك و أنت في حل من الخمسين ^٢ دينار المعجلة ، و اردد إلى ^٢ الصداق المؤجل . ^٥ ففعل البقال له ذلك ^٢ ، و بقي المفتي متفكرا فيما جرى ^٥ شهرا كاملا . فلما كان ^٤ بعد الشهر ، و إذا بتلك المرأة ^٤ أنت ^٤ في أحسن ما تكون من هيئتها الأولى ، فسلمت على المفتي ، فقال لها : ما حملك على ما صنعت ؟ فقالت ^٦ : ما حملك أنت على ما صنعت ، غررتنا برجل فقير ، زوجتنا به بجيلتك ^٦ ، فكان جزاؤك ^٦ مني أن ^٧ احتلت ^٨ عليك ، و أغرمتك ^{١٠} خمسين دينارا حتى لا تعود تغرر ببنات الرؤساء الكبراء ^٩ ، و تزوجهن

(١) في بن : ازوجتك .

(٢) الكلمة مطموسة في بن .

(٣-٣) كذا في بن ، و الجملة في بر : اتقى الله .

(٤-٤) العبارة مطموسة في بن .

(٥-٥) في بن : مدة شهرين كاملين .

(٦) في بن : قالت .

(٧) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٨) في بن : اقبلت .

(٩) الكلمة ساقطة من بن .

بجيتك للفقراء^١، وتميل^٢ إلى [٢٦٩: ب] الخلاعة^٣، بسومك^٤ تلك^٥ البضاعة، التي لا تباع ولا تشتري، بين سائر^٦ الوري، فواحدة بواحدة جزاء. فبهت المفتي من كلامها،^٧ وانصرفت تضحك من توبيخها له وملامها، ثم أنها سعت في خلاص نفسها من زوجها الفقير وقالت له: امض بالحية يا حقير، وعادت إلى المفتي وقالت له: قد طلقني الذي احتلت له^٨، فإن رغبت في فأنا بك راضية، ولك جاريسة، ويكون ما أخذته بنت البقال نقدي. أشهد لك بقبضي له، ويكون لتلك المسكينة، تنفع^٩ به^{١٠} على ما بليت به^{١١}،^{١٢} وتصدقني صداقها^{١٣} المؤجل إن اخترت. فقال: حبا وكرامة. فزوجها^{١٤} بعد انقضاء^{١٥} عدتها،^{١٦} ودامت^{١٧} له مودتها وعشرتها^{١٨}.

(١) في بن: للغاليس.

(٢) الكلمة مطموسة في بن.

(٣) في بن: الخلافة.

(٤) الكلمة ساقطة من بن.

(٥-٥) في بن: ثم قالت... (مطموسة)... كلمتك ومضيت إلى زوجي فأجرته إلى أن طلقني والآن قد انقضت عدتي.

(٦) في بن: تنتفع.

(٧-٧) ساقطة من بن.

(٨-٨) مطموسة في بن.

(٩) في بن: فتزوج بها.

(١٠) في بن: وفاة.

(١١) كذا في بن، وهي في بر: ودام.

[النخعي عن العدة]

'وسأذكر ما قاله' النخعي فيما ٢ ٣ سئل عنه عن العدة إن شاء الله تعالى ٣ . سئل النخعي هل للرجل عدة^٢ ؟ قال : نعم عدة^١ واحدة و عدتان^٤ . و ثلاث عدد . قيل : كيف ذلك يرحمك الله ؟ قال : إذا كان للرجل أربع نسوة^٥ ، فطلق الواحدة منهن طلاقاً سنياً . فليس له ه أن يتزوج غيرها^٦ حتى تنقضي عدتها ، لأنها في حكم^٧ عصمته ما دامت في العدة ، فلا يحل له^٨ أن يملك خمسة في عدة^٩ . و العدة الثانية^{١٠} إذا طلق زوجته ، فأراد نكاح أختها ، '' فيتربص هو'' حتى تنقضي (١-١) في بن : و إذا قد ذكرت العدة فأذكر ما قال .

(٢) في بن : بينها .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : من عدة يعتد بها .

(٥-٥) في بن : و يعتد عدتين .

(٦) الكلمة مطموسة في بن .

(٧) في بن : بغيرها .

(٨) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٩-٩) في بن : يجمع خمساً في عصمته .

(١٠) في بن : الثالثة .

(١١-١١) في بن : وهي قد طلقها طلاقاً سنياً ، فليس له أن يتزوج أختها حتى

تنكح أختها حتى تنقضي عدة أختها فعليه ... (مطموسة) .

عدتها ، فهذه عدتان . و أما العدة الثالثة: فالرجل يكون له زوجة ، ولها ابن من غيره ، فمات ابنها الذى هو من غيره ، فيؤمر ذلك الرجل باعتزال زوجته قرا واحداً وذلك حتى تستبرأ . و ليعلم أنها حامل أم لا ،^٢ لأنها إن كان^٣ يوم مات ابنها حاملاً فقد وجب للحمل ميراثه ه فى^٤ أخيه المتوفى لأمه ، إذ هو أخوه لأمه إذا خرج واستهل صارخاً ، فيكون له السدس مما ترك أخوه . وإن كانا اثنين^٥ كانا لهما الثلث ذكورا كانوا^٦ أو أناثاً^٦ .

و يجب^٧ الاعتناء بالنظر فى العدة ، لأن الله سبحانه و تعالى أكد ذلك بقوله : ” و أحصوا العدة و اتقوا الله ربكم^٨ “ على خلاف بين المفسرين من المخاطب بذلك ، هل الحكماء أو المطلقون و هو الأظهر أو المطلقات . و اختار بعضهم أن الأمر بالإحصاء يتناول الجميع لأن لكل واحد منهم تعلقاً بذلك .

و العدد ثلاثة : عدة الطلاق و عدة الوفاة^٩ و الاستبراء . و الأولان

(١) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٢-٢) مطموسة فى بن .

(٣) فى بن [٢٠٤ : الف] : من .

(٤) فى بن : اثنتين .

(٥) ” كانوا “ فى بر قبل ” ذكورا “ و بعدها فى بن .

(٦) و زيد فى بن : انتهى . (و ذلك للدلالة على أن الكلام عن العدة فى بن انتهى و دخول الكاتب فى موضوع فقهي آخر) .

(٧) ابتداء من هنا يسقط الكلام الباقي فى الموضوع من بن لآخر هذا المجلد .

(٨) قرآن كريم ٦٥ : ١ . (٩) فى الأصل بر : الوفا .

مذكوران في القرآن . قال الله تعالى : ” والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء “ . وقال : ” واليُّ يئسن من المحيض من نسائكم “ الآية .
وقال سبحانه وتعالى : ” والذي يتوفون منكم ويذرون أزواجهن يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً “ . وهو خبر وقع موقع الأمر ،
قال اللخمي : والمعتدات خمسة عشرة : ذات حيض ، وذات حمل ، وصغيرة •
لم تبلغ الحيض ، [٢٧٠ : الف] ومسنة قعدت عن الحيض ، وشابة متأخر حيضها ، ومستحاضة ، ومرتابة ، ومرضع ، وصغيرة ابتدأت العدة بالشهور ثم حاضت قبل أن تخرج من عدتها ، ويائسة ذات حيض ، ومستحاضة ترى الحيض ، ومستحاضة ارتابت ، ومرتابة بحس بطن ، ومرتابة لا بحس بطن . قال ابن رشد : العدة نجب بأحد وجهين : ١٠
إما بخلوة تعرف ، وإما باقرارها على نفسها بالميس . قال في المدونة :
وإذا كان الصبي لا يولد لمثله ، وهو يقوى على الجماع ، فظهر بامرأته حمل لم يلحق به ، وتحمد المرأة ، وإن مات هذا الصبي لم تنقض عدتها من الوفاة بوضع حملها ، وعليها أربعة أشهر وعشر من يوم مات . قوله تعالى : ” يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم ١٥
طلقتوهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها “ .

(١) قرآن كريم ٢ : ٢٢٨ .

(٢) قرآن كريم ٦٥ : ٤ .

(٣) قرآن كريم ٢ : ٢٣٤ .

(٤) في الأصل : لم تنقض .

(٥) في الأصل : أربع .

(٦) قرآن كريم ٣٣ : ٤٩ .

قال ابن الحاجب المالكي: وإذا دخل الصبي وهو لا يقوى على الجماع، ولا يولد مثله، ثم صالح أبوه أو وصيه، فلا عدة على امرأته ولا صداق ولا غسل عليها إلا إن تلذ، يعنى إن أنزلت. ومقطوع الذكر والخصيتين، وظاهر المذهب لزوم العدة.

٥ وقال أبو حنيفة والشافعي: يلحق الخصى والمحبوب نسب ولد زوجته إن كان ينزل. وقال أبو يوسف وزفر: يلزمه الولد، ولم يشترط أنه ينزل. والحمل الذى تقضى العدة بوضعه لا يشترط فيه أن يكون مصورا، بل يصح أن يكون فى أول التطوف، وهو العلقه فما فوقها، كما أن الأمة تكون بوضعها للعلقة أم ولد. وقال أشهب: لا تكون ١٠ الأمة أم ولد بالدم المجتمع. ولا تقضى به عدة المطلقة. قيل معنى هذا أن يصب على الدم الماء فلا يذوب - والله أعلم بذلك.

(١) إلى هنا تنتهى مخطوطة برلين (بر)، وقد آثرنا أن نختم المجلد الرابع بتمامها. ويلاحظ أن المسائل الفقهية التى ختم بها الناسخ تلك المخطوطة ساقطة من (بن)، وقد استعاض ناسخ الأخيرة عن ذلك ببعض القصص والفتاوى الفقهية ملائها الصفحتين بن ٢٠٤ ألف - ب وقد تجاوزنا عنها فى هذه الحواشى لكثرة ما بها من طمس وسقط وخيل يجعلها غير صالحة للنشر، ذلك بالإضافة لقلة أهميتها الموضوعية.

وناسخ (بن) يستأنف الكلام من جديد (٢٠٤ ب) عن « ذكر الرتب العلية التى بعد الإسكندرية وذلك أن الأمير صلاح الدين خليل بن علاء الدين على الشهير بابن عرام نائب السلطنة بالإسكندرية لما (ولى) بالإسكندرية الخ » وفيها يستمر الكلام حتى الورقة (٢٧٦ ب) حيث ينجم الناسخ المخطوطة بقوله: تم الكتاب، بلطف الملك الوهاب، بتاريخ مستهل ذى قعدة أحد (شهور) =

=سنة تسع وثمنا (مائة) . . و اسم الناسخ غير مذكور ، و المخطوطة بخط نسخ معتاد ، ورغم ما بها من أخطاء لفظية و عبارات ساقطة و طمس بالرطوبة و ترميم بالتجليد ، فإن قيمتها عظيمة لما ورد بها من الأقسام التي سقطت من مخطوطة برلين و التي أكملنا بها النص كما يرى من صلب المجلدين الثالث و الرابع . و صفة مخطوطة الهند أن عدد أوراقها ٢٧٧ ورقة ، و بكل من صفحاتها ٢٧ سطرا و مقاسها ١٧ × ٢٠٠ مليمتر . و هي مصورة في معهد إحياء المخطوطات العربية تحت رقم القيد ٣٠٨ ص ١/٢٨٢ ، و المكتبة خدابخش بته تحت رقم ٢٣٣٥ . راجع « فهرس المخطوطات المصورة » جزء ٢ (التاريخ) ص ٣٠ - ٣١ .



خاتمة الطبع

تم بئنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الرابع من كتاب الإمام
 للعلامة محمد بن قاسم بن محمد النويرى رحمه الله يوم الأحد الحادى والعشرين
 من شهر رمضان المكرم سنة ١٣٩٠ هـ الموافق ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٧٠ م .
 والجزء الرابع هو آخر ما جاء فى مخطوطة برلين . اعتنى بتصحيحه
 والتعليق عليه الأستاذ الفاضل المستشرق الدكتور عزيز سوريال عطيه -
 أبقاه الله للخدمة العلمية . و عنى بتفحيحه ومراجعة النسختين راقم هذه الخاتمة
 تحت إدارة الحسيب اللبيب صاحب الفضيلة المدير السيد محامد على العباسى
 عم كرمه الدانى والقاصى .

و فى الختام ندعو الله سبحانه وتعالى أن يتفعلنا به ويوفقنا لما
 يحبه ويرضاه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة
 إلا بالله العلى العظيم . وصلى الله على خير خلقه و نبيه الكريم سيدنا
 محمد وآله وصحبه وسلم أجمعين . و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد عظيم الدين غفرله

(كامل الفقه بالجامعة النظامية)

المصحح بدائرة المعارف العثمانية

